منشورات جامعة دمشق
كلية التربية

نظريات الشخصية

تأليف

د. أمينة رزق
أستاذة في قسم علم النفس

جامعة دمشق

١٤٢٩ — ١٤٣٠هـ
٢٠٠٨ — ٢٠٠٩م

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الفهرس

مقدمة	١١
الباب الأول : علم النفس ونظريات الشخصية	١٥
الفصل الأول : مدخل إلى نظرية الشخصية	١٧
توطئة	١٩
نظرية الشخصية وتاريخ علم النفس	١٩
مفهوم بناء الشخصية	٢٥
الباب الثاني : الشخصية نظام للطاقة	٣٣
الفصل الثاني : النظريات التحليلية الكلاسيكية	٣٥
أولاً - نظرية التحليل النفسي «سيغموند فرويد»	٣٩
بناء الشخصية	٤١
ديناميات الشخصية	٤٢
نمو الشخصية	٤٥
ثانياً - علم النفس التحليلي «كارل يونغ»	٤٩
طبيعة الشخصية	٥٠
نمو الشخصية	٥٣
علم النفس الفردي «ألفرد أدلر»	٥٥

المفاهيم الأساسية في نظرية «أدلر»	٥٦
بناء الشخصية	٥٨
نمو الشخصية	٥٨
الفصل الثالث : النظريات التحليلية الاجتماعية	٦٣
أولاً - التحليل النفسي الاجتماعي «كارين هورني»	٦٥
طبيعة الشخصية	٦٦
نمو الشخصية	٦٧
ثانياً - نظرية الحاجات (علم الشخصية) «هنري موراي»	٧١
طبيعة الشخصية	٧٢
بناء الشخصية	٧٩
ديناميات الشخصية	٨٠
تطبيقات نظرية موراي	٨١
الباب الثالث : الشخصية نظام من الأنماط والسمات	٨٥
الفصل الرابع : نظريات الأنماط	٨٧
الفصل الخامس : نظريات السمات	٩٧
ايزنك	١٠٠
طبيعة الشخصية	١٠٠
نماذج الشخصية	١٠١
نظرية السمات القياسية «رايموند كاتل»	١٠٣
طبيعة الشخصية	١٠٥
نمو الشخصية	١١٢

سيكولوجيا الفرد عند «ألبورت»	١١٥
بناء الشخصية وديناميانها	١١٦
نمو الشخصية	١١٩
العوامل الخمسة الكبرى للشخصية	١٢٢
الباب الرابع : الشخصية نظام معرفي سلوكي	١٢٧
الفصل السادس : نظرية المثير والاستجابة	١٢٩
بناء الشخصية	١٣٣
نمو الشخصية	١٣٤
الفصل السابع : نظرية تركيبات الشخصية	١٤٣
جورج كيلي	١٤٥
الطبيعة الأساسية للنفس البشرية	١٤٦
بناء الشخصية	١٤٨
نمو الشخصية	١٥٦
تطبيقات النظرية	١٥٦
الفصل الثامن : النظرية المعرفية الاجتماعية	١٦١
ألبرت باندورا	١٦٣
طبيعة الشخصية	١٦٤
بناء الشخصية	١٦٨
نمو الشخصية	١٧٥
تطبيقات نظرية باندورا	١٧٨

الباب الخامس : الشخصية نظام من التبادل الاجتماعي – الحيوي (الانسيوي)	١٨٣
الفصل التاسع : نظرية المجال عند «كورت ليفين»	١٨٥
السمات الأساسية لنظرية المجال	١٨٨
بناء الشخصية	١٨٨
ديناميات الشخصية	١٩١
نمو الشخصية	١٩٤
الفصل العاشر : نظرية «مورفي» الاجتماعية – الحيوية	١٩٩
المنطلقات الأساسية لنظرية مورفي	٢٠٢
بناء الشخصية	٢٠٢
تنظيم الشخصية ونموها	٢٠٤
ديناميات الشخصية	٢٠٥
الباب السادس : الشخصية نظام إنساني لتحقيق الذات	٢١٣
الفصل الحادي عشر : مفهوم الذات والأنا	٢١٥
الفصل الثاني عشر : نظرية الذات عند «كارل روجرز»	٢٢٥
طبيعة الشخصية	٢٢٨
نمو الشخصية	٢٣٦
الفصل الثالث عشر : نظرية تحقيق الذات عند «ابراهام ماسلو»	٢٤١
طبيعة الشخصية	٢٤٤
بناء الشخصية	٢٤٩
نمو الشخصية	٢٥٠

الفصل الرابع عشر: النظرية التحليلية الوجودية «رولو مي»	٢٥٥
طبيعة الشخصية	٢٥٨
مكونات الشخصية	٢٦٢
نمو الشخصية	٢٦٢
الفصل الخامس عشر: نظرية التحليل التعاملي	٢٦٧
السياق التاريخي للتحليل التعاملي	٢٧١
بنية الشخصية	٢٨٢
نمو الشخصية	٢٨٩
ديناميات الشخصية	٣٠٧
إسهامات النظرية	٣٠٩
الباب السابع	٣١٩
الفصل السادس عشر: أوجه التشابه والاختلاف	٣٢١
أولاً - طبيعة الإنسان	٣٢٤
ثانياً - التركيب البنائي للشخصية	٣٢٨
ثالثاً - نمو الشخصية	٣٣٠
الباب الثامن	٣٣٧
الفصل السابع عشر: ملامح نظرية حول الشخصية في القرآن	٣٣٩
ما هو الإنسان وما هي مكوناته وخصائصه	٣٤١
طبيعة الإنسان، محدداته، نموه	٣٥١
أنماط الشخصية	٣٦٤

مظاهر سوء التوافق (التكيف) في القرآن	٣٦٦
العلاج النفسي في القرآن	٣٦٩
أساليب القرآن في الإرشاد والعلاج النفسي	٣٧١
المختصر	٣٧٧
المراجع	٣٩٥

Damascus University

مُقَدِّمَة

منذ أن وجد الإنسان وهو يسعى إلى كشف أسرار نفسه، مصيباً مرة، ومتعثراً مرات. وفي سعيه هذا لارتياد المجهول – داخل نفسه وخارجها – وقد يسّرت له العلوم التجريبية والتقدم العلمي أن يتحكم في الطبيعة ويسيطر عليها، فغزى الفضاء وارتاد الكواكب الأخرى، ولكنه وجد نفسه غريباً عن أقرب شيء إليه وهي نفسه، لينطبق عليه قول الله تعالى ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ (الذاريات: ٢١/٥١).

وفي نقلة على هذا الطريق الطويل لفهم طبيعة النفس الإنسانية، ودوافعها، وسر سعادتها أو شقائها وطريقة تعلمها وتوافقها... كانت نظريات الشخصية، التي بدأت تنمو وتتطور – كعلم متاخم للعلوم الأخرى – في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين.. فبُذلت محاولات مستمرة لفهم الشخصية الإنسانية، نتج عنها نظريات عديدة ومتنوعة في تفسير الشخصية..

إن هذا النوع من النظريات يعكس أمرين **أولهما** ثراء وتعقد الشخصية لكل من حاول دراستها، **وثانيهما** هو حداثة علم نفس الشخصية كعلم قائم بذاته (على الرغم من كل المحاولات التي بذلها بعض المفكرين لحل هذا اللغز منذ آلاف السنين، وعلى الرغم من أن أفكارهم تشكل جزءاً من الخلفية الفلسفية للنظم النظرية الحديثة).

قد يضيق المتخصص بعلم النفس، وخاصة الطالب المبتدئ بهذا العدد الكبير من النظريات التي قد تتفق أو تختلف أحياناً في تصوراتها للشخصية، إلا

أن أحد أهداف هذا الكتاب وأهمها، كان انتقاء بعض نظريات الشخصية من عدة مداخل أو اتجاهات، كان لها تأثير كبير على فكرنا النفسي المعاصر من جهة، وعلى أثرها في توليد البحوث التجريبية من جهة ثانية، ومدى إسهامها التطبيقي من جهة ثالثة.

هذا وقد تم تصنيف كل مدخل ضمن باب منفرد، ينطوي على بعض النظريات الفرعية والتي تم تنظيمها في عدة فصول.

في الباب الأول: علم النفس ونظريات الشخصية.

وفي الباب الثاني: الشخصية نظام للطاقة النفسية.

وفيه عرض للنظريات التحليلية الكلاسيكية – والتحليلية الاجتماعية ونظرية «موراي» للحاجات.

وفي الباب الثالث: الشخصية كنظام من الأنماط والسمات.

تم عرض بعض الأفكار التي لم ترقَ لمستوى النظرية في مناقشتها للأنماط الشخصية مثل (أبقراط، شيلدون، بوردل، كوتشتمر، سبرانجر). أما عن السمات فهناك عرض لنظريات (أيزنك، كاتل، ألبورت) ونموذج الخمسة الكبار، والتفاعل بين السمة والموقف.

ويتناول الباب الرابع: الشخصية كنظام معرفي سلوكي، بالمناقشة بين نظريات كل من «دولارد» و«ميللر» و«كيلي» و«باندورا».

وفي الباب الخامس: الشخصية نظام من التبادل الاجتماعي – الحيوي (العضوي) وينطوي على نظرية «ليفين» ونظرية «مورقي».

وفي الباب السادس: الشخصية نظام إنساني. ويتضمن مفهوم الذات عند عدد من العلماء، إضافة إلى نظرية «ماسلو» و«روجرز» و«رولومي» و«بيرن».

وفي الباب السابع عرض لأوجه التشابه والاختلاف في نظريات الشخصية.

أما في الباب الثامن فهناك محاولة لتلمس ملامح نظرية للشخصية الإنسانية في القرآن الكريم.

أما عن **أسلوب عرض النظرية** فكان يبدأ بموجز عن صاحب النظرية، يهدف إلى تعرف الخلفية العلمية والفلسفية له، بالإضافة إلى تعرف الخلفية الثقافية السائدة في عصره عندما نشر نظريته.

ثم توضيح الخطوة الأساسية التي تأثرت بها النظرية وأبرز ملامح النظرية.

ويليه عرض موقف النظرية من بناء الشخصية، وديناميا تها، ونموها وإسهاماتها.

هذا ولم يتعرض الكتاب في فصوله لتقييم النظرية واستعراض مزاياها أو عيوبها، لأن الهدف الأساسي من الكتاب كما ذكرنا، هو تزويد الدارس بمقدمة علمية مبسطة عن النظريات الرئيسية في الشخصية، بالإضافة إلى تزويد القارئ المهتم ببعض البيانات الأولية التي تساعده للتمييز بين الوظائف المختلفة لكل نظرية، من أجل انتقاء ما ينشده من الإطلاع على كل نظرية، لأن كل نظرية تعكس طرقاً مختلفة في البحث والدراسة.

ولتسهيل مهمة الاطلاع السريع على محتويات الكتاب، بطريقة مختصرة، فقد أحدثت جزءاً خاصاً بأهداف الفصل، وملخصاً سريعاً لأبرز المفاهيم والمبادئ النظرية والتطبيقية للنظرية.

وفي الختام أقدم خالص شكري لكل من ساهم في إنجاز هذا الكتاب أو مراجعة بعض فصوله، أو تزويدي بالمراجع المناسبة، أو إرشادي حول بعض القضايا الهامة. بدءاً من طلابي في قسمي علم النفس والإرشاد النفسي وانتهاءً

بأخوتي أعضاء الهيئة التدريسية داخل الكلية وخارجها.

وأخص بالذكر د. محمد راتب النابلسي لتفضله بمراجعة الفصل الأخير بعد أن قدم لي المراجع العلمية المناسبة، والتوجيهات الصائبة.

والشكر موصول لكل من د. ياسر جاموس، ود. مطاع بركات، د. صالح بريك، د. رنا قوشحة على تعاونهم المثمر في توفير المادة العلمية لبعض الفصول ومن ثم مراجعتها وتدقيقها.

كما أشكر الأستاذة بشرى عودة على الآراء السديدة والملاحظات الدقيقة التي قدمتها لي طيلة فترة إعداد هذا الكتاب ولمعظم فصوله. وأثني على جهود د. هيفاء بقاعي والأستاذة علا دارب نصر في تأمين الصور الشخصية لأصحاب النظريات.

والله ولي التوفيق

دمشق

٢٠٠٨/٥/١٥



ليس هناك نظرية صحيحة وأخرى خاطئة بل ثمة نظرية مثمرة وأخرى عقيمة. ما هي الأسس التي يمكن من خلالها الحكم على جدوى نظرية الشخصية في تفسير السلوك الإنساني المتغير عبر الزمان والمكان.

Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الفصل الأول

مدخل إلى نظرية الشخصية

أهداف الفصل وكلماته المفتاحية:

١ - أن يعرف الدارس: ← مفهوم النظرية
← مفهوم الشخصية ← الحيوي الاجتماعي
← الحيوي الفيزيقي
← الإجرائي

٢ - أن يميز بين ← نظرية علم النفس ونظرية الشخصية
← الخصائص الشكلية للنظرية وخصائص المحتوى

٣ - أن يعدد مصادر التأثير الحديثة في نظرية الشخصية

← الملاحظ الاكلينيكية
← الغشتالت
← علم النفس التجريبي
← القياس النفسي
← علم الوراثة التجريبي
← الأنثروبولوجيا الاجتماعي

٤ - أن يفرق بين مفاهيم (الشخصية، والخلق، والمزاج)

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

توطئة:

من أهداف هذا الكتاب تقديم ملخص منظم للنظريات الرئيسية في الشخصية، ولهذا لابد من ذكر شيء عن ماهية نظريات الشخصية، وكيفية التفريق بين هذه النظريات.

هذا بالإضافة إلى ضرورة وضع هذه النظريات في سياق عام، وربطها تاريخياً بتطور علم النفس، ثم تحديد مكانها من السياق الحالي.

ولذلك لابد من تحديد دور نظرية الشخصية في نمو علم النفس، من خلال تحديد المقصود من اصطلاح (شخصية) والمقصود من اصطلاح (نظرية)، حتى نتمكن من تحديد مكونات نظرية الشخصية والعلاقة بين نظرية الشخصية والأشكال الأخرى من النظريات السيكولوجية، والأبعاد التي تمكننا من الموازنة بين نظريات الشخصية.

١- نظرية الشخصية وتاريخ علم النفس:

لا يُنكر المطلع على تاريخ علم النفس أن نشأة نمو نظرية الشخصية يعود إلى:

أ - التصورات الخاصة بالإنسان والتي قدمها المفكرون الكلاسيكيون القدامى مثل هيبوقراط وأفلاطون وأرسطو.

ب - الإسهامات التي قدمها الفلاسفة في العصور الوسطى وبداية النهضة.

كما يهمنا أيضاً تعرف الدور الذي قامت به نظرية الشخصية في نمو علم النفس خلال العقود الأخيرة، من خلال تعرف بعض مصادر التأثير الحديثة في نظرية الشخصية.

- الملاحظة الإكلينيكية: التي بدأت مع شاركو وجانيه وأرسى دعائمها كل من فرويد ويونخ وماكدوجال، ساهمت في تحديد طبيعة نظرية الشخصية.
- الغشتالت الذين أكدوا على وحدة السلوك وأهميتها في دراسة الشخصية.
- علم النفس التجريبي بشكل عام، ونظريات التعلم بشكل خاص، الذي أكد على البحث التجريبي المحكم الضبط، والفهم الأفضل لطبيعة بناء الشخصية.
- تطور حركة القياس النفسي ودراسة الفروق الفردية.
- علم الوراثة التجريبي والوضعية المنطقية والأنثروبولوجيا الاجتماعية.

وعلى الرغم من تلاقي مصادر التأثير على كل من نظريات علم النفس، ونظرية الشخصية فهناك فروق يمكن ذكرها:

١. نشأ علم النفس في أحضان الفلسفة والفيزيولوجيا، أما نظرية الشخصية فتدين في نشأتها بالكثير للمهنة الطبية ولمقتضيات الممارسة العيادية.

٢. نظريات الشخصية، أكثر شمولاً، لأنها تتناول أكثر من محور ومجال في نفس الوقت.

٣. نظريات الشخصية ذات اتجاه وظيفي أكثر مما هو عليه الحال في نظريات علم النفس فهي تهتم بالمشكلات الضرورية لبقاء الفرد وحياته وتوافقه.

٤. يرى أصحاب نظريات الشخصية بأن الفهم الصحيح للسلوك الإنساني يتحقق فقط عند دراسة الشخص كله بصورة تكاملية بينما يتجه علماء النفس إلى التخصص المتزايد.

٥. نظريات الشخصية ليست مجرد أفكار نظرية تعكس وجهة نظر الباحث الذي صاغها عن الشخصية، ولكنها صياغات قابلة للتحقق والتطبيق، ويمكن أن تقدم تفسيراً أوضح للنفس البشرية وتقوم عليها أنواع كثيرة من البحوث.

فما هي النظرية؟ وما هي الشخصية؟ وما هي نظرية الشخصية؟

النظرية: هي فرض أم مجموعة من الفروض التنبئوية، وذات الصلة بالوقائع التجريبية التي تهتم بها النظرية بحيث تكون العلاقة من هذه الفروض، منظمة وواضحة ومتفاعلة.

وأهم وظائف النظرية:

أ - جمع أم ملاحظة علاقات تجريبية ذات أهمية لم تُلاحظ بعد.

ب - إدخال النتائج التجريبية (بعد التحقق من صدقها) بصورة متناسقة ومنطقية وواضحة.

ج - تحديد عدد محدد من الأبعاد التي على الباحث أن يهتم بها على ضوء مشكلة بحثه حتى لا يقع تحت وطأة التعقيد البالغ للوقائع الطبيعية أم العيانية.

الشخصية Personality:

اشتق هذا المصطلح من الكلمة اللاتينية Persona، والتي تعني القناع الذي كان يضعه الممثل على وجهه، في أثناء أداء الدور الذي يمثله، بحيث يظهر بعض الخصائص التي تتناسب مع هذا الدور ويخفي الخصائص الأخرى التي لا تناسبه.

وهذا التعريف يعكس بوضوح، أن هناك بعض الصفات الشخصية تبقى لسبب، أم لآخر، مخفية أم تظهر بستار آخر، وهذا ما أيدته مدرسة التحليل النفسي.

وتتنوع تعريفات الشخصية حسب الإطار المرجعي النظري للمنظر الذي سينظر إلى الشخصية من خلاله. لذلك قام ألبورت بمسح شامل لمعظم التعريفات وصنفها حسب وجهات النظر التالية:

١. **التأثير الخارجي:** أم التعريف الحيوي الاجتماعي الذي يساوي بين الشخصية وبين الكفاءة الاجتماعية أم الجاذبية الاجتماعية لذلك الفرد.

من هذه التعريفات المجموع الكلي لتأثيرات الفرد في الجماعة – فكرة الآخرين عنك، استجابات الآخرين للفرد كمثير أم منبه – ليست بداخلك أنت وإنما هي تصور في أذهان الآخرين.

والسؤال المطروح: ألا يُحدث تأثير الشخص الواحد في أشخاص مختلفين تأثيرات متباينة؟ وهل يملك هذا الشخص شخصيات متعددة؟ ألا تخطئ انطباعات الآخرين أحياناً؟..

فقد يؤثر أحد الفنانين مثلاً على ملايين الناس، لكن شخصيته قد تكون أقل تعقيداً من الزاهد المنعزل أم الطفل الوحش الذي يعيش بين الذئاب..!

٢. **البناء الداخلي أم التعريف الحيوي الفيزيقي:** إذا كانت التعريفات السابقة ترى أن شخصيتك لا تكمن بداخلك أنت وإنما هي تصور في أذهان الآخرين (بعيدة عنك) فأين أنت؟..

معظم الفلاسفة وعلماء النفس يفضلون تعريف الشخصية كوحدة موضوعية، موجودة فعلاً ذات تنظيم ديناميكي داخلي في ذات الفرد.

وعلى الرغم من انفتاح الشخص وتأثيره وتأثره بالعالم من حوله في كل لحظة، فإن للشخصية تاريخ حياتها الخاص، ووجودها المستقل.

ومن تعريفات التكوين الداخلي تعريف «ليكي Lecky» الذي يرى أن الشخصية

نظام موحد للخبرة وتنظيم للقيم المتوافقة بعضها مع بعض (مليحي، ٢٠٠١) حيث يرى أن للخبرة جانبين معرفي (إدراكي) وذاتي (انفعالي) يصاحب الخبرة.

وحسب هذا التعريف فإن الشخصية تتميز بجانب عضوي كما تتميز بجانب مُدرك، ويمكن ربطها بالخصائص الكيفية النوعية للفرد، والتي تقبل الوصف الموضوعي والقياس.(ليندزي وهول، ١٩٧٨)

ومن أبرز تعريفات الشخصية، والتي تجمع بين البناء الداخلي والتأثير الخارجي للشخصية تعريف ألبورت Allport «الشخصية هي تنظيم ديناميكي داخل الفرد لكل نظمه النفسجسمية، والتي تحدد أسلوبه الفريد في التوافق مع بيئته».

- أما التنظيم الديناميكي فيعني أن الشخصية في حالة تغير، والتغير هنا يتضمن الارتقاء والنمو من جهة، ويتضمن الانحلال والاضطراب ولاسيما في الشخصية الشاذة التي تتميز باطراد التفكك.
- ويُفهم من مصطلح داخل الفرد أن الشخصية ليست أمراً يختص بالتأثير الخارجي.
- النظام، مركب من مجموعة من العناصر متبادلة التفاعل، فالعادة نظام، والعاطفة نظام، وأسلوب السلوك نظام. بمعنى أن النظم هي القوى الكامنة للنشاط.
- نفسجسمي الذي ينطوي على النشاط الوظيفي لكل من العقل والجسم في وحدة مترابطة.

٣. **وجهة النظر الوضعية** التي تهتم بالقياس والطرق المستخدمة لقياس الحقيقة الثابتة، ويعترض الوضعيون على التعريفات السابقة، ويرون أن التركيب الداخلي لا يمكن تناوله بالدراسة العلمية.

ومن الأمثلة على التعاريف الإجرائية المنبثقة من وجهة النظر الموضوعية تعريف ماكليلاند D. Mclellande الذي يرى أن «الشخصية هي أكثر التصورات الذهنية موائمة لسلوك الشخص في كل تفاصيله التي يمكن للعالم تقديمها في لحظة ما من الوقت»، بمعنى آخر، الشخصية هي بناء أم شيء نفكر به، ولكنه غير موجود حقيقة بعيداً هناك.

والوضعية تسعى إلى تعميمات تشريعية عن السلوك وتعتبر تطلعنا إلى النظام الداخلي للفعل خاصة عملاً ذاتياً غير علمي. وهذه وجهة نظر المدرسة السلوكية المتطرفة. وقد وجهت إلى الوضعية بعض الملاحظات تتلخص:

- نظراً لتعقد الشخصية وصعوبة دراستها فقد جرد الوضعيون الفرد من كل صفاته التي تسبب لهم متاعب بحثية، وحددوا تعريفاتهم بشروط إجراءات طرقهم، بل حاول المتطرفون منهم إنكار وجود الشخصية، واعتبروها وهماً، أم تخميناً بوجود بناء أم شيء مرتبط باسم. تخيل لو أن عالم الفلك الذي يدرس أحد النجوم في السماء يفكر في النجم كبناء وهمي مرتبط باسم وليس موجوداً حقيقة..؟

في الواقع لقد كان النجم بالنسبة له موجوداً، وسيحاول فهمه عملياً وبكيف طرق بحثه قدر استطاعته مع هذه الحقيقة. إن عالم النفس الذي يحاول فهم الشخصية مثل عالم الفلك الذي يحاول أن يفهم حقيقة موجودة من حقائق الطبيعة.

- لجأ الوضعيون من أجل تحقيق الدقة في القياس وثبات النتائج إلى تجزئة الشخصية، الذي كان على حساب وحدة الشخصية وتكاملها. فالشخصية ليست مجرد مجموعة من الصفات أم الخصائص المصفوفة بجوار بعضها البعض، بل إن التفاعل الديناميي المتبادل هو أساس بناء الشخصية. وهكذا فإن تركيز الوضعية حول طريقة البحث، أكثر من التركيز حول المشكلة، أدى إلى تقديم

مجموعة من الحقائق التجزيئية على حساب النظرة المتماسكة للشخص الإنساني المتكامل.

- لقد كانت الوضعية سجينة نظرة فلسفية محددة، وثقافة فترة خاصة، أدى بها إلى التسليم بفكرة شبه ميكانيكية للشخص الإنساني.

ومع هذه الملاحظات فلا أحد ينكر فضل الوضعية على ما قدمته من تحفظات ضد التأمل غير المنظم، وعلى خصائص الباحث العلمي في الدقة والاختصار والتحديد.

على أية حال، ولتحقيق الهدف من دراستنا، نحن بحاجة إلى تعريف «جوهري» للشخصية، يدرس الشخصية كوحدة «موجودة هناك» ولديها «بناء داخلي» خاص بها. ويحقق هذا تعريف ألبورت السابق الذي يؤكد على الوحدة الموضوعية للشخصية ولا ينكر أهمية التأثير الخارجي لها.

إن تعريف ألبورت «الجوهري» يؤكد أن الشخصية هي ما يكون عليه المرء حقيقة. وبغض النظر عن حقيقة إدراك الأشخاص الآخرين لصفاته، أم بالطرق التي ندرس بها هذه الصفات. فقد تخطئ إدراكاتنا أم طرقنا أحياناً. مثل الفلكي الذي يخطئ في دراسة مكونات النجم، بينما النجم مازال موجوداً يتحداه لدراسته.

كما أن تعريف ألبورت لا ينكر أن الشخص متغير طوال الوقت، أم أن سلوكه قد يتغير من موقف لآخر. كما أنه يشير إلى طريقة الشخص الفريدة في إدراك البيئة وأسلوب تفاعله معها.

مفهوم بناء الشخصية:

نظراً لعملية التفاعل بين القوى الوراثية والبيئية عند الإنسان والتي تختلف أهميتها النسبية من شخص لآخر، فإن نمو الطاقات الكامنة الموروثة تعتبر وظيفة

للبيئة التي يتطور فيها الفرد. ويستجيب الطفل عند الميلاد استجابة كلية للمثيرات، على أساس مكونات فطرية تبقى مدى الحياة (خلفية) تعمل كمؤثر جزئي في كل استجاباته للواقع فيما بعد. وكل استجابة يقوم بها الطفل هي محصلة تفاعل مكوناته الفطرية مع خبراته المتعلمة.

وباستمرار مواجهة الطفل للواقع واكتسابه الخبرة، ينشأ ما نطلق عليه «الأنا» أم جوهر الشخصية، وخلال نمو الأنا تنتظم الشخصية حول جوهر من الحاجات البيولوجية التي تدفع السلوك وتحركه. وتعد الأساليب التي يحاول بها الشخص إشباع تلك الحاجات أم الدوافع، من أهم العوامل في نمو الأنا (الذات). وفي جهود الفرد لحماية الأنا وتكاملها -- في أثناء تفاعله مع الواقع -- ينزع إلى استخدام حيل دفاعية معينة. وتعمل بعض استجابات الفرد بشكل شعوري، وبعضها الآخر بشكل لا شعوري، لتكون بناء منتظماً يشمل العواطف والاهتمامات والآليات اللاشعورية التي تحدد سلوك الطفل أم الراشد في أي موقف.

ومن خلال مفهوم الفرد لذاته يصبح الأنا مركزاً لاختبار الواقع ومعرفته وتكوين آرائه عن الصواب والخطأ، وتقييم الإمكانيات الشخصية، ومن ثم يعمل باستمرار لحفظ الأنا ووقايته وتقويمه.

الشخصية والخلق.

كثيراً ما يُستخدم هذا المصطلحان كمرادفين. والحقيقة أن الخُلق مفهوم تقييمي يشير إلى سمات شخصية معينة من حيث قبولها، أم عدم قبولها الاجتماعي، مثل الأمانة والتعاطف وضبط النفس وعكسها. فنحكم على سلوك الشخص بأنه خير أم شر، صواب أم خطأ في ضوء القيم والمعايير الاجتماعية.

وكثيراً ما يُقرن مصطلح الخلق بإحدى الصفات التالية: خلق طيب أم حسن أم عظيم أم حميد أم سيء.

وقد وصف الله عز وجل رسول محمد ﷺ بالخلق العظيم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٦٨/٤).

باختصار، إن الخلق هو الشخصية المقيّمة اجتماعياً، بينما الشخصية هي الخلق دون تقييم.(٥)

الشخصية والمزاج Temperament:

وهو يشير إلى جملة الخصائص الانفعالية المميزة للفرد من حيث قوة

---

(٥) كان الإمام الغزالي ممن بحثوا في العلاقة بين الأخلاق والشخصية. وللخلق عند الغزالي معان أربعة:

١ - الفعل الجميل والقبيح، ٢ - القدرة عليهما بالمعرفة بهما، ٣ - هيئة للنفس تميل بها إلى أحد الجانبين وتيسر عليها أحد الأمرين، ٤ - إما الحسن وإما القبيح.

وهكذا، فالخلق عند الغزالي ليس (الفعل أم السلوك المفرد) فربّ شخص خلقه السخاء، ولا يبذل، إما لفقد المال أم لمانع، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل، إما لباعث معين أم لرياء. وليس الخلق هو القوة، لأن نسبة القوة إلى الإمساك والإعطاء واحدة، وكل إنسان خُلق بالفطرة قادراً على الإعطاء والإمساك. وليس الخلق هو المعرفة، فإن المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعاً على وجه واحد. فالخلق هو عبارة عن المعنى الرابع. وهو الهيئة التي بها تستعد النفس لأن يصدر منها الإمساك أم البذل. فالخلق - إذن - هو هيئة النفس وصورتها الباطنة. (عبد الكريم العثمان: الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، ط٢، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٨١، ص٣٧٥ - ٣٧٨).

الانفعالات أم ضعفها، ثباتها أم تقلبها، تناسبها أم عدم تناسبها مع مثيراتها، إضافة إلى درجة تأثر الفرد بالمواقف التي تثير الانفعال. ويتحدد – على الأقل جزئياً – بالعوامل التكوينية والفطرية – كالحوافز الفطرية وتأثيرات الغدد الصم.

وعليه فإن الخلق والمزاج من مقومات الشخصية ولكنهما لا يؤلفان الشخصية بأسرها. فالخلق يميز المظهر الاجتماعي للشخصية والمزاج يميز مظهرها الانفعالي.

وخلاصة القول: تتنوع العوامل المؤثرة في تكوين ونمو الشخصية والتي تسهم في مدى ثباتها واتساقها بين الوراثة، والمستوى الثقافي والاجتماعي، والتعليم، إضافة إلى الوعي بالذات والسمات والميكانزمات اللاشعورية. وهذا ما نراه في الفصول اللاحقة.

المقارنة بين نظريات الشخصية:

حدد هول وليندزي (١٩٧٨) وباترسون (١٩٨٦) بعض المعايير المنطقية التي يمكن من خلالها الحكم على النظرية والمقارنة مع غيرها من النظريات نذكرها باختصار فيما يلي:

أ - **الخصائص الشكلية:** مثل وضوح عرض الفرضيات والمفاهيم الأساسية لكل من يحاول دراستها.

ب - **خصائص المحتوى:** والقضايا الأساسية التي تدرسها النظرية مثل:

- هدفية السلوك الإنساني مقابل ميكانيكيته.
- الأهمية النسبية للمحددات الشعورية واللاشعورية للسلوك.
- دور الثواب والعقاب والأثر الطيب والتدعيم الاجتماعي في التعليم.
- هل تركز النظرية على عملية التعليم ذاتها أم على نواتج التعلم.
- الأهمية النسبية للعوامل التكوينية أم الوراثية في تحديد السلوك.

- مدى تأكيد النظرية على كلية الفرد وبيئته. حيث تؤكد (النظرة العضوية) على أن سلوك الفرد ووظائفه البيولوجية تكون كلاً عضوياً لا يُفهم إذا دُرس مجزءاً، وأن فهم كل فعل يقوم به الفرد يُفهم فقط على ضوء الخلفية التي تزودنا بها بقية أفعاله الأخرى (النظرية العضوية).

بينما تؤكد النظرة المجالية، على عدم الفصل بين الفعل السلوكي المعين والسياق البيئي الذي يقع داخله وعلى تفرد الفرد.

- الأهمية النسبية لمفهوم الذات واعتباره المفتاح الأساسي لفهم العديد من الوقائع السلوكية المميزة.
- الأهمية النسبية لأثر المجتمعات الثقافية على السلوك. إذ تركز بعض النظريات على أثر الجماعة بوصفها مجتمعات للسلوك، على حين يقتصر التأكيد في نظريات أخرى، على المجتمعات السلوكية التي تعمل مستقلة عن المجتمع.
- مدى وضوح صاحب نظرية الشخصية في محاولته ربط نظريته بالنتائج التجريبية في العلوم المجاورة.(علم الحياة، وظائف الأعضاء الوراثية)
- الاختلاف في عدد المفاهيم الدافعية المستخدمة.

بمعنى هل ما يدفع السلوك يقتصر على دافع واحد أم مجموعة من الدوافع؟ وهل هذه الدوافع أولية أم ثانوية أم مشتركة؟.

بعد وضع هذه المعايير التي يمكن الاسترشاد بها للموازنة بين النظريات لابد من التأكيد بأنه ليس هناك نظرية كاملة بالمطلق وحققت كل هذه المعايير معاً، وأن كل نظرية تطورت الآن عما نشأت عليه ما يبشر بوقت تقترب فيها هذه النظريات وتتكامل ولاسيما على المستوى التطبيقي.

كل ما نتمناه على الدارس لهذه المعايير أم المطلع عليها أن يحتفظ :

١ - بانطباع بسيط مفاده «أن نظريات الشخصية هي محاولات لصياغة جوانب لها دلالة من السلوك الإنساني، وأن الحكم على جدوى هذه النظريات يكمن أساساً في كفاءتها في العمل من جهة، وفي قدرتها على تنشيط البحث العلمي.

وأن نظرية الشخصية الفعّالة تهدف إلى تفسير أصول تفرد الفرد في ضوء عناصر هويته الفردية، والعلاقات التي تقوم بين هذه العناصر إضافة إلى النظام الفردي المميز للسلوك، والتغيرات التي تصيب الشخصية عبر الزمان والمكان. فأين سنجد ذلك؟..

خلاصة:

تدين نظريات الشخصية في نشأتها لتصورات الفلاسفة قديماً، وفي العصور الوسطى، وبداية النهضة.

أما مصادر التأثير الحديثة في نظرية الشخصية فهي الملاحظة الإكلينيكية، والغشتالت، وعلم النفس التجريبي، والقياس النفسي وغيرها.

أما الفروق بين نظريات علم النفس ونظريات الشخصية فيمكن أن تُعزى إلى مصادر التأثير، والاتجاه الوظيفي، وقابلية التطبيق لكل منها.

وتتنوع تعريفات الشخصية حسب الإطار المرجعي لها، فمنها التعريف الحيوي الاجتماعي ومنها التعريف الحيوي الفيزيقي أم الداخلي، ومنها التعريف الإجرائي.

أما بناء الشخصية، فإنه ينطوي على التفاعل المستمر بين المؤثرات الوراثية والبيئية، والتي تختلف أهميتها النسبية من شخص لآخر.

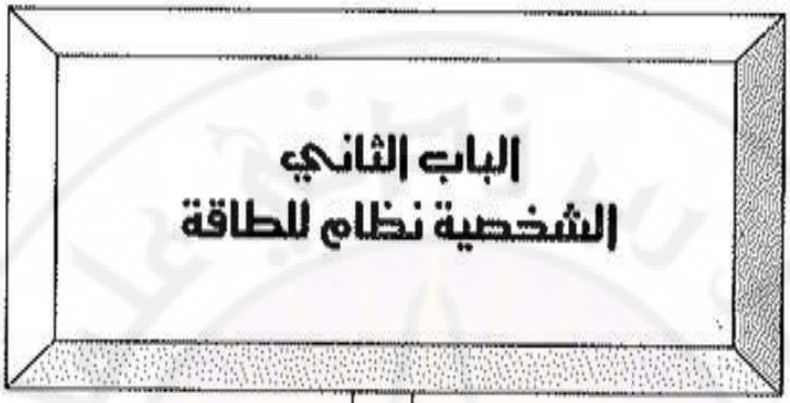
هذا ويعد كل من الخلق والمزاج من مقومات الشخصية، حيث يميز الخلق المظهر الاجتماعي للشخصية، بينما يميز المزاج مظهرها الانفعالي، إضافة إلى تنوع العوامل المؤثرة في تكوين ونمو الشخصية.

Damascus University

الأنشطة والتقويم

- ما دور الفلاسفة في نشأة علم النفس عموماً، ونظريات الشخصية خصوصاً؟.
- كيف يمكن للملاحظة الاكلينيكية التأثير في نظرية الشخصية؟.
- اذكر ثلاثة فروق بين نظرية علم النفس ونظرية الشخصية.
- برأيك ما هو التعريف الأفضل للشخصية؟
- أيهما أكثر أثراً في الشخصية المحددات الوراثية أم البيئية؟
- هل ترى أن شخصيتك عموماً، تتسم بالثبات أم بالتغير؟ وضح ذلك بالأمثلة.

جامعة دمشق Damascus University



ينظر هذا النموذج من النظريات إلى الشخصية باعتبارها أشكال من الطاقة النفسية Psychodynamic، اللاشعورية في الغالب، والتي تكمن في الفرد. ويُفسر القائلون بهذه النظريات الشخصية في ضوء العناصر والآليات التي تدير هذه الطاقة وتوجهها أو تندفع بها أو تفرغها. ويرى هؤلاء، أن سلوك الشخص ومعارفه وانفعالاته ومكونات هويته، هي محصلة القوى النسبية لهذه الأشكال من الطاقة، ولأنواع الصراع التي تقوم بين أشكال الطاقة، والكفاءة التي يدير بها الشخص هذه الأشكال.

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الفصل الثاني

النظريات التحليلية الكلاسيكية

أهداف الفصل وكلماته المفتاحية:

أن يعرف الدارس:

١ - طبيعة الشخصية عند:

فرويد -- طاقة جنسية غريزة
- الموت
- الحياة

يونغ -- طاقة حيوية شاملة
- المتضادات
- التكافؤ
- الانتقال

أدلر -- طاقة اجتماعية
- أهداف الحياة
- مشاعر النقص
- التفوق
- التعويض
- الاهتمام الاجتماعي
- أسلوب الحياة

٢ - بناء الشخصية :

فرويد ← مرحلة طبوغرافية (الشعور، ما قبل الشعور، اللاشعور)
← مرحلة ديناميكية (الهو، الأنا، الأنا الأعلى)

يونغ ← الشعور (الشخصي، الجمعي)
← اللاشعور (الشخصي، الظل، الجمعي)

أدلر ← الشعور / اللاشعور ← متداخلان ومعقدان

٣ - نمو الشخصية وديناميكاتها.

فرويد ← دور سنوات الطفولة المبكرة + عمليات التثبيت والإزاحة

يونغ ← تتحدد الشخصية عن طريق الماضي والتطلع للمستقبل + هدف النمو هو تحقيق الذات، يتكامل النمو النفسي في مرحلة الرشد المتوسط

أدلر ← دور السنوات الأولى + النمو الاجتماعي السليم + أسلوب الحياة.

٤ - أنماط الشخصية :

فرويد ← البناء النهائي للشخصية = العديد من التثبيتات التي تحدث في فترات متباينة

يونغ ← منبسط ← مفكر
← وجداني
← حسي
← حدسي



٥ - أوجه التشابه والاختلاف.

Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

أولاً - نظرية التحليل النفسي

Psychoanalysis

سيغموند فرويد

Sigmund Freud



نبذة عن حياته العلمية:

- ولـــــد في مورافيـــــا (في تشيكوسلوفاكيا سابقاً) ١٨٥٦، وتوفي في لندن عام ١٩٣٩. كان دارساً ممتازاً ومتحمساً، حصل على بكالوريوس في الطب عام ١٨٨١ من جامعة فينا. اهتم بعلم الأعصاب واختص في علاج الاضطرابات العصبية.

- درس على يد «جان شاركو» الطبيب النفسي الفرنسي الشهير، وحسن مهاراته الفنية في استخدام التنويم المغناطيسي لعلاج الهستيريا، ولكنه تخلى عن هذه الطريقة لعدم جدواها مع كل المرضى.

- التقى مع «جوزيف بروير» الذي كشف عن علل الاضطرابات الهستيرية وحاول علاجها بالأسلوب الكلامي والتداعي الحر. وأخذ هذه الطريقة عنه. ولكن الرجلين افترقا فقد رأى فرويد أن الصراعات الجنسية هي سبب الهستيريا، بينما كانت وجهة نظر «بروير» ذات طابع محافظ.

- تأثر بوجهة نظر «أرنست بروكه» (عالم فيزيولوجيا ألماني) التي تنظر إلى الإنسان بوصفه نظاماً ديناميكياً خاضعاً لقوانين الطبيعة.

- ثم عمل «فرويد» وحده مطوراً هذه الأفكار، التي كانت أساس نظريته.

- التف حوله عدد من التلاميذ من مختلف أنحاء العالم ومنهم «يونغ» و«أدلر» وأسس الاتحاد الدولي للتحليل النفسي، ثم انشق عنه كل من «يونغ» و«أدلر» لاختلاف وجهات النظر.

كان له محاولة لتفسير الظواهر النفسية على أساس من تشريح القشرة المخية، لم يُكتب لها النجاح.

- أثرت الحرب العالمية الأولى على تفكيره ومراجعته الشاملة لنظريته.

- حاول تطبيق مفاهيم التحليل النفسي في جميع مجالات الحياة الإنسانية ونشاطاتها.

- له عدد كبير من المؤلفات أولها تفسير الأحلام (١٩٠٠) وآخرها معالم التحليل النفسي (١٩٤٠) الذي نشر بعد موته.

بناء الشخصية:

مرت نظرية «فرويد» بمرحلتين:

١ - **المرحلة الطبوغرافية**. حيث شبه الشخصية بجهاز تصوير ضوئي. وهذا الجهاز عبارة عن مجموعة من المكونات، بينها علاقة مكانية منتظمة، كالعدسات في الكاميرا. وهذه المكونات هي الشعور وما قبل الشعور واللاشعور.

وقد وجد «فرويد» أن العصاب هو نوع من الصراع بين الشعور (كابت) واللاشعور (مكبوت) وهو ذكريات الطفولة عن الرغبات الجنسية.

ولكن «فرويد» وجد أن هذه النظرية غير كافية بسبب أن الأنا، التي تشمل الشعور وعنها يصدر الكبت، تصدر مقاومة من المريض مركزها الأنا، إذاً في الأنا جانباً لا شعورياً.

٢ - **النظرية الديناميكية (النهائية)**. حيث تتكون الشخصية من تفاعل ثلاثة نظم أساسية الهو Id والأنا Ego والأنا الأعلى Super – Ego، ولكل جزء من هذه الأجزاء الشخصية وظائفه وخصائصه ومكوناته ومبادئه وديناميكياته التي يعمل وفقها.

- **الهو**: الواقع النفسي الحقيقي كما يسميه «فرويد»، وهو مستودع الغرائز ويتصف باللامعقولية والاندفاعية والأنانية والانقياد للملذات والابتعاد عن الألم.

يعمل على تفريغ الطاقة والتوتر (الداخلي أم الخارجي) عن طريق مبدأ اللذة وتجنب الألم إما عن طريق الأفعال الانعكاسية (العطس، الغمز، السعال) التي تؤدي إلى خفض التوتر مباشرة. أو عن طريق التخيل (الأحلام وأحلام اليقظة) – تعني الإشباع – حيث يكون الإنسان صورة عقلية للشيء الذي يشبع الغريزة إشباعاً جزئياً ويزيل التوتر.

- **الأنا:** يدير الشخصية ومحكوم بمبدأ الواقع، ومفتاح التكيف، المسؤول عن سلوك الفرد وتقرير مدى معقولية السلوك ومسايرته لمعطيات الواقع.
- **الأنا الأعلى:** السلطة التشريعية القضائية الرقابية، ويأخذ في النمو والتطور مع عملية التنشئة الاجتماعية والقدرة على تشرب القيم وامتصاص المعايير الاجتماعية.

ويأخذ الأنا الدور التوفيقي بين اندفاعات الهو ونواهي الأنا الأعلى.

فالأنا القوي هو الذي ينجح في عمله التوفيقي هذا، أما الأنا الضعيف فقد يستسلم لرغبات الهو، فيظهر على السلوك الاندفاعية والبحث عن اللذة، أم يذعن لنواهي الأنا الأعلى فيظهر على السلوك الانكباح والتردد. أم قد يثير القلق لشعورنا بعدم القدرة على التوفيق الناجح بين رغبات الهو ونواهي الأنا الأعلى.

ديناميات الشخصية:

نشأ «فرويد» في ظل الفلسفة الحتمية الوضعية، التي نظرت إلى الكائن البشري بوصفه نظاماً معقداً من الطاقة، يستمد طاقاته مما يستهلكه من غذاء ويستخدم هذه الطاقة للقيام بأنشطته الجسدية (تنفس -- دورة دموية -- الخ..) وأنشطته العقلية (إدراك -- تفكير -- تذكر) وقد سماها الطاقة النفسية. وبناء على مبدأ بقاء الطاقة، يمكن أن تتحول إلى طاقة فيزيولوجية والعكس. والمعبر بين طاقة البدن وطاقة الشخصية هو الهو وغرائزه.

الغريزة:

وهي قدر من الطاقة النفسية، ويكون الهو مركز الغرائز ومستقرها.

وتتميز الغريزة بأربع خصائص هي:



المصدر. وهو الحالة البدنية أم الحاجة

الهدف. التخلص من الاستثارة.

موضوعها. كل أشكال السلوك الذي يحدث مستهدفاً الحصول على الشيء أم الحالة اللازمة.

القوة الدافعة. شدتها أم قوة الحاجة المحركة لها. فكلما تزايد النقص الغذائي تزداد شدة الغريزة.

يرى «فرويد» أن هدف الغريزة، هو خفض التوتر (نكوص إلى حالة سابقة للتهيج) والمحافظة على توازن الكائن الحي بإزالة التهيجات التي تحدث الاضطراب.

وبهذا الخصوص يستخدم «فرويد» مصطلح «إجبار التكرار» حيث إن الشخصية مجبرة على أن تكرر المرة تلو المرة الدورة الحتمية من التهيج إلى الهمود.

عدد الغرائز وأنواعها:

أ - غرائز الحياة التي تخدم في الحفاظ على حياة الفرد كالجوع والعطش والجنس. ويطلق على الطاقة التي تستخدمها هذه الغرائز في أداء عملها «الليبدو».

ب - غرائز الموت أم غرائز التدمير كما يسميها «فرويد». ويرى أن كل فرد لديه رغبة لاشعورية في أن يموت. ولكنه لم يحدد مصدرها ولا اسم الطاقة التي تنشأ منها.

ومن مشتقات غريزة الموت عند «فرويد» الباعث العدواني. فالعدوانية تدمير الذات، وقد اتجهت إلى الخارج نحو موضوعات بديلة.

تقوم ديناميات الشخصية على تفاعل وتشابك الهو (القوى الدافعة) مع الأنا (القوى المقيدة الكابحة) والأنا الأعلى (الشحنات المضادة).

وجميع الصراعات في الشخصية يمكن إرجاعها إلى تعارض هاتين

المجموعتين من القوى وكل توتر يرجع إلى فعل مضاد لقوى دافعة من جانب وقوى كابحة من جهة أخرى.

ويرى «فرويد» أن للبيئة القدرة على إحداث الألم وزيادة التوتر، كما لها القدرة على تحقيق اللذة وخفض التوتر. إنها تحدث الاضطراب، كما تشيع الراحة.

إن الاستجابة المعتادة لتهديدات البيئة المؤلمة والمفاجئة هي الإحساس بالخوف، وإن زيادة التنبيه (الذي يعجز الأنا عن السيطرة عليه)، يؤدي إلى إغراق الأنا في فيضان الحصر (القلق Anxiety).

وهو شعور انفعالي غير سار، يسهم في إعادة التوازن النفسي، وفي استعداد الفرد لإنجاز أعمال مناسبة. والحد من القلق قد يساعد الأنا على التوازن، أما الزيادة غير الطبيعية فقد تكون مرضيّة.

ويقسم «فرويد» القلق وفقاً لتصرفات الأنا مع بقية مكونات الشخصية إلى:

١ - **القلق الموضوعي (الواقعي) Objective anxiety**: ويحدث بسبب خطر واقعي في البيئة الخارجية، مثل استجابة البحّار القلقة لرؤيته السحب الداكنة التي تلوح في الأفق، لمعرفته المسبقة أن وصولها سوف يتبعه عواصف... إن ذكريات الأنا للخبرات السابقة تجعلها تستجيب بالقلق لكل خطر مستقبلاً. ومثل هذا القلق يجعل الفرد يأخذ حيطته وحذره بما يواجهه في الواقع.

٢ - **القلق العصابي Neurotic anxiety**: يحدث بسبب الخوف من عدم القدرة السيطرة على الغرائز واستسلام الأنا لاندفاعات الهو. وغالباً ما يرتبط هذا القلق بالتعرض للعقاب وقسوة المعاملة في مرحلة الطفولة. فالخوف هنا ليس واقعياً وإنما متخيلاً.

٣ - القلق الخُلقي Moral anxiety: وهو الخوف من الضمير. فالشخص الذي نما أناه الأعلى وتطور، يميل إلى الشعور بالأثم عندما يفعل شيئاً، بل وحتى يفكر في أن يفعل شيئاً مخالفاً للمعايير الأخلاقية.

إن وظيفة القلق هي تحذير الشخص من خطر وشيك الوقوع. وهو انفعال مؤلم يسبب التوتر مثل الدوافع الأولية ولكنه لا ينشأ نتيجة لإثارة الأحشاء الداخلية في الجسم، وإنما ينشأ نتيجة لظروف خارجية، مصدرها الهو، أم الأنا الأعلى، فينبه الأنا إلى دفع الخطر، فإذا فشلت الأنا في تفادي هذا الخطر ووقعت فعلاً في القلق، فإنها تلجأ إلى أساليب غير واقعية لتدافع بها عن نفسها في مواجهة الهو والأنا الأعلى، أم البيئة الخارجية فيما يعرف بالحيل الدفاعية، مثل الكبت، والتبرير، والتكوين العكسي، والإسقاط، والإنكار، والنكوص وغيرها..

نمو الشخصية:

يؤكد «فرويد» على الدور الحاسم لسنوات الطفولة، في إرساء الخصائص الأساسية لبناء الشخصية، وأن الشخصية تتطور استجابة لأربعة مصادر رئيسية للتوتر هي:

١ - عمليات النمو الفيزيولوجي. ٢ - الإحباطات. ٣ - الصراعات. ٤ - التهديدات.

ونتيجة لتزايد التوتر الناتج من هذه المصادر، يجد الشخص نفسه ملزماً بتعلم أساليب جديدة لخفض التوتر. وهذا التعلم هو المقصود بتطور الشخصية.

كما أن التثبيت وتكوّن السمة Fixation & Trait Formation، والإزاحة

طريقتان رئيسيتان يتعلم الشخص عن طريقهما حل إحباطاته وصراعاته وما يعانيه من أشكال القلق.

التشبيت:

وهو الطريقة التي يتمثل بوساطتها الشخص سمات الشخص الآخر ويجعلها جزءاً من مكون لشخصيته ذاتها. كأن يتعلم خفض التوتر بصياغة سلوكه على غرار سلوك شخص آخر.

وقد فضل «فرويد» هذا المصطلح على مصطلح التقليد، لأنه يرى أن التقليد يشير إلى نوع من السلوك يقوم على المحاكاة العارضة والسطحية، بينما ينطوي التشبيت على تقمصه للشخصية أم لبعض سماتها بدرجة ما من الثبات.

يختار الفرد كنماذج للتشبيت من يبدون أكثر نجاحاً منه في إشباع حاجاته، فيتمثل الطفل – وخاصة في سنواته المبكرة – والديه، ومع تقدمه في العمل تتوسع دائرة الأشخاص الذي يرى في إنجازاتهم توافقاً مع رغباته الراهنة فيتمثلها.

ومن صفات التشبيت:

- أنه يتم لا شعورياً.
- كما أنه ليس من الضروري أن يتم بتمثل الشخص للشخص الآخر من جميع الجوانب. بل عادة ما يختار ويستدمج، فقط، تلك السمات التي يعتقد أنها ستساعده في بلوغ الهدف الذي يرغب فيه.
- تخضع عملية التشبيت لنوع من المحاولة والخطأ، لأن الاختيار النهائي للفرد يكون للسمة التي تخفض التوتر فيستدمجها. أما الصفة لا تخفض توتره فينبذها.
- يمكن للمرء أن يتقمص شخصيات خيالية، وأفكار مجردة، وحتى موضوعات حية بقدر ما يتقمص شخصيات إنسانية عادية.

• يستطيع المرء من خلال التثبيت، استعادة موضوع ما كان قد فقده، فبتقمص الشخص المحبوب الذي مات أم انفصل عنه المرء، يعود الشخص المفقود فيُبعث كسمة مستدمجة في شخصية المرء ذاته.

مثل الأطفال الذين ينبذهم آباؤهم يميلون إلى التمسك بهم بقوة أملين بذلك استعادة حبهم لهم.

وقد يتثبت المرء بشخص آخر بسبب الخوف، كما الطفل الذي يتثبت بتحريمات والديه تجنباً للعقاب (وهذا النوع من التثبيت أساس التعلم).

فسر «فرويد» تكرار حدوث سمات طفلية عند بعض مرضاه، بأنها تثبيتات (رواسب) طفلية من المراحل المبكرة، لم يتخلص منها المريض.

ويفسر «فرويد» التثبيت عند بعض السمات الطفولية بعوامل التنشئة الأسرية كالتدليل الزائد أم الإحباط الزائد. كما يرى أن البناء النهائي للشخصية هو تراكم العديد من التثبيتات، وهو تراكم يحدث في فترات متباينة من حياة الشخص. وإن كانت أكثرها في مرحلة الطفولة المبكرة.

الإزاحة:

عندما يصبح اختيار موضوع أصلي للغريزة غير ممكن بفعل عوائق خارجية أم داخلية (الشحنات المضادة) فإن شحنة جديدة تتكون ما لم يحدث كبت قوي.

وإذا ما أعيقت هذه الشحنة الجديدة أيضاً، حدثت إزاحة أخرى، وهكذا حتى يتم العثور على موضوع يحقق قدراً من التخفيف للتوتر المحتجز.

ولعل الاهتمامات والتفضيلات والقيم والاتجاهات، والتي يتسم بها الكائن البشري، تصبح ممكنة بفضل الإزاحة. ولو لم تكن الطاقة النفسية قابلة للإزاحة والتوزيع لما كان هناك نمو للشخصية. ولأصبح الشخص مجرد آلة ميكانيكية تُدفع

لأداء أنماط ثابتة من السلوك عن طريق الغرائز.

هذا ويطلق على الإزاحة التي تؤدي إلى إنجاز حضاري أرقى، مصطلح «التسامي أم الإعلاء».

وأخيراً فإن ما تم عرضه في هذا الفصل عن نظرية «فرويد»، ملخص مقتضب لها، ليتمكن القارئ من مقارنتها بالنظريات الأخرى.

أما فيما يتعلق بتقويم النظرية، فليس ذلك من أهداف الكتاب.

وسنقتصر على عرض **إسهامات النظرية** كما ورد في معظم أدبيات علم النفس:

- الحديث عن الجانب اللاشعوري كجزء من الشخصية.
- التأكيد على أهمية القلق، والإشارة إلى الألم النفسي الذي قد يفوق الألم الجسدي من حيث المعاناة، إضافة إلى فتحها مجالات جديدة للبحث العلمي حول كل ما طرحته من أفكار.

ثانياً- علم النفس التحليلي

Analytical Psychology

«كارل يونغ»

Carl Jung



نبذة عن حياته العلمية:

- ولد كارل جوستاف يونغ (١٨٧٥) في كيزول في سويسرا، وتوفي عام ١٩٦١.
- حصل على شهادة الطب عام ١٩٠٠.
- كان من اهتماماته الكشف عن سر الشخصية، واشترك في تجارب عن التنويم المغناطيسي، واهتم بعلم الباراسيكولوجيا.
- اختص بالطب النفسي.
- طور اختبار تداعي الكلمات وعمل به فترة طويلة.
- التقى بـ«فرويد» وعملا معاً واختلف معه حول مفهوم الليبدو.
- سافر إلى مناطق متعددة وتعرف على الكثير من الثقافات والحضارات.

طبيعة الشخصية:

يوافق «يونغ» «فرويد» في أن البشر تحركهم طاقة نفسية (الليبيدو)، ولكنه رفض أن يكون الليبيدو من طبيعة جنسية وحسب، إذ رآه أشبه ما يكون بطاقة حيوية شاملة، تكمن وراء مساعي الفرد للنمو والفعالية، كما يشمل جميع النشاطات الإبداعية للفرد.

وتأخذ القيم الجزء الأكبر من طاقة الليبيدو عند «يونغ»، ويرى أنه لدى البشر طبيعة خلقية فطرية وحاجة موروثة إلى الدين والذي يمكّن الشخصية من الوصول إلى أهدافها.

وهذا الاتجاه يعتبر خاصية أساسية تتميز بها نظرية «يونغ»، التي أضفت على علم النفس التحليلي صبغة دينية.

تحدث عن ثلاثة مبادئ استمدها من علم الديناميك، فسر من خلالها طبيعة الشخصية.

- **مبدأ المتضادات Opposites:** لكل فعل رد فعل مساوٍ له في المقدار ومضاد له في الاتجاه. ويرى أن الحياة فيها متضادات كثيرة ومعقدة (ليل نهار، شعور لا شعور، حب كراهية، خير شر... الخ) وأن نمو الشخصية يحدث من خلال تكامل المتضادات.
- **مبدأ التكافؤ Equivalence:** يؤكد هذا المبدأ على ثبات الطاقة عندما تنتقل من مكان لآخر. وحسب هذا الرأي يرى «يونغ» أن انخفاض قيمة ما يعني بالضرورة ارتفاع قيمة أخرى. فإذا قل تقدير الطفل لأسرته مثلاً، فإن اهتمامه بأشياء أخرى وأناس آخرين سوف يزيد، وإذا كبت الشخص قيمة ما فإن طاقتها تستخدم لقيمة أخرى وهكذا...
- **مبدأ الانتقال Entropy أم توزيع الطاقة:** والذي ينطوي على الميل الثابت

لتساوي الطاقة داخل النظام، وحسب هذا القانون يرى «يونغ» أن مكونات الشخصية (الشعور واللاشعور) تنزع لأن يكون لديها كميات متساوية من الطاقة. وهذا التوازن النفسي من الصعب أن يتحقق مما يدفعنا دائماً إلى البحث عنه. ولذلك عندما يؤكد «يونغ» أن تحقيق الذات هو هدف النمو النفسي، يعني أن ديناميات الشخصية تتحرك نحو توازن كامل بين القوى.

ويرى «يونغ» أن الطاقة النفسية المتاحة للشخصية تستخدم للقيام بالأعمال الضرورية للمحافظة على الحياة، وفي النشاطات الثقافية والروحية، التي تشكل أهداف الحياة. وأنه بقدر ما يصبح الشخص أكثر كفاءة في إشباع حاجاته البيولوجية، بقدر ما يتبقى له من طاقة لمتابعة الاهتمامات الثقافية والروحية.

تركيب الشخصية:

يُطلق «يونغ» على العقل الواعي مصطلح «الأنا» أم الشعور الذي يتكون من المدركات والذكريات والمشاعر والأفكار الواعية.

١- الشعور:

الشعور الشخصي ← وينطوي على الأنا: الذي هو مركب من الأفكار الشعورية، التي تكون مركز الإدراك لدى الفرد وتمده بإحساس الهوية الداخلية، والاستمرار وتبدأ بالتكون منذ الرابعة من العمر، نتيجة الإحساسات الجسمية والخبرات التي تتصل بذات الفرد، وهي الجزء الشعوري الوحيد في الذات، وإليها ترجع عقدة الأنا.

- ويعتبر مفهوم الذات عند «يونغ» نقطة خلاف واضحة

بينه وبين فرويد Egocomplex. حيث ينظر «يونغ» إلى الذات على أنها مجموعة من المبادئ التنظيمية في الشخصية، التي تزودها – بالوحدة والاستقرار – والتي يعتبرها «يونغ» الهدف من الحياة الذي يسعى إليه كل فرد.

الشعور الجمعي ← وينطوي على القناع، الذي هو الوجه الخارجي من الشخصية، وهو قناع، وضع خصيصاً ليقابل حاجات المجتمع بينما يخفي خصائصه الطبيعية الداخلية، ومن وظائف القناع تسهيل الاتصال بالآخرين من خلال معرفة سلوكهم المحتمل أم المتوقع.

٢- اللاشعور:

اللاشعور الشخصي. ويضم المحتويات غير الموجودة في متناول الشعور، ويصعب على الشخص إدراكها، إما لأنها نُسيت أم لأنها كبتت. وهو الوسيط بين اللاشعور الجمعي والشعور.

الظل: يبدأ في التكون منذ الولادة ومحتوياته بدائية، غير مرغوبة ومؤلمة للضمير، كما يحتوي أيضاً كل الخصائص الإيجابية التي تكون متعارضة مع القناع، لذلك يتعارض الظل مع الشعور.

اللاشعور الجمعي. الذي هو سجل لخبرة الأجيال الماضية.

ويعمل على شكل أنماط أولية (Archetypes) قوامها مجموعة من الصور والأساليب المنظمة من التفكير والخبرة، والتي تدفع الفرد لأن يفكر ويعمل بالطرائق التي اعتاد أسلافه أن يفكروا بها.

نمو الشخصية:

يعتقد أن الإنسان يحاول التقدم من مرحلة أقل كمالاً من النمو إلى مرحلة أكثر كمالاً. وهدف النمو الأساسي هو تحقيق الذات.

كما يرى أن أي سلوك يجب أن يُفهم في ضوء الهدف منه، والسبب ورائه، وأن الشخصية لا تتحدد عن طريق الماضي فحسب، بل والتطلع إلى المستقبل أيضاً.

ويرى أيضاً أن النمو يسير في حركة تقدمية مستقيمة أم في حركة نكوصية إلى الوراء. وأن التطور النفسي يتكامل في مرحلة الرشد المتوسط.

أنماط الشخصية:

يرفض مفهوم التثبيت عند «فرويد» وينسب الفروق الفردية في الشخصية إلى:

١ - الطريقة التي يستجيب بها الفرد للمثيرات الخارجية والداخلية. وهناك أربعة أشكال أم وظائف (مفكرة، وجدانية، حسية، حدسية).

٢ - خصائص حركة الليبيدو (خارجية وتعرف بالانبساط، داخلية وتعرف بالانطواء).

ومن تفاعل هذين البعدين يحصل لدينا ثمانية أنماط من الشخصية.

اسم النمط	خصائصه
١ - منبسط مفكر	يسعى لتفسير الحقائق الخارجية، وفهم القواعد الفكرية. يستطيع التوقع والتنبؤ وحل المشكلات – موضوعي وله أدوار إيجابية. وله نظام ثابت في حياته ينجح كمصلح اجتماعي – وجداني منطوي لا شعورياً.
٢ - منطوي مفكر	يسعى لتفسير الحقائق الذاتية الداخلية – يمكن أن يصبح فيلسوفاً أم عالماً. وجداني منبسط لا شعورياً.

٣ - منبسط وجداني	يحافظ (على القديم)، يقبل الحقائق والمعايير الشائعة من كل نوع، اجتماعي، متقلب المزاج، متفاخر لا شعورياً ويكون منطوياً مفكراً بصورة شديدة. وهذا النوع أكثر شيوعاً بين النساء.
٤ - منطوي وجداني	يؤكد على الآراء التي تتعلق بأحواله وظروفه الداخلية الذاتية، غالباً ما يعترض على المعايير والحقائق الشائعة. يبدو بارداً، متحفظاً، غامضاً، لديه انفعالات خفية قوية، وهذا النوع أكثر شيوعاً بين النساء.
٥ - المنبسط الحسي	يدرك العالم الخارجي كما هو بالفعل، واقعي وغير خيالي، شهواني، أكثر شيوعاً بين الرجال. لا شعورياً -- يكون حدسياً منطوياً.
٦ - المنطوي الحسي	يؤكد على النتيجة الذاتية كما يدركها، لا يعجبه العالم الخارجي. لا شعورياً يكون حدسياً منبسطاً.
٧ - المنبسط الحدسي	يبحث عن احتمالات جديدة في العالم الخارجي، لا يستطيع الاستمرار في وظيفة أم نشاط، ينقصه سداد الرأي أكثر شيوعاً بين النساء. لا شعورياً، يكون منطوياً حسياً.
٨ - منطوي حدسي	يتميز بالبحث عن احتمالات جديدة في ذاته. قد يطور أفكاراً جديدة ولامعة، أم ربما يكون حالماً غامضاً ومهووساً، أم عبقرياً غير مفهوم. لا شعورياً يكون منبسطاً حسياً. (عبد الرحمن، ١٩٩٨)

هذا ويمكن القول أن «يونغ» مهدّ لقياس الشخصية باستخدام أدوات موضوعية وإسقاطية أهمها اختبار تداعي الكلمات.

علم النفس الفردي

Individual Psychology

«الفرد ادلر»

Alfred Adler



نبذة عن حياته العلمية:

- ولد في إحدى مقاطعات فينا ١٨٧٠ ودرس الطب في جامعتها وتوفي ١٩٣٧.
- اختلف مع «فرويد» وفارق دائرته العلمية وأخذ طريقاً منفصلاً في نظريته.

- كون جمعية نفسية خاصة به ١٩١١ وسماها جماعة التحليل النفسي الحر، ثم عدل اسمها إلى جماعة علم النفس الفردي.
- عمل في أثناء الحرب العالمية الأولى طبياً نفسياً في الجيش النمساوي.
- معظم إنجازاته العلمية خلال ١٩٢٠ -١٩٣٣.
- سافر إلى الولايات المتحدة عام ١٩٣٤ وعمل في كلية «لونج ايلاند» للطب.

المفاهيم الأساسية في نظرية أدلر:

• **القصدية وأهداف الحياة:** يرى أن الحياة النفسية للإنسان تتحدد بواسطة أهدافه. وأن الإنسان تحركه توقعاته للمستقبل أكثر مما تحركه خبرات ماضيه. وقد تكون الأهداف النهائية وهمية، ولكنها تحثه على بذل الجهد. وفيها التفسير النهائي لسلوكه.

ويعتقد «أدلر» أن الشخص السوي فقط هو الذي يستطيع التحرر من هذه الأوهام ومواجهة الحقيقة عندما تقتضي الضرورة.

• **الكفاح من أجل التفوق:** ويرى في هذا المبدأ الغاية التي ينزع جميع البشر إلى بلوغها والتي تمنح الشخصية الثبات والقوة.

ولا يعني «أدلر» بالتفوق، الامتياز الاجتماعي، أم الزعامة أم المكانة المرموقة في المجتمع، وإنما تحقيق الذات أم العمل من أجل بلوغ الكمال التام.

ويرى أن هذا المبدأ فطري وأنه جزء من الحياة، وأنه يختلف التعبير عنه باختلاف الأفراد. فالعصابي مثلاً يكافح من أجل أهداف أنانية، بينما يكافح السوي من أجل أهداف ذات طابع اجتماعي.

• **مشاعر النقص والتعويض:** تحدث عن النقص العضوي ومشاعر النقص المرافقة لهذا العجز. ثم وسع المفهوم ليؤكد أن مشاعر النقص، تنشأ عن إحساس بعدم الاكتمال، أم عدم الإتقان في أي مجال من مجالات الحياة.

كما تحدث عن تعويض النقص العضوي أم السيكولوجي. ورأى أن مشاعر النقص تدفع الإنسان للتغلب على نقصه في الظروف السوية. أما المبالغة في تعويضها، فقد يؤدي إلى مظاهر شاذة، كظهور عقدة نقص أم عقدة تفوق تعويضية.

• **الاهتمام الاجتماعي.** ويقوم هذا المفهوم على مساعدة المجتمع للفرد لبلوغ هدفه، ويعتقد «أدلر» أن الاهتمام الاجتماعي استعداد فطري وأن الإنسان مخلوق اجتماعي بطبعه، وأن هذا الاستعداد، لا يظهر تلقائياً وإنما يثمر بالرعاية والتوجيه. ويرى أن الاهتمام الاجتماعي هو الطاقة التي تحرك الإنسان.

• **أسلوب الحياة.** وهو النظام الذي تمارس بمقتضاه شخصية الفرد وظائفها. وهذا المبدأ يفسر لنا تفرد الشخص، فلكل شخص أسلوب حياة خاص به. ويبدأ في التكون من الرابعة من العمر. عندما يستجيب لشعوره بالنقص، أم لترتيبه الميلادي، أم للأساليب الوالدية في التربية. حيث يتبنى طريقة في التعامل مع الموقف الأسري أم الاجتماعي وفق أسلوبه الخاص وأهدافه الخاصة.

مثال: يتوقع من المدلل أن يختار الهدف الذي يجذب إليه الانتباه باستمرار، ومن المهمل أن يختار الهدف الذي يمكنه من أن يكون محل احترام الآخرين... بينما الطفل الذي مُنح الرعاية الكافية يختار أسلوباً لحياته يتضمن الرضا الوظيفي وتحقيق منفعة الآخرين معاً.

إذاً فالنقائص النوعية التي يعانيها الفرد سواء كانت حقيقية أم متوهمة هي التي تحدد أسلوب الحياة لديه.

وقد اعتمد «أدلر» في فهم شخصية الفرد، مثلما فعل «فرويد»، على تحليل خبرات الطفولة المبكرة، مستخدماً، استرجاع هذه الخبرات، وتحليل الأحلام، ومعرفة الترتيب الميلادي للفرد، وملاحظة أسلوب الحياة، وذلك لدراسة حالة المرضى ومساعدتهم على تصحيح أساليبهم الخاطئة في الحياة.

• **الذات الخلاقة.** وينطوي هذا المفهوم على أن الإنسان يصنع شخصيته ويبنيها، وهي شيء لا نستطيع رؤيته، ولكن نرى آثاره، بمعنى أنها متوسط بين المنبهات المؤثرة في الشخص واستجاباته لهذه المنبهات.

بناء الشخصية:

نظراً لأن «أدلر» يرى أن الشخصية وحدة متكاملة الأجزاء، لذلك لم يضع أية افتراضات حول تركيبها، وهو يتفق مع «فرويد» و«يونغ»، في أن الجزء الأكبر من شخصيتنا لا ندركه تماماً، وأن أصعب شيء على الإنسان أن يفعله هو أن يعرف نفسه أم يسعى لتغييرها.

ويعزو نقص المعرفة الذاتية إلى عوامل قصدية، أم صراعية. ويرى أن اللاشعور هو الجزء الذي لا نريد فهمه أم معرفته.

ويقسم الناس إلى نموذجين تبعاً لنطاق الشعور عندهم.

١ - يعرفون قدراً معقولاً عن حياتهم اللاشعورية.

٢ - يعرفون قدراً قليلاً عن حياتهم اللاشعورية.

ويرى أن الشعور واللاشعور متداخلين ومعقدين، وأنه يجب إدراك السلوك الإنساني على أنه معقد وموحد الاتجاه وهادف نحو أهداف (مفهومة أم غير مفهومة) من قبل الفرد الذي يختار هذه الأهداف.

نمو الشخصية:

يراها مثل «أدلر» و«يونغ» أنها تتكون في السنوات الخمس الأولى وأن أول درس للتعاون بين الناس، يخبره الطفل، يعود إلى خبرته بعلاقة والديه معاً، وكلما كانا أكثر تعاوناً انعكس ذلك إيجاباً على شخصيته.

كما تحدث عن بعض أخطاء التنشئة الوالدية كالتدليل الزائد، والإهمال، وتوجيه العقاب للذات وليس للسلوك، والسخرية من الطفل، والنقص

العضوي، والترتيب الميلادي والتي تنعكس على أسلوبه في الحياة.

ويرى «أدلر» أيضاً، أن السمات تمكننا من فهم اتجاه الفرد نحو بيئته، ونحو المحيطين به، ونحو المجتمع الذي يعيش فيه، ونحو متطلبات الحياة بشكل عام، وأن بعض هذه السمات إيجابي وبعضها الآخر سلبي.

ويؤكد «أدلر» على ثلاث نتائج ممكنة لسعي الفرد للتفوق ومحاولته التغلب على مشاعر النقص.

١ - التعويض الناجح وذلك عندما تنتهي مساعي الفرد للتكيف الصحيح مع تحديات الحياة الثلاثة (المجتمع، العمل، الجنس).

٢ - التعويض الزائد عندما تؤدي مساعي الفرد به إلى التطرف في التعويض وسوء التكيف مثال: الجبان الذي يصبح قاطع طرق (في الواقع أم الخيال).

٣ - الانسحاب إلى المرض كوسيلة (حيلة دفاعية لا شعورية) للحصول على القوة بالتحرر من النقص. مثلما يحصل مع بعض الطلبة في أثناء الامتحانات (بعض الأمراض الوظيفية)، أم عند بعض الأزواج عند عدم التوافق الزواجي.

خلاصة:

فسر «فرويد» السلوك الإنساني من خلال الفرد وتاريخه الجنسي (السببية) وسلم بنوعين من الغرائز (الليبيدو والعدوان)، يدفعان الأفراد لتفريغ الطاقة بأساليب مختلفة وأنشطة متنوعة، واعتقد أن عدم تفريغ الطاقة المنبعثة عنهما يؤدي إلى نشوء الاضطرابات النفسية التي قد تصل إلى حالات مرضية. كما قسم الناس إلى أنماط حسب التثبيت الشبقي لديهم.

أما «يونغ» وعلى الرغم من تأكيده على العمليات اللاشعورية، إلا أنه جمع بين السببية والغائية، ورأى أن سلوك الفرد لا يحكم من خلال تاريخ الفرد الجنسي (السببية) ولكن من خلال الأهداف والطموحات أيضاً (الغائية)، وتميل وجهة نظره إلى التأملية والاهتمام باللاشعور الجمعي جنباً إلى جنب مع اللاشعور الشخصي، كما اهتم بعلم نفس ما وراء الطبيعة (الباراسيكولوجي) وقسم الناس إلى أنماط حسب خصائصهم المزاجية، واهتم بأثر الدين على الفرد وصحته النفسية ومهد لقياس الشخصية باستخدام أدوات موضوعية وإسقاطية.

وتحدث «أدلر» عن القصور العضوي والسيكولوجي، ويرى أن أهداف المستقبل التي يتباها الفرد تؤثر في سلوكه الحاضر وأن كل ما يصدر عن النفس الإنسانية موجه نحو غاية معينة، كما يؤكد على أهمية النمو الاجتماعي السليم للفرد وأثره في تكوين الشخصية وأسلوب الحياة.

الأنشطة والتقويم

- ما هو مفهوم الطاقة؟ وهل لها أنواع؟ وضح بالأمثلة.
- حدد أبرز القضايا الخلافية بين «فرويد» و«يونغ» و«أدلر».
- حدد الأفكار السيكودينامية التي يمكن تطبيقها في المجتمع العربي وتلك التي لا يمكن تطبيقها.
- قيم المنحى التحليلي الكلاسيكي.
- كيف تتطور الشخصية وتنمو من وجهة نظر «فرويد»؟
- ما الذي أضافه «يونغ» إلى علم النفس التحليلي؟.. وهل هو محق في ذلك؟
- هل وضع «أدلر» افتراضات حول تركيب الشخصية؟.. ما هي وجهة نظره حول ذلك؟.

Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الفصل الثالث

النظريات التحليلية الاجتماعية

أهداف الفصل وكلماته المفتاحية.

أن يتعرف الدارس على :

- طبيعة الشخصية عند
  - هورني (دور الثقافة، المجتمع والأسرة، رفض فطرية العدوان، رفض عمومية عقدة أوديب، دور الأنا في تطوير الطبع الأساسي أكثر من اللاشعور.
  - موراي (أهمية الماضي + الحاضر + البيئة على الشخصية + الدوافع اللاشعورية)
- المصطلحات التي وردت عند :
  - هورني (القلق الأساسي، عصاب الطبع، عصاب الموقف، الحاجات العصابية، الذات الحقيقية، الذات المثالية)
  - موراي (الغائية، الوقائع، التتابعات، الفترة، البرامج المتتابعة، المخططات، القدرة، الإنجاز، الحاجات، الضغط).
- يحدد نقاط التشابه والاختلاف بين :
  - هورني والتحليلية الكلاسيكية
  - موراي والتحليلية الكلاسيكية

توطئة:

ثمة جناح من التحليل النفسي خرج عن الفرويدية القديمة خروجاً لا يكاد أن يبقى شيئاً منها: فقد ألح على العوامل الحضارية في السواء والمرض، ورفض مفهوم الليبيدو واستعاض عنه بمفاهيم أخرى، كما قلص دور اللاشعور وعدل من الطريقة العلاجية. وأبرز أتباع هذا الجناح «كارين هورني» و«إريك فروم» و«هاري ستال سوليفان» و«أريكسون».

ويقتصر الحديث في هذا الفصل عن نظرية «كارين هورين».

أما «هنري موراي» فقد ورد تصنيفه في هذا الفصل لاعتبارين،

أولهما لأنه وعلى الرغم من تأثره بالاتجاه التحليلي لفرويد، يعتبر أن مصدر الطاقة ليس الليبيدو، وإنما الحاجات الإنسانية الأساسية.

ثانيهما: وضع دعائم نظريته على أسس دراسة واسعة أجراها على أفراد أسوياء، استخدم فيها طرائق المقابلة والاختبارات النفسية والفيزيولوجية والتي أسلمت به إلى إبدال مفاهيم الهو والأنا كمصدر للطاقة بمفاهيم أخرى.

اولاً- التحليل النفسي الاجتماعي

Psyshosocial Analysis

«كارين هورني»

Karen Horney



نبذة عن حياتها العلمية:

- ولدت في هامبورغ بألمانيا ١٨٨٥ ، وتوفيت عام ١٩٥٢.
- حصلت على شهادة دكتوراه في الطب من جامعة برلين عام ١٩٥١.
- التحقت بمعهد برلين للتحليل النفسي من عام ١٩١٨ إلى عام ١٩٣٢.
- هاجرت إلى شيكاغو ثم التحقت بمعهد نيويورك للتحليل النفسي عام ١٩٣٤ ، وتنازلت عن عضويتها في هذا المعهد عام ١٩٤١.

طبيعة الشخصية:

ترى «هورني» أن أفكارها تندرج ضمن إطار علم النفس الفرويدي مع اختلافها عنه بالنقاط التالية:

١ - انتقدت فرويد في:

اتجاهه البيولوجي في نظرية الغرائز، وجهله بالمعلومات الحديثة في الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع، مما حمله على افتراض طبيعة إنسانية واحدة في العالم كله، واعتبار الظواهر الثقافية ذات أصول بيولوجية وغريزية.

نظرته المتشائمة للنفس البشرية، وإلحاحه على اللاشعور وطاقة الليبيدو.

نظرته الآلية للإنسان، واعتباره أن مواقف الراشد، تكرار لمواقف الطفولة، وأن لا شيء يحدث في تطور الإنسان بعد الخامسة.

٢ - لا ترى في شيوع العدوانية دليلاً على غريزيتها، بدليل أن زوال القلق بالتحليل النفسي، تتبعه مقدرة متزايدة على الحب من جانب المريض.

٣ - لا ترى في عقدة أدويب العمومية التي أكدها «فرويد» وتفسرها - إن وجدت - بتحريض جنسي (مقصود أم غير مقصود) للطفل من جانب أحد والدين، تعرضا للإحباط (لسبب ما)، ما أدى به إلى القلق، الذي يعمد إلى مداراته بالتعلق بأحد والديه. وهي لا تفسر سيكولوجيا المرأة من زاوية تشريح أعضائها الجنسية (كما فعل فرويد) بل من خلال العلاقات الاجتماعية المتبادلة.

٤ - تلح على دور الأسرة في تحديد بنية الطبع الأساسي للطفل. وترى أن

الأسرة وراء سوء الطبع أم شذوذه. كما اهتمت بظروف تكون الطبع غير السوي.

٥ - تقلص من دور اللاشعور وتنسب إلى الأنا، قوة خارقة قادرة على تطوير الطبع الأساسي.

نمو الشخصية:

تتفق مع «أدلر» حول رغبة الفرد بالتطور وسعيه له. وتفسر السلوك المرضي، بإعاقة هذا التطور من قبل قوى اجتماعية خارجية. كما تتفق معه حول أهمية العوامل الحضارية والثقافية في الشخصية.

وتتفق مع «فرويد» حول المحددات النفسية، وأهمية العمليات اللاشعورية، مع التأكيد على الكبت وميكانزمات الدفاع الأخرى على الرغم من تقليصها لدور اللاشعور.

القلق الأساسي:

ترى أن القلق الأساسي هو، شعور الطفل بأنه عاجز في عالم محبط لرغباته ومعادٍ له. وتعزي هذا القلق إلى فشل الأسرة في منح الطفل الحب الخالص والضروري لنمو الطفل، من خلال بعض الأخطاء في التنشئة الأسرية كالإهمال، أم المبالغة في الاهتمام، أم تدليل طفل على آخر.

ويؤدي القلق الأساسي بالطفل إلى نزعات عدوانية، يعمد إلى مداراتها، بتبني طريقة معينة في التعامل مع هذا القلق. وبالتالي يبدأ في بناء شخصية محددة تكون الأساس في تعامله مع الآخرين.(بنية الطبع الأساسي)

باختصار، إن كل ما يؤدي إلى اضطراب شعور الطفل بالأمن في علاقته بوالديه يؤدي إلى القلق الأساسي.

كيف يؤدي القلق الأساسي إلى العصاب؟

عندما تكون آليات الدفاع التي بنيت ضد القلق (مهددة)، يعود للظهور كقوة ديناميكية، تزعج الطفل وتؤلمه، فيميل إلى مداراة هذا القلق بتكوين بعض الاتجاهات العصابية. هي:

أ - البحث العصابي عن المحبة والخضوع العصابي (التحرك نحو الناس) أم النمط المشارك للناس.

وينطوي هذا الاتجاه على مجموعة من الحاجات:

١ - الحاجة العصابية للحب والتقبل.

٢ - الحاجة العصابية لشريك يتعاطف معه ويشبع رغباته وحاجاته.

٣ - الحاجة العصابية لأن يعيش الفرد داخل نطاق محدد، حيث يتبع مبدأ (لا تعمل كي لا تخطئ فتلام أم تُعاقب).

إن هذا الاتجاه مبني على الحاجة إلى الأمن، والخوف من عدم المحبة، ويكون الشريك هنا مجرد وسيلة للحصول على الأمن والمحبة، على الرغم من فشل صاحب هذا الاتجاه في مبادلة الآخرين الحب، كما يتجلى أيضاً بميل الفرد لقبول آراء الآخرين، وللإذعان لأصحاب النفوذ والتنازل عن كل مطلب شخصي.

ب - البحث العصابي عن القوة (تحرك ضد الآخرين).

عندما يجد العصابي أن العدوان يساعده في التغلب على معارضة أسرته وأقرانه، يجعله طريقته في التعامل مع العالم، وبالتالي يرغب في منافسة الآخرين في أي ميدان والتغلب عليهم. ولكنه يخشى من المقابلة بالمثل.

وينطوي هذا الاتجاه على مجموعة من الحاجات هي:

١ - الحاجة العصابية إلى القوة. حيث يحترم القوة ويحتقر الضعف.

٢ - الحاجة العصابية لاستغلال الآخرين. فيستغل الآخرين ولا يحب أن يُستغل.

٣ - الحاجة إلى التقدير الاجتماعي من قبل الآخرين.

٤ - الحاجة إلى الإعجاب الشخصي من خلال صورته المثالية التي يحاول عرضها ويتمنى أن يراه الآخرين من خلالها.

٥ - الحاجة إلى الطموح والإنجاز الشخصي. حيث الرغبة في الشهرة بغض النظر عن النتائج.

ج - **الانسحاب العصابي (تحرك بعيداً عن الآخرين).**

حيث يرى العصابي هنا أنه يكون أكثر أمناً عندما يكون وحده، ويسرح بخيالاته منفرداً، فيتجنب بانسحابه هذا مشاعر رفض الآخرين له أم انتقادهم.

وينطوي هذا الاتجاه على حاجتين هما:

١ - الحاجة إلى الاستقلال والاكتفاء الذاتي.

٢ - الحاجة إلى الكمال وتجنب الإهانة، حيث يحاول تحقيق الكمال بسبب حساسيته الشديدة للنقد.

وهكذا فقد حددت «هورني» عشرة استراتيجيات لخفض هذا القلق لأدنى درجة سمتها الحاجات العصابية، واعتبرت أن الشخص السوي لديه كل أم أغلب هذه الحاجات ولكنها مشبعة بشكل مقبول. وأن الشخص العصابي يركز على واحدة أم أكثر من هذه الحاجات ولا يستطيع الانتقال من حاجة إلى أخرى بسهولة. والحاجة التي يركز عليها، تُعتبر البؤرة المركزية في حياته (غير مشبعة).

وتفرق «هورني» بين الذات الحقيقية (التي تتضمن الأشياء الحقيقية عن

أنفسنا في أي وقت) والذات المثالية (التي تعكس ما يجب أن نكون عليه).

والذات المثالية هي هدف يسعى إليه الشخص السوي لتحقيقه مستقبلاً. وتكون ذاته الحقيقية وذاته المثالية متقاربتين، وتكون طموحاته واقعية وديناميكية.

أما الشخص العصابي، فإنه يعاني من مشكلة في علاقة ذاته الحقيقية مع ذاته المثالية. لأن إدراكه لذاته الواقعية غير واضح، وبالتالي فإن أهدافه وطموحاته غير واقعية، ويصعب تحقيقها.

هذا وتختفي الصراعات الداخلية المؤلمة وغير المقبولة اجتماعياً – كما ترى «هورني» – بعيداً خلال نمو الصورة المثالية للذات. وعلى سبيل المثال فقد يبدي الشخص الذي يتحرك نحو الآخرين سلوكاً يؤدي إلى اعتقاد الآخرين بأنه مثالي بينما تختفي حاجاته العصابية وراء ذاته المثالية.

وقد تحدث الصراعات الداخلية بين الميول العصابية المتناقضة، كالرغبة في العدوان والرغبة في الاستقلال.

وقد تحدث بين حاجتين عصابيتين أم بين حاجة عصابية وأخرى سوية.

هذا وتميز «هورني» بين عصاب الطبع الأساسي والذي ينشأ عن نوع من تصدع الشخصية، والصراع الداخلي الناجم عن هذا التصدع. وهو مبني على اضطرابات طفلية ليست ذات منشأ بيولوجي. مثال (تقلب المزاج، سوء الطبع، الشك... الخ).

وعصاب الموقف – العارض الذي ينشأ عن مواقف حالية محددة وضاغطة وينتهي بزوال الموقف.

ثانياً - نظرية الحاجات

Personology (علم الشخصية)

هنري موراي، Henry Murray



نبذة عن حياته العلمية:

- ولد في نيويورك عام ١٨٩٣.
- حصل على دكتوراه في الكيمياء الحيوية عام ١٩٢٧.
- أصبح من الأعضاء المؤسسين لجمعية بوسطن للتحليل النفسي عام ١٩٣٧.

- عمل مع مجموعة من الأكاديميين في عيادة هارفرد النفسية، وحاولوا التأكد من أفكار «فرويد» الإكلينيكية على أساس التجريب والبحث العلمي.
- بحوثه، وتدريبه الطبي والبيولوجي دفعاه إلى تأكيد العوامل الفيزيقية والبيولوجية في السلوك.
- تأثر بكل من ليفين، وماكدوجال، والأنثروبولوجيا الحضارية.
- كان اختبار تفهم الموضوع (TAT) الذي وضعه من أكثر الوسائل التجريبية التي يستخدمها الباحثون والإكلينيكيون.

طبيعة الشخصية:

- اهتم بالفهم المتكامل للحالة الفردية ووضع اصطلاح علم الشخصية.
- يرى «موراي» أن ماضي الفرد (تاريخه) له من الأهمية تماماً ما لحاضر الفرد وبيئته من أثر على شخصيته.
- يتفق «موراي» مع التحليلية بـ:
  - أهمية الأحداث التي تقع في بداية العمر ومرحلة الطفولة كمحددات حاسمة لسلوك الراشد.
  - أهمية الدوافع اللاشعورية في حياة الفرد.
  - الاهتمام الشديد والواضح بتقارير الفرد اللفظية الذاتية أم الحرة والتي تتضمن تخيلاته.

وينطلق في تعريفه للشخصية من الاعتبارات التالية:

◆ الشخصية
- تاريخ الفرد الذي يمتد على المدى الكلي لحياة الفرد.
- تعكس السمات المتكررة لسلوك الفرد، والعناصر الجديدة والفريدة لديه.
- هي العامل المنظم للفرد. فتقوم بوظيفة ضبط السلوك بما يوافق التوقعات الاجتماعية، وبتعديل مستويات الطموح، بما يزيد من احتمال بلوغها.
- لا توجد دون مخ (لأنه أكد على الأرضية الفيزيولوجية للشخصية)[*]. ويرى أن الشخصية هي العضو المسيطر العلوي للجسم، وأنها تستقر بالمخ.

[*] كان موراي متسقاً مع خبرته في علم الأحياء.

- المَصُوغة يحددها جزئياً صاحب النظرية[*]، وهذه الصياغة ناقصة أم جزئية وتصمم لخدمة وظائف خاصة معينة، أكثر من أن تصمم للتنبؤ بالسلوك جميعه في كل الأوقات.

١ـ الغائية. الوقائع (Proceedings)، التتابعات (Serials)

يعتقد «موراي» - مثل يونخ - أن السلوك الإنساني يتأثر بكل من السبب والغاية معاً، ويرى أن الأحداث التي تتم في المهد والطفولة، هي محددات رئيسية لسلوكيات الرشد، مع تأكيده أيضاً على تحقيق الأهداف المستقبلية التي يخطط لها الفرد.

ويصنف «موراي» الأحداث أم الوقائع إلى نوعين:

أ - وقائع داخلية مثل أحلام اليقظة، حل المشكلات، التفكير في عزلة.

ب - وقائع خارجية مثل التفاعل المتبادل مع الأشخاص أم الموضوعات في البيئة.

كما يرى أن الفرد يمكن أن ينشغل بعدة وقائع بنفس الوقت (يتابع التلفزيون ويتحدث إلى صديق، ويشرب... الخ).

وهكذا ينظر إلى سلوك الفرد بأنه، عدد من الوقائع المتداخلة التي تحدث بنفس الوقت.

كما يستخدم مصطلح الفترة (Durance) للدلالة على الوحدة الزمنية للحياة والتي تتضمن جميع الوقائع المتداخلة. وأنه من الممكن تقسيم حياة الفرد

---

[*] يتفق مع البورت.

إلى فترات طويلة (طفولة، مراهقة، شيخوخة... الخ) أم إلى فترات قصيرة (الاستجابة الزمنية لمدة دقيقة، أم خبرة صادمة لعدة دقائق... الخ).

ويسمى التوالي المتقطع للوقائع، أم المنتظم تتابعاً، ويرى أنه لا يمكن فهم واقعة واحدة في تتابع دون الرجوع إلى تلك الوقائع التي أدت إليها، ودون الرجوع إلى مقاصد القائم بها، وتوقعاته وخطته للمستقبل.

٢- البرامج المتتابعة والمخططات.

تعد البرامج المتتابعة، ترتيبات منظمة للأهداف الفرعية التي تمتد في المستقبل (ربما لشهور أم سنوات) بحيث تؤدي – إذا سارت الأمور كما يخطط الفرد ويعمل – إلى نهايات سارة. مثل الطبيب الذي يضع أهدافاً فرعية تساعده في الوصول إلى تحقيق هدفه الأساسي.

أما المخططات فيعتبرها وسائل للتخفيف من الصراع بين الحاجات المتنافسة وموضوع الأهداف. وكلما كان الفرد أكثر كفاءة في رسم مخططاته، فإنه يقلل من كمية وشدة صراعاته إلى حد كبير.

وقد جمع موراي بين البرامج المتتابعة والمخططات في اصطلاح الترتيب Ordination الذي يضم وضع الخطة ونتائجها.

٣- القدرة والإنجاز.

اعتبر هاتين الصفتين جزءاً هاماً من الشخصية وتقومان بدور التوسط بين النزعة للفعل ونتائجه.

ونلاحظ في جميع بحوث الشخصية التي قام بها «موراي»، أن تقييم الأفراد يتم في مجالات مختلفة متنوعة من القدرة والإنجاز (بدنية، ميكانيكية، قيادية، اجتماعية، اقتصادية، فكرية... الخ).

٤- الحاجة:

يعرف «موراي» الحاجة بأنها مكون فرضي، ذات قوة ثابتة نسبياً، مصدرها المخ، تنظم إدراكاتنا وتفكيرنا وتصرفاتنا، وتستثار داخلياً أم خارجياً، ويرافقها شعور أم انفعال خاص، وتنزع إلى استخدام أساليب معينة لتدعم اتجاهها، وقد تكون قوية أم ضعيفة، مؤقتة أم مستمرة، لكنها عادة ما تتأثر وتؤدي إلى نمط معين من السلوك الظاهر أم (المُتخيل) يساعد على إصغاء الفرد.[٥٤]

وقد وسع نطاق الحاجات البيولوجية لتشمل (الجوع، العطش، الجنس، ضيق التنفس، إزالة الحالات الجسمية غير المريحة، الحاجة إلى تجنب الألم... الخ).

كما وضع قائمة بالحاجات النفسية.[٥٥]

كما ميز بين مختلف أنماط الحاجات، فهناك:

- الحاجات الأولية ذات المنشأ العضوي (كالحاجة إلى الطعام والشراب، والجنس، والهواء...الخ).

والحاجات الثانوية ذات الأصل النفسي والتي يفترض أنها تُشتق من الحاجات الأولية (كالحاجة إلى الاكتساب والبناء والإنجاز والتقدير والاستقلال... الخ).

- الحاجات الظاهرة (Overt needs) وهي واضحة، تعبر عن نفسها عادة في سلوك حركي مباشر وفوري.

---

(٥٤) وهذا ما يشبه حسن إدارة الأولويات. (موراي، ١٩٣٨، ص١٢٣-١٢٤).

(٥٥) تتألف قائمة «موراي» للحاجات من الحاجات التالية: الحاجة إلى: التحقير، الإنجاز، الانتماء، العدوان، الاستقلال الذاتي، المضادة، الدفاعية، الانقياد، السيطرة، الاستعراض، تجنب الأذى، تجنب المذلة، العطف على الآخر، النظام، اللعب، النبذ، الاحساسية، الجنس، العطف من الآخر، الفهم. (موراي، ١٩٥١).

والحاجات الباطنة (Covert needs) أم الكامنة والتي تُقيد أم تكف أم تُكتسب (كالتخيل والأحلام).

- الحاجات المتركزة Focal needs والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بأنواع محددة من المثيرات البيئية.

والحاجات المنتشرة Diffuse needs وهي الحاجات المعممة والتي يمكن استخدامها في أي موقف بيئي.

- الحاجات الإيجابية البادئة (Proactive needs) والتي تتحدد من الداخل، حيث تصبح حركية نتيجة خصائص داخلية شخصية.

الحاجات الاستجابية (Reactive needs) والتي تنشط نتيجة الاستجابة لبعض الوقائع البيئية.

وقد استخدم «موراي» هذه المفاهيم لوصف التفاعل المتبادل بين شخصين أم أكثر، حيث يمكن تبين أحد الشخصين، بوصفه مبادئاً إيجابياً (يبادئ التفاعل) وتبين الآخر بوصفه استجابياً (يستجيب للأول)...

- حاجات الأداء (Process activity). أي النزعة إلى أداء أعمال معينة بهدف الأداء بحد ذاته (مختلف العمليات العشوائية وغير المنسقة وغير الوظيفية التي تهدف إلى المتعة)، (كالرؤية، والسمع، والتفكير، والكلام) إذا لم يكن منسقاً. وهي عمليات تبدأ منذ الولادة وتستمر بعد ذلك.

حاجات الكمال (Modal needs). أداء شيء على درجة من الكمال والامتياز والجودة وهي تتطلب الاجتهاد والانتظام في الممارسة، مثل العادات الاجتماعية الخيرة، الكفاية الإدارية.

كما تحدث «موراي» عن العلاقة المتبادلة بين الحاجات.

حيث تعمل متفاعلة، وهناك تدرج معين للحاجات عبر عنه بمصطلح – **أولوية القوة** – للدلالة على الحاجات التي تصبح سائدة في إلحاح كبير إذا لم تشبع.

كما يستخدم «موراي» أيضاً مصطلح الصراع (Conflict) بين الحاجات ومصطلح التحام (Fusion) الحاجات. عندما يكون للحاجات المختلفة نفس النتاج السلوكي.

أما مصطلح التبعية (Subsidiation) فيستخدمه للإشارة إلى نوع آخر من العلاقة بين الحاجات، فالحاجة التابعة هي التي تعمل في خدمة حاجة أخرى. بمعنى عندما يكون عمل أي حاجة، مجرد وسيلة لإشباع حاجة أخرى، تكون الأولى تابعة لها.

(مثال): عندما يبدي الشخص حاجات عدوانية تكون مستخدمة لتيسير حاجاته الاكتسابية أم النفعية.

٥- الضغط Press.

رأينا أن مفهوم الحاجة يمثل المحددات المؤثرة في السلوك (داخل الشخص).

أما مفهوم الضغط فيمثل المحددات المؤثرة في السلوك (في البيئة).

والضغط: هو صفة لموضوع بيئي أم لشخص تيسر، أم تعوق جهود الفرد للوصول إلى هدف معين.

وقد وضع «موراي» قائمة للضغوط تنطوي على عدة أشكال منها:

ضغط نقص التأييد الأسري، ضغط الأخطار والكوارث، ضغط الضياع، ضعف الاحتجاز، ضغط النبذ، ضغط التنافس، ضغط ولادة أشقاء، ضغط

العدوان، ضغط السيطرة والقسر والمنع، ضغط العطف على الآخر، ضغط العطف من الآخر، ضغط الانقياد، ضغط الانتماء، ضغط الجنس، ضغط الجذاع، ضغط الدونية.[٥]

هذا ويميز «موراي» بين التفسير الفردي للأحداث الخارجية (كما يدركها الشخص ويفسرها) ويسميها ضغوط بيتا Beta press.

وبين الواقع الحقيقي لهذه الأحداث، ضغوط ألفا (Alpha press).

وغالباً ما يرتبط سلوك الفرد ارتباطاً وثيقاً بضغوط بيتا، ولكن المهم اكتشاف المواقف التي تتسع فيها الهوة بين ضغوط بيتا (التي يستجيب لها الفرد) وبين ضغوط ألفا (الموجودة بالفعل). أما الموضوع Thema فهو وحدة سلوكية كلية تفاعلية تتضمن الموقف الحافز (الضغط) والحاجة الناشطة.

٦- الشحنة الانفعالية والعاطفة (Cathexis and sentiment).

يتبنى «موراي» الاصطلاح الفرويدي التقليدي (الشحنة الانفعالية) للدلالة على قدرة موضوع بيئي على جذب الفرد (شحنة إيجابية) أم صده (شحنة سلبية).

وفي الحالات التي يكون فيها الموضوع جاذباً ومنفراً معاً، فإن الفرد يوصف بأنه متناقض وجدانياً تجاه الموضوع.

أما العاطفة فهي نزعة داخل الفرد، إلى أن ينجذب نحو موضوع ما، أم يبتعد عنه.

باختصار عند الاهتمام بالموضوع يُستخدم مفهوم الشحنة، وحين التركيز على الشخص يفضل استخدام مفهوم العاطفة.

---

[٥] يمكن العودة إلى كتاب نظريات الشخصية، كالفين هول. جاردنر ليندزي، ١٩٧٨.

بناء الشخصية:

تصور الشخصية قوة تنظيمية تكاملية.

ويرى أن **الوظائف العامة للشخصية**: هي أن تمارس عملياتها، وأن تعبر عن نفسها، وأن تتعلم كيف تخفف من إلحاح ضغط الحاجة، وأن تضع برامج متتابعة لتحقيق أهداف بعيدة، وأن تحل الصراعات بطريقة تسمح بتهدئة إلحاح الحاجات الرئيسية، إضافة إلى تعديل مستويات الطموح لزيادة احتمال بلوغها، وضبط السلوك بحيث يوافق التوقعات الاجتماعية.

وقد استعار «موراي» في عرضه لمكونات الشخصية (الأنا، والهو، والأنا الأعلى) من التحليل النفسي، على الرغم من اختلاف وجهة نظره عنهم حول تلك المفاهيم.

الهو: يتفق مع «فرويد» في النظر إلى الهو بوصفه مستودعاً للدفعات البدائية، وفيه أصل الطاقة، ومصدر كل الدوافع الفطرية... الخ. ولكنه يصر على أن الهو يضم دفعات تحظى بقبول من الذات ومن المجتمع (كالطاقات والانفعالات والحاجات الأساسية للشخصية عندما يعبر عنها بصورة مقبولة حضارياً وبوقت مناسب وبمكان مقبول اجتماعياً).(موراي، ١٩٥٢)

وتختلف قوة دفعات الهو من فرد لآخر.

الأنا: ليس مجرد جهاز كف أم كبت، بل يرتب ويضع المخططات، ويسيطر على الطريقة التي يجب أن تظهر بها الدوافع الأخرى. ويعتبر الأنا (كما هو بالنسبة لنظرية التحليل النفسي).

- عامل مركزي لتنظيم وتكامل السلوك، ومحدد هام لتوافق الفرد.
- غرس حضاري مستدمج من الوالدين والمجتمع. حيث تتحدد طبيعة الأنا

بنوع الخبرات التي يتعلمها الطفل من الوالدين، ونماذج السلطة التي يتعرض لها.

الأنا المثالي: ويرتبط بالأنا الأعلى ارتباطاً وثيقاً. ويتكون من صورة مثالية للذات – أي الذات المأمولة – أم مجموعة المطامح الشخصية التي يسعى إليها الفرد.

قد يرتبط الأنا الأعلى بالأنا المثالي (عندما يحقق الفرد أهدافه في ضوء إمكاناته وحدود مجتمعه).

أو قد ينفصل عنه عندما يطمح الفرد لتحقيق أهداف غير واقعية.

لذلك يرى «موراي» أن وظيفة الأنا الأعلى هي أن يصبح الشخص قادراً على التعبير عن حاجاته في ظروف مقررة (متى يعبر عنها؟ وأين؟ وكيف؟ وإلى أي موضوع يجب أن تتجه؟).

وعليه فالأنا الأعلى المعتدل، والأنا القوي المبدع، تسمحان بالتعبير المناسب عن دفعات الهو في ظل ظروف مقبولة حضارياً، وتؤديان إلى التوازن النفسي.

ديناميات الشخصية:

من أكثر إسهامات «موراي» هو تأكيد كفاح الإنسان وسعيه ورغباته ومطالبه وإرادته. كما يرى أن موجهات نشاط الإنسان هو المفتاح إلى فهم السلوك البشري، بما في ذلك مفهوم (الحاجة، الضغط، والتخفيف من التوتر، والموضوع، وتكامل الحاجة، إضافة إلى مفهومي القيمة والموجه).

كما يقرر «موراي» أنه يمكن الاستدلال على وجود الحاجة من خلال:

- أثر السلوك أم نتيجته النهائية.
- الأسلوب الخاص للسلوك المتضمن.

- الانتباه الانتقائي لنوع خاص من مثيرات التنبيه.
- التعبير عن وجدان (انفعال) خاص.
- التعبير عن الإشباع حين يتحقق تأثير خاص، أم الضيق حين لا يتحقق ذلك التأثير.

وأخيراً تعتبر التقارير الذاتية بالنسبة (للمشاعر والمقاصد والأهداف) بمثابة محكات إضافية لتعرف الحاجات.

تطبيقات نظرية موراي:

- الاهتمام بالدراسة المتعمقة لأعداد صغيرة من المفحوصين الأسوياء.
- الاهتمام بالمشكلات الاجتماعية والتأكيد على حاجة المجتمع الإنساني إلى الإصلاح الاجتماعي.
- استخدامه لأدوات قياس الشخصية بما فيها اختبار تفهم الموضوع الإسقاطي (TAT) واختبار (C.A.T) للأطفال، و(S.A.T) للمسنين.

فضلاً عن القياس الموضوعي للحاجات النفسية.

الخلاصة:

ترى «هورني» أن القلق هو استجابة انفعالية لخطر موجه إلى المكونات الأساسية للشخصية. وأن الأفراد يختلفون في نظرتهم للأمور القيمة، وفقاً لاختلاف ثقافاتهم وبيئاتهم ومراحل نموهم. وقد أرجعت العصاب إلى عوامل ثقافية، وتحدث عن الاتجاهات الأساسية التي يمكن أن يلجأ إليها الناس للتخلص من القلق، إما بالتحرك نحو الآخرين، أم ضدهم، أم الانسحاب عنهم.

أما «موراي» الذي يُعد مؤسس علم النفس الإكلينيكي الحديث، فقد أضاف إلى التحليلية عدداً من المفاهيم الجديدة كالحاجة والتوتر، والمخططات، وركز على دراسة الأسوياء أكثر من المرضى، وعلى الغائية والسببية، ونمو الشخصية مدى الحياة. هذا بالإضافة إلى أن طريقته في البحث السيكولوجي وأدواته مازالت متداولة حتى الآن.

الأنشطة والتقويم

- كيف تنظر «كارين هورني» إلى الطبيعة الإنسانية.
- ما هو الجديد عند «هورني» عما هو موجود في التحليلية الفرويدية؟
- هل يمكن للإنسان أن يحقق ذاته المثالية... ضع تصوراً لذلك؟
- ما هي اعتبارات «موراي» في تعريفه للشخصية؟..
- كيف تميز أنت بين القدرة والإنجاز؟
- ما هي العلاقة بين الحاجات والضغوط بشكل عام؟
- أين يلتقي كل من «هورني» و«موراي» وأين يختلفان؟

جامعة دمشق Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الباب الثالث
الشخصية نظام
من الانماط والسمات

يجنح هذا النموذج من النظريات إلى وصف الشخصية، بتوزيع الأفراد إلى أنماط أو سمات محددة

فهناك من أكد في نظريته على صفة عامة أساسية تعد بمثابة المحور الذي تدور حوله كل الصفات الشخصية الأخرى ويعرف هذا التوجه بنظرية الأنماط مثل:

- أبقراط الذي حدد أربعة أنماط للشخصية (الدموي، السوداوي، الصفراوي، البلغمي) حيث يتحدد الطبع وفق غلبة أحد هذه السوائل في الجسم على غيره من السوائل الأخرى.
- وكرتشمر الذي أشار إلى وجود ثلاثة أنماط من الطباع ترتبط بالملامح الجسمية الخارجية وهي (النحيل، والبدين، والرياضي).
- ويوردل الذي ربط الشخصية بالزمر الدموية فصنف الناس إلى أربعة أنماط.
- وسبرانجر يصنف الناس على أساس القيمة التي تسود غيرها من القيم في الشخصية.

ونظراً لأن الكائنات الإنسانية أكثر تعقيداً من أن تصنف في قوائم جاهزة أتت نظرية السمات ولم يقتصر في وصف الشخصية على بعد واحد أو خاصة محددة ورأت أن:

- سمات الشخصية تعكس خواصاً، وصفات شخصية مقررة سلفاً (استعدادات) مسؤولة عن الثبات النسبي في السلوك الفردي.
- الناس يختلفون في مدى ما يمتلكونه من سمة معينة، وأن لا أحد يشبه غيره في جميع السمات، وعليه لدينا تنوع هائل من الشخصيات الإنسانية الفريدة.

من أمثلة هذه النظريات نظرية كاتل، ألبورت، أيزنك، كوستا وماكريه.

الفصل الرابع

نظريات الأنماط

أهداف الفصل وكلماته المفتاحية.

- أن يعرف الدارس مفهوم النمط.
- أن يميز بين نماذج تقسيم الشخصية

أبقراط

أرنست كريشتمر

وليم شيلدون

بوردل

سبرانجر

Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

تنطلق نظريات الأنماط على اختلاف زمانها ومكانها، من الصلة القوية بين البنيان الجسدي والسلوك.

• **أبقراط (القرن الخامس ق.م):** اقترح نماذجاً (Typology) جسمية ونماذجاً مزاجية وتصوراً لسوائل الجسم يتفق مع التأكيد المعاصر على أهمية إفرازات الغدد الصم بوصفها محددات للسلوك.

قدم تصنيفاً مزدوجاً لبناء الجسم، يقسم الأفراد إلى فئتين: البدين القصير القامة والنحيف الطويل القامة. ورأى أن كل نموذج يمكن أن تصحبه أمراض معينة.

وقد اقترح تقسيم الناس إلى أربعة أنماط أساسية من الأمزجة تناظر العناصر المكونة للطبيعة (الهواء، والماء، والنار، والتراب). كما يوجد بالجسم أيضاً أربع مواد سائلة. وتحدد السيادة النسبية لأحدهما، النمط المزاجي الذي سينتمي إليه الفرد. فهناك النمط الدموي ويكون متفائلاً ومرحاً، والنمط السوداوي ويميل إلى الحزن والاكتئاب، والنمط الصفراوي الذي يتصف بالعصبية وتقلب المزاج، والنمط البلغمي الذي يتصف بالتبلد والهدوء.

• **أرنست كريشتمر.** وهو طبيب أمراض عقلية ألماني الأصل. اهتم من خلال ممارسته للطب العقلي، بالصلة الوثيقة بين البنيان الجسمي والسلوك الظاهري، وخاصة فيما يتعلق بنمط السلوك الظاهر في كل من اضطراب الفصام، وذهان الهوس – الاكتئاب. كما ربط بين البنيان الجسمي وبين أشكال السلوك السوية الأخرى.

وقد استخدم قائمة فحص محكمة تمثل الأجزاء الرئيسية من الجسم وحول كل جزء إلى مجموعة من العبارات التي تصفه. وكان الباحث يملأ القائمة خلال وقوف المفحوص عارياً أمامه. ونتيجة للتحليل المركب لهذه التقديرات والمقاييس

الموضوعية توصل إلى وجود ثلاثة أنماط هي :

- الواهن الطويل (Asthenic) وهو ذو جسم طويل رفيع وصدر ضيق، ويغلب عليه الحساسية والخجل والانسحاب.

- البدين (Pyknic) وهو ذو جسم قصير بدين عريض المنكبين ويغلب عليه الحيوية والمرح والاجتماعية.

- الرياضي (Athletic) وهو معتدل القوام، ذو بناء جسمي عضلي قوي. ويميل إلى تقلب المزاج وتذبذبه بين النمطين السابقين.

وقد أضيف فيما بعد نمط آخر هو المختلط (Dysplastic) والذي يشمل مختلف الحالات التي تظهر فيها جوانب بارزة الانحراف في بناء الأفراد.

• وليم شلدون (١٨٩٩).

من مؤسسي علم النفس الجبلي. ويعني هذا المصطلح :

«تشير الجبلية إلى تلك النواحي من الفرد اللامتغيرة والتي هي أكثر ثباتاً نسبياً – المورفولوجيا (الشكل الظاهري)، والفيزيولوجيا (وظائف الغدد الصم... الخ). ويمكن مقابلتها بتلك النواحي التي هي أكثر مرونة وقابلية للتعديل النسبي بوساطة المؤثرات البيئية، كالعادات والاتجاهات الاجتماعية والتربية». (شلدون، ١٩٩٤، ص٤٨٦)

وقد أكد على الأهمية الحاسمة لبناء الجسم الفيزيقي كمحدد أولي للسلوك. وحدد مجموعة من المتغيرات الموضوعية ومقاييس التشخيص التي يمكن استخدامها لوصف البناء الجسمي والسلوك.

وافترض أن هناك بناء بيولوجياً مفترضاً (نمط بنائي Morphogenotype) يكمن وراء البناء الجسمي الخارجي الظاهري (Phenotype) ويؤدي دوراً هاماً في تحديد النمو الفيزيقي، وفي تشكيل السلوك أيضاً.

وقد استخدم لذلك طريقة اختبار النمط البدني التي تنطوي على تحليل صور فوتوغرافية (أمامية وجانبية وخلفية) لعينة كبيرة من طلبة الجامعة وترتيبها وفقاً لمدى وجود أحد المكونات الأولية في تركيبهم الجسمي. ثم عرضها على مجموعة من المحكمين للتأكد من اتفاقهم حول ترتيب هذا المكون. ثم دمج هذه الصفة (المتغير) مع غيرها من المتغيرات التي تم تشخيصها.

وقد تحدث عن ثلاثة أنماط جسمية حسب غلبة أحد المكونات الأولية التالية:

- داخلي التركيب Endomorphy. إذ تنمو العناصر الوظيفية لبناه الداخلية من طبقة الأندودرم الجنينية. ويتميز هذا النمط بالنعومة، والمظهر الكروي.

- متوسط التركيب Mesomorphy. ويستمد الأجزاء الرئيسية في هذا البنيان من الطبقة المتوسطة الميزودرم الجنينية. وهذا النمط صلب شديد مقاوم للإصابات ويتحمل المطالب الجسمية الشديدة.

- خارجي التركيب Ectomorphy. ويغلب على بنائه الجسمي أنه مكون من أنسجة مستخلصة من الطبقة الخارجية (الاكتوؤرمية) الجنينية. وهو أكثر تعرضاً للمنبهات الخارجية بسبب مساحة السطح الكبيرة لديه. وهو بنيان جسمي فقير الاستعداد بالنسبة للعمل الجسمي والتنافس المستمر.

كما استطاع أن يتوصل إلى ثلاثة مكونات أولية للمزاج يشمل كل منها على ٢٠ سمة فرعية[٥] وهي:

---

[٥] لمعرفة المزيد عن هذه المكونات يمكن العودة إلى كتاب نظريات الشخصية لـ كالفين هول، جاردنر لندزي ترجمة: د. فرج أحمد فرج، د. قدري حفني، د. لطفي فطيم، ومراجعة: د. لويس كامل مليكة.

- المزاج الحشوي
- المزاج البدني
- المزاج المخي

هذا وقد ألح «شيلدون» على كلية الكائن العضوي ووحدته مع مجاله.

ورأى أن النجاح الذي يصاحب بعض الاستجابات التي يقوم بها الأفراد هي وظيفة لنوع الشخص (نمط البنيان الجسمي) الذي يقوم بالاستجابة، إضافة إلى وظيفة البيئة التي يحدث فيها هذا السلوك.

وعلى الرغم من قبوله بأهمية المحددات اللاشعورية للسلوك فإنه يميل إلى التسوية بين هذه المحددات وبين العوامل البيولوجية الكامنة.

• بوردل.

ربطت الشخصية بالزمر الدموية وصنفت الناس إلى أربعة أنماط:

- التوافقي وزمرته A ويتصف بالإبداع والابتكار وشدة الحساسية ويستشعر في نفسه حاجة عميقة لأن يعيش مع محيطه بانسجام. وإذا لم يجد تفهماً من المحيطين به ينطوي على نفسه. ويتمثل هذا النمط بالفنان.
- النمط اللحني وزمرة دمه O، ويتصف بقدرته على التوافق والانسجام مع الظروف المحيطة والميل إلى الاندماج مع الناس. ويتصف بالانتهازية وقلة الابتكار والتذبذب في علاقاته. ويغلب هذا النمط بين التجار والسياسيين.
- النمط الإيقاعي وزمرته B، ويعمل وفق تقديره الخاص وإيقاعه الذاتي دون أن يعير اهتمامه كثيراً لتقديرات الآخرين وآرائهم، ويغلب وجود هذا النمط بين العسكريين.
- النمط التوافقي اللحني الإيقاعي وزمرته AB، ولهذا النمط خصائص الأنماط السابقة جميعاً.

وعلى الرغم من أن هذه الأنماط فطرية كالزمر الدموية التي تقابلها (كما ترى بوردل) فإن هذه الأنماط الأساسية يمكن أن ينشأ عنها أنماط فرعية ثانوية تقابل الزمر الدموية الثانوية وترتبط بها.

• سبرانجر. يصنف الناس على أساس القيمة التي تسود غيرها من القيم في الشخصية فحدد ستة أنماط للشخصية:



النظري: والقيمة السائدة لديه هي الوصول إلى الحقيقة والتعليل وتنظيم المعارف.

الاقتصادي: والقيمة السائدة لديه، النفعية، أما اهتماماته فهي اقتصادية وعملية.

الجمالي: القيمة السائدة هي البحث عن الانسجام والاتساق في الأشكال.

الاجتماعي: القيمة السائدة هي محبة الناس والاهتمام بمشاكلهم والانطلاق في التعامل معهم من نظرة إنسانية دافئة.

السياسي: القيمة السائدة لديه هي البحث عن القوة والسيطرة على الآخرين.

المتدين: القيمة السائدة لديه هي وحدة العالم، ويهتم بالخبرات الغامضة وبما هو إلهي في كل الظواهر.

وعلى الرغم من ما تقدمه نظريات الأنماط من آراء، تبعث على الاهتمام، إلا أنها لم تُدعم بالكثير من الدراسات، ثم إن الكائنات الإنسانية أكثر تعقيداً من أن تصنف في قوائم شبه جاهزة ومتمايزة. كأن نقول فلان مرح أم مكتئب، منطو أم منبسط، وكأننا بذلك نزعم إمكانية فهمه في ضوء بعد واحد في شخصيته.

خلاصة:

لقد توجهت نظرية الأنماط إلى التأكيد على صفة عامة أساسية، كانت بمثابة المحور الذي تدور حوله، كل الصفات الشخصية الأخرى.

فقد حدد «أبقراط» أربعة أنماط للشخصية هي الدموي، والسوداوي، والصفراوي، والبلغمي.

أما «كرتشمر» فأشار إلى ثلاثة أنماط ترتبط بملامح الجسم هي النحيل والبدين والرياضي. وتوصل «شيلدون» إلى ثلاثة مكونات أولية للمزاج هي الحشوي والبدني والمخي. أما «بوردل» التي ربطت الشخصية بالزمر الدموية فقد صنفت الناس إلى أربعة أنماط هي النمط التوافقي، واللحني، والإيقاعي، والتوافقي اللحني الإيقاعي.

غير أن «سبرانجر» صنف الناس على أساس القيمة السائدة من قيم الشخصية وكانت أنماطه النظري، والاقتصادي، والجمالي، والاجتماعي، والسياسي، والمتدين.

الأنشطة والتقويم

- ما هو المنطلق النظري لنظرية الأنماط.
- هل تعرف بعض الأنماط التي لم تذكر هنا؟
- أي من هذه الأنماط أكثر دقة في فهم الشخصية؟
- هل يمكن بناء اختبارات موضوعية لقياس الشخصية وفق هذه الأنماط. إذا كانت الإجابة نعم، أم لا، فلماذا؟

جامعة دمشق Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الفصل الخامس

نظريات السمات

أهداف الفصل وكلماته المفتاحية.

أن يعرف الدراس :

- مفهوم السمة
- التمييز بين النمط والسمة والعامل
- طبيعة الشخصية عند :

ايزنك مجموعة الجوانب (المعرفية، والنزوعية، والوجدانية، والجسمية)

كاتل يفسر الشخصية من خلال العوامل المشتركة التي تجمع الوحدات الأساسية في الشخصية. وقد استخدم المفاهيم التالية (السمة، الدفعة الفطرية والدفعة المكتسبة الذات، معادلة التخصص).

ألبورت السمة تدفع السلوك وتحركه. هناك سمات فردية (أصلية – مركزية – ثانوية) وسمات مشتركة.

- تصنيف نماذج الشخصية من خلال التحليل العاملي.

ايزنك (الإنبساطية – الانطوائية)

كاتل السمات (الدينامية، المزاجية، القدرة، سمات السطح، سمات المصدر).

ألبورت (اتساق السمات)

- نمو الشخصية.

ايزنك انتظام الأفعال والاستعدادات بشكل هرمي تبعاً لعموميتها وأهميتها.

كاتل تعديل الدفعات الفطرية، وتفصيل الدفعات المكتسبة، وتنظيم بناء الذات

البورت يتحول الإنسان من كائن بيولوجي إلى فرد عامل من خلال (الأنا المتطور، بناء السمات المنظم والمتسق، الأهداف المستقبلية)

- العوامل الخمسة الكبرى للشخصية.
- نظرية التفاعل بين السمة والموقف.

ويمكن تسمية هذه النظريات أيضاً بنظريات العامل، نظراً لاستخدامها التحليل العاملي عند التحليل الإحصائي للبيانات الكمية.

حيث يبدأ صاحب هذه النظرية دراسته للسلوك بعدد كبير من الدرجات لكل فرد، ومن عدد كبير من المفحوصين من خلال (الاستبانات أم التقديرات أم الاختبارات الموقفية) أم من أي مصدر آخر يتيح قياساً ذا دلالة للسلوك. ويمكن التعبير عنه كماً. ثم يبدأ الباحث في تطبيق طريقة التحليل العاملي لاكتشاف العوامل التي تحدد الاختلاف في المتغيرات الظاهرة.

ومن نتاج التحليل العاملي، عزل العوامل الأساسية، وتوفير تقدير معين لمدى إسهام كل من تلك العوامل في المقياس (تشبّع المقياس بهذا العامل أم ذاك).

والسمة عبارة عن خاصية مستقرة، ودائمة نسبياً للشخصية، تميل بها إلى أداء سلوكات معينة في المواقف المتعددة (santrok, 2003).

وهي أيضاً أبعاد محددة تختلف مواقع شخصيات الأفراد عليها بصورة متسقة وثابتة نسبياً (Baron, Kaisher, 1998) وتتكون الشخصية من عدد من السمات المستقرة التي تكشف ميل الفرد إلى الاستجابة بطرق مستقة في المواقف المختلفة (Kasslyn & Rosenberg, 2004).

وعلى الرغم من أن منظري السمات يختلفون حول السمات التي تكوّن الشخصية، إلا أنهم يتفقون حول كونها (السمات) تمثل اللبنات الأساسية لبناء الشخصية. وهذا ما نراه من خلال الأسماء التالية.



* **ايزنك Eysenck:**

- ولـد في ألمانيـا عـام ١٩١٦، وغادرها عام ١٩٣٤ بتأثير الحركة النازية.
- حصـل علـى الـدكتوراه في علـم النفس من جامعة لندن عام ١٩٤٠.
- استفاد مـن إسـهامات «سبيرمان» و«ثرستون» حول التحليل العاملي.

طبيعة الشخصية:

يعرف «ايزنك» الشخصية بأنها:

«المجموع الكلي لأنماط السلوك الفعلية أم الكامنة لدى الكائن، ونظراً لأنها تتحدد بالوراثة والبيئة فإنها تنبعث وتتطور من خلال التفاعل الوظيفي لأربعة جوانب رئيسية، تنتظم فيها تلك الأنماط السلوكية: الجانب المعرفي (الذكاء)، والجانب النزوعي (الخلق)، والجانب الوجداني (المزاج)، والجانب الجسمي (التكوين). (ايزنك، ١٩٤٧، ص٢٥)

وتحتل مفاهيم السمة Trait والطراز أم (العامل) (Type) مكاناً مركزياً في نظرته للسلوك.

ويرى أن السمة هي اتساق ملحوظ في عادات الفرد أم أفعاله المتكررة.

أما الطراز (العامل) فهو تنظيم ملحوظ من السمات. فالطراز أكثر عمومية وشمولاً ويضم السمة بوصفها جزءاً مكوناً.

ويتصور الشخصية بوصفها تتكون من الأفعال، والاستعدادات التي تنتظم في شكل هرمي تبعاً لعموميتها وأهميتها. وتحتل العوامل (الطراز) أعلى مستويات العمومية والشمولية، كما تحتل الاستجابات النوعية أكثر المستويات نوعية وأقلها عمومية، وبين المستويين تقع الاستجابات المعتادة والسمات.

ويقترح «ايزنك» أن طراز الشخصية يقابل العامل العام.

وأن السمة تقابل العامل الطائفي.

وأن الاستجابة المعتادة تقابل العامل النوعي.

وأن الاستجابة النوعية تقابل عامل الخطأ.

كما يقترح نفس التنظيم في المجال المعرفي، حيث تكون الأيديولوجية أكثر المفاهيم عمومية يليها الاتجاه، ثم الرأي المعتاد، ثم الرأي النوعي.

ويرى أيضاً أن السمة يجب أن تعرف إجرائياً، وأنها تستمد أهميتها من مدى إسهامها في التعريف العام للأبعاد الكامنة للشخصية أم نماذجها (طرزها).

نماذج الشخصية:

استخدم منهج التحليل العاملي لدراسة بنية الشخصيات السوية والمضطربة، وكان ذلك من خلال تحليل الإجابات التي وردت على استبانة وزعها في أكثر من بلد في العالم، واستنتج إمكان تصنيف الناس على أساس ثلاثة عوامل أم أبعاد أساسية هي: (Eysenck, 1992)

- الذهانية: ويظهر على الناس ذوي الميول الذهانية Psychoticism القوية سمات من مثل الوقاحة، والعدوانية، والبرود، وغرابة السلوك ورفض التقاليد الاجتماعية. أما الذين لا تظهر عليهم مثل هذه الميول فلا يعبرون عن هذه السمات.

• **الانطوائية – الانبساطية:** يميل الانبساطيون إلى النزعة الاجتماعية والانفتاح والميل إلى المخاطرة والرغبة في الإثارة والتغيير.

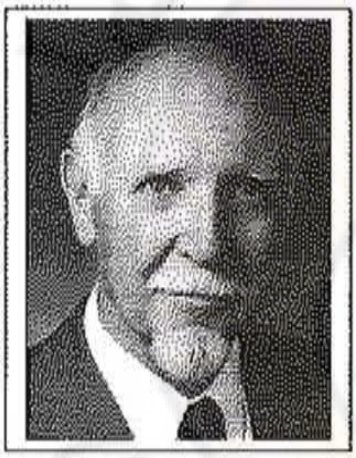
أما الانطوائيون فينزعون إلى الهدوء والتحفظ ويستمتعون بالوحدة ليحاسبوا أنفسهم، فضلاً عن أنهم يتجنبون الإثارة والتفاعل مع الآخرين.

• **الانفعالية – الثبات (العصابية):** يتصف الانفعاليون بالمزاجية والتقلب والقلق والانزعاج وغيرها من الانفعالات السلبية. أما الثابتون انفعالياً فيتسمون بالهدوء والارتياح والثبات الانفعالي.

وأكثر الأبعاد السائدة بين الناس هو الانبساطية – الانطوائية ويليه بعد الانفعالية – الثبات. وتتقرر سمات الشخصية بشكل رئيسي حسب «ايزنك»، في ضوء موقع الشخص على هذه الأبعاد الثلاثة. وقد عزا «ايزنك» الجذور الأساسية للتنوع في الشخصية إلى الفروق الموروثة للدماغ.

نظرية السمات القياسية

Psychometric Trait Theory



- **رايموند كاتل** Raymond Cattell:

- ولد في إنكلترا عام ١٩٠٥، وحصل على دكتوراه في علم النفس عام ١٩٢٩ من جامعة لندن ثم نال درجة الدكتوراه في العلوم D. Sc عام ١٩٣٧ من جامعة لندن لإسهاماته في بحوث الشخصية. وقد شغل عدة مناصب علمية في كل من إنكلترا والولايات المتحدة الأمريكية.

- اهتم بطريقة التحليل العاملي، وهو يدين بذلك لعمل «سبيرمان» و«ثرستون». كما تأثر بمكدوكال الذي كان يهتم باكتشاف الأبعاد الأساسية للسلوك، وتأكيده على عاطفة تقدير الذات، وترتبط صياغة بعض تفاصيل نظريته بصياغة فرويد والتحليليين التابعين له.

تركزت معظم أبحاثه على الشخصية والقياس العقلي والموضوعات التجريبية في علم النفس الاجتماعي، وعلم الوراثة البشري. ربط بين التعليم الأكاديمي والخبرة الأكلينيكية.

كما وضع العديد من الاختبارات مثل الاختبار عبر الحضاري للذكاء ١٩٤٤، واختبارات O-8 للشخصية ١٩٥٤ واختبار الـ١٦ عاملاً من عوامل الشخصية ١٩٥٠ بالاشتراك مع سوندرز وستايس.

من إسهاماته تأسيس جمعية علم النفس التجريبي ١٩٦٠ وكان أول رئيس لها، ومعهد قياس الشخصية والقدرة بـ «ليونز».

طبيعة الشخصية:

يرى «كاتل» أن دراسة الشخصية مرت بمراحل انتقالية هي:

- الأفكار الفلسفية والأدبية التي وردت في كتابات الفلاسفة اليونان والعرب والمسلمين قبل أن يتبلور علم النفس بصورته الراهنة (مثل أبقراط – الفارابي – الغزالي – ابن سينا... الخ).

- المرحلة التجريبية على يد فونت في ق١٩.

- المرحلة الاكلينيكية التي اعتمدت على الطرائق الاسقاطية وافتقدت إلى التجريب والقياس ومن روادها فرويد وادلر ويونغ.

- مرحلة الاتجاه العلمي القائم على القياس والتحليل الإحصائي للشخصية، بما فيها طريقة التحليل العاملي. ويقوم التحليل العاملي في البحث العلمي على الوحدات الأساسية في الشخصية، التي يجمعها عوامل مشتركة، بحيث تعطي هذه العوامل تفسيراً أفضل للسلوك.

يرى «كاتل» أن على صاحب نظرية الشخصية أن يحيط بالمفاهيم الكاملة التي يستخدمها في دراسة السلوك، ولذلك يقدم تعريفاً بالغ الأهمية «الشخصية هي تلك التي تمكننا من التنبؤ بما سوف يفعله الشخص في موقف معين».(كاتل، ١٩٥٠، ٣٠٢)

ويتضح التخصيص الأكثر تفصيلاً لطبيعة الشخصية من خلال عرض المفاهيم الرئيسية التي استخدمها «كاتل» وهي: السمة Trait، والدفعة الفطرية Erg، والدفعة المكتسبة Metaerg، والذات Self، ومعادلة التخصيص Specification equation.

• السمات الديناميـة:

تُعد السمة بالنسبة له «بنياناً عقلياً» أم استنتاجاً نقوم به من السلوك الملاحظ، لتفسير اتساق هذا السلوك.

ويتفق مع «ألبورت» بأن هناك سمات مشتركة يتسم بها الأفراد جميعاً (خبرات اجتماعية معينة) وأن هناك سمات فريدة لا تتوافر إلا لدى فرد معين.

ويقسم السمات الفريدة إلى سمات فريدة نسبياً (تستمد تفردها من فروق طفيفة في ترتيب العناصر التي تكون السمة)، وسمات فريدة جوهرياً (يتسم الفرد بسمة مختلفة جوهرياً ولا يتسم بها أي شخص آخر).

وقد ميز أيضاً بين سمات السطح Surface traits والتي تمثل عدداً من المتغيرات الظاهرة والمتلازمة. وسمات المصدر Source traits والتي تمثل المتغيرات الكامنة التي تتدخل في تحديد مظاهر السطح المتعددة.(ليندزي، ١٩٧٨)

ويعتبر «كاتل» سمات المصدر، أكثر أهمية من سمات السطح نظراً لدقة وصفها، وقلة عددها. أما السمات السطحية، فهي نتيجة لتفاعل سمات المصدر ويُتوقع أن تكون أقل ثباتاً وأكثر عدداً. وقد توصل إلى ٢٠ سمة اعتبرها مصدرية(*) – يمكن استخدامها في تفسير السمات السطحية وبيان العلاقات القائمة بينها (مثال قد نلاحظ فرداً متعجلاً، مظهرياً، وقَلِقاً وغيرها من السمات

(*) من السمات المصدرية التي أشار إليها: متحفظ – منفتح، متهيج – مستقر، ذكي – غبي، خجول – جريء، مرح – مكتئب، واثق – شكاك، عملي – خيالي، محافظ – متحرر، حساس – فظ، مغامر – جبان، مسيطر – خاضع. ويقع الناس على خط متصل بين هاتين السمات المتناقضة.

السطحية التي تنبع من سمة مصدرية عامة هي التهيجية).

ويرى أيضاً أن أي سمة مفردة، قد تمثل نتاج فعل عوامل البيئة، أم العوامل الوراثية، أم مزيج منهما معاً. وأنه يمكن تقسيم سمات المصدر إلى سمات بيئية التشكل، وسمات تكوينية تعكس العوامل الوراثية.

وقد كانت طريقة «كاتل» في استخراج سمات المصدر من خلال:



بتوفير أكبر عدد من التقديرات السلوكية على مختلف الأبعاد، لمجموعة من الأفراد، ثم تعريض تلك المجموعات من الدرجات للتحليل العاملي[٥].

أما سمات السطح فيقدمها «كاتل ١٩٤٦» من خلال فهرس رقمي تصنيفي، وعنوان وصفي مختصر، وقائمة من المتغيرات التي تتكون منها مجموعة السمة. ومن أمثلة هذه السمات (النزاهة الغيرية، مقابل عدم تحمل الأمانة، وعدم تحمل المسؤولية، الطفلية والاحتياج والتمركز حول الذات مقابل النضج الانفعالي وتحمل الإحباط، الكياسة والتفكير المنظم مقابل الحماقة ونقص الإرادة الواضح، التأكيد الاجتماعي الفج والميل للاستعراض مقابل إطاعة السلطة والتواضع).

---

[٥] لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع يمكن العودة إلى نظريات الشخصية تأليف كالفين هول، جاردنر ليندزي، ط٢، ١٩٧٨، ترجمة د. فرج أحمد فرج وآخرون.

- **الدفعات الفطرية، والعواطف، والاتجاهات.**

يتفق كل من «ألبورت» و«موراي» بأن السلوك الإنساني يُنشط ويوجه نحو أهداف معينة بوساطة السمات الدينامية وأن بعض هذه السمات فطري، وبعضها الآخر مكتسب (كالعواطف والاتجاهات). ويُرجع «كاتل» الدوافع الفطرية إلى دفعات فطرية Ergs (وهي مشتقة من الكلمة اليونانية Ergon أي الطاقة).

وباستخدام التحليل العاملي أيضاً استطاع أن يحدد (عشرة دفعات فطرية محددة الاسم والصفة)[٥]، و(ستة دفعات فطرية مؤقتة الاسم، بمعنى يمكن تعديل مسمياتها فيما بعد)[٥٥]، لها صفة الدوام النسبي ولكنها تختلف في قوتها من شخص لآخر. ولكل دفعة فطرية معرّفة أم مؤقتة انفعال خاص.

- **الدفعات المكتسبة Metaergs.**

تعد سمة مصدر دينامية ذات تشكيل بيئي. وهي بذلك توازي الدفعات الفطرية في الأهمية، إلا أنها، نتيجة لعوامل الخبرة، وعوامل اجتماعية حضارية، وليست لمحددات تكوينية، والدفعات الفطرية تظهر — إلى حد بعيد عند الميلاد — أما الدفعات المكتسبة لا تظهر إلا مع التطور.

ومن الدفعات المكتسبة (الاتجاهات والميول والعواطف).

---

[٥] الدفعات الفطرية (الطعام، الجماع، الاجتماعية، الحماية الوالدية، الاستكشاف، الأمان، توكيد الذات، النرجسية الجنسية، المشاكسة، الولع بالكسب).

[٥٥] الاستغاثة، الراحة، الاستدلال، إذلال الذات، الاشمئزاز، الضحك.

• **التبعية.**

ويستخدم «كاتل» مفهوم التبعية لاكتشاف العلاقة المتبادلة بين السمات الدينامية، وبذلك فإن التمييز بين الدفعة الفطرية، والعاطفة، والاتجاه، والميل يتم وفقاً لتسلسل التبعية. فجميعها سمات دينامية، إلا أن الميول تابعة للعواطف، في حين أن العواطف عادة، تابعة للدفعات الفطرية.

ويرى «كاتل» أن الفرد في محاولته الوصول إلى أهدافه الفطرية، لا يتبع بالضرورة طريقاً مباشراً، فقد يسلك طريقاً أقل مباشرة سماه الدوران الطويل Long-circuiting.

وتُعد أغلب الأشكال المشتقة من الدافعية بمثابة دورانات طويلة، ناجمة عن عوائق الإحباطات التي تعترض سبيل الوسائل المباشرة الموصلة للهدف والمفضلة فطرياً.

وعلى الرغم من إشارته إلى القابلية المستمرة لتعديل السمات، فقد أوضح كذلك النزعة المستمرة لدى الكائن لمقاومة التغيير والمحافظة، وهذا ما سماه بجمود الاستعداد disposition rigidity وهذه النزعة تختلف من سمة لأخرى، ومن فرد لآخر. وعموماً فإن أشكال السلوك، التي تم اكتسابها أولاً تكون أكثر مقاومة للتغيير. بمعنى، أن الدفعات الفطرية عادة ما تكون أكثر دواماً وثباتاً من السمات الدينامية المشتقة والتالية لها.

ويرى أن السمات الدينامية تؤدي دوراً في تفسير السلوك (لماذا نفعل ما نفعله) وأن السمات المزاجية وسمات القدرة تهتم بالأسلوب ومدى النجاح الذي نحققه.

وقد أخضع «كاتل» قائمة «ألبورت» للسمات التي تضم (٤٠٠٠ – ٥٠٠٠)

سمة للتحليل العاملي، وقام بتحديد عدد أقل من السمات المصدرية والتي تم ترتيبها حسب أهميتها، حيث تتضمن سمة قدرة واحدة هي العامل الثاني B وهو الذكاء، أما العوامل الأخرى، فهي سمات مزاجية وكل عامل يتدرج على خط متصل، فأي فرد يحصل على درجة تتراوح بين المنخفض والمتوسط والمرتفع، كما أن العوامل التي تحمل الرمز Q والتي تشمل (الراديكالية، وكفاية الذات، التنظيم الذاتي، والتوتر) هي العوامل التي تظهر من التحليل العاملي للنتائج التي تم الحصول عليها من خلال التقريرات الذاتية على اختبارات مكتوبة Q. Data. في حين أخذت العوامل الأخرى من كل من L & Q.Data.

كما قام «كاتل» بإعداد اختبار العوامل الستة عشر للشخصية والذي يقيس السمات المصدرية (P.F١٦) وقام بتطبيقه على أفراد يعملون بمهن مختلفة، وعلى مجموعات تشخيصية متباينة. ولهذا المقياس عدة صور B, C, D.

وقد قام سيد عبد الرحمن وصالح أبو عباة بترجمة هذا المقياس (بالصورة التي أعدها كروج وكاتل وأعضاء معهد قياس الشخصية والقدرة عام ١٩٨٠) وقاما بتقنين الجزء الأول منه عام ١٩٩٤ والثاني ١٩٩٧. ويتكون المقياس المذكور من ٢٧٢ بنداً تنقسم إلى جزئين يتكون الأول منها من ١٢٨ بنداً تغطي السمات السوية للشخصية الموجودة في P.F.١٦.، أما الجزء الثاني فيتكون من ١٤٤ بنداً تغطي السمات المرضية الموجودة في MMPI بالإضافة إلى وصف أكبر للسمات الاكتئابية.

أما العوامل الستة عشر فهي:

- العامل A التعاطف / الجفاء (التآلف)
- العامل B الذكاء
- العامل C قوة الأنا
- العامل E السيطرة / الخضوع (السيطرة)
- العامل F الاندفاع / التروي (الإندفاعية / الحماس)
- العامل G قوة الأنا الأعلى (الامتثال أم الانسجام)
- العامل H الجرأة / الحياء
- العامل I الطراوة مقابل الصلابة (الحساسية)
- العامل L الارتياب أم الشك مقابل التقبل
- العامل M الرومانتيكية / الواقعية (التخيل)
- العامل N الدهاء مقابل السذاجة
- العامل O الاستهداف للذنب مقابل الثقة بالنفس (عدم الأمان / الاطمئنان)
- العامل Q_1 الراديكالية / المحافظة
- العامل Q_2 كفاية الذات / الافتقار إلى حسن التصرف
- العامل Q_3 قوة اعتبار الذات / ضعف اعتبار الذات (التنظيم الذاتي)
- العامل Q_4 التوتر / الاسترخاء.(سيد عبد الرحمن، ١٩٩٨)

• مفهوم الذات:

تعتمد وجهة نظره عن الذات على تصورات التحليل النفسي في الأنا والأنا الأعلى وتعكس أيضاً اهتمام ماكدوجال بعاطفة اعتبار الذات.

يرى أن الذات البنائية – أم الذات المشتقة أم عاطفة الأنا – هي بمثابة المنظم الرئيسي الذي يؤثر على السمات الدينامية في تفاعلها المعقد. وعليه فإن قيام أي سمة بعملها يتضمن بعض المشاركة من (عاطفة الذات).

وكلما كانت السمة أكثر اتساقاً مع الذات يسهل عليها التعبير عن نفسها.

أما السمات التي تنفصل عن الذات فتعكس مركبات عصابية، أم حالات مرضية.

كما ميز بين الذات الفعلية real self وهي الفرد كما هو في أكثر لحظاته منطقية. والذات المثالية ideal self وهي الفرد كما يود أن يرى نفسه.

وعليه فالذات الفعلية تكون في بداية التطور – بمثابة انعكاس غير كامل للذات المثالية، وقد تعتبر تابعة لها. ومع مرور الوقت والتطور السوي تتكامل هاتان الذاتان في حدود ما تمليه عاطفة الذات.

نمو الشخصية:

تنطوي عملية النمو لدى «كاتل» على تعديل الدفعات الفطرية، وتفصيل الدفعات المكتسبة، وتنظيم بناء الذات.

ويتوقف مدى سهولة هذا النوع من النمو والتعديل على الذكاء، وعلى مقدار جمود الاستعداد، وقوة الذاكرة.

وقد اهتم «كاتل» بالإشراط التقليدي، والتعزيز، وقانون الأثر. ورأى أن الاستجابات التي يتعلمها الفرد هي تلك التي تقرب المسافة بينه وبين الهدف. وقد يلجأ الفرد في تعلمه إلى المحاولة والخطأ أحياناً.

كما تحدث عن العوامل المؤثرة على نمو الشخصية وحصرها بـ:

١ - الوراثة مقابل البيئة، حيث تمت معظم دراساته في هذا المجال على التوائم والأخوة الأشقاء، بعضهم تمت تربيتهم معاً في نفس المنزل، وبعضهم الآخر تمت تربيتهم في بيئات مختلفة. ورأى أن عاملي الوراثة والبيئة يعملان معاً على تقوية أم إضعاف بعض السمات.

٢ - التعليم، عن طريق الاشراط الكلاسيكي والإجرائي يستطيع البشر تحقيق أقصى درجة من الإشباع لطاقاتهم الفطرية عن طريق إظهار أم كبت بعض الدفعات الفطرية في أي لحظة، والتعبير عن بعضها الآخر. ويحمل هذا التعلم التكاملي بعض أوجه الشبه مع العملية الثانوية في نظرية «فرويد» ولكن «كاتل» ينظر إليها على أنها تتضمن الأنا الأعلى والأنا معاً(عبد الرحمن، ١٩٩٨).

٣ - أنماط السلوك الوالدي، حيث يناقش أثر الوالدين على شخصية الأبناء من خلال السمات المصدرية. فيربط بين سمة التعاطف والخلفية الأسرية المتسمة بالدفء والحنان، وتكون قوة الأنا مرتفعة بين الأطفال الذين يفضّل والديهم المناقشة والحوار على العقاب. وتشيع سمة السيطرة في الأطفال الذين يتصف والديهم بالتسلطية. وتكثر سمة التردد لدى أبناء الآباء الذين يظهرون مزيداً من الضغط لسلوك أبنائهم وهكذا.

٤ - الترتيب الميلادي، أوضحت دراساته في هذا المجال، أنه يغلب على الطفل الأول أن يظهر درجة مرتفعة من قوة الأنا والسيطرة وسمة المحافظة، في حين يتصف الطفل الوحيد بدرجة مرتفعة من سمة المحافظة وقوة اعتبار الذات في حين يميل الأطفال في الأسرة التي يوجد فيها عدد كبير من الأطفال إلى الاندفاعية.

كما تحدث عن وجود ارتباط موجب بين حجم الأسرة ودرجة التوتر لدى الأبناء.

٥ - الجنس. حيث حققت الإناث من خلال دراساته درجات أعلى من الذكور في سمات التعاطف، والامتثال والحساسية والتخيل والذهاء وعدم الأمان والتوتر، في حين حقق الذكور درجة أعلى في الثبات الانفعالي، والسيطرة، والجرأة، والتنظيم الذاتي بينما لم توجد فروق بين الجنسين في كل من الذكاء، والارتياب، والراديكالية، وكفاية الذات.

وقد رأى «كاتل» أن السمات المصدرية تتطور عبر الزمن.

لقد أسهم «كاتل» بتأسيس نظرية قائمة على البحث التجريبي، وانطوت أبحاثه على تنوع كبير في أساليب القياس، وطرائق التفسير السيكولوجي، وعلى أعداد كبيرة من الثقافات والجنسيات، إضافة إلى وصفه للشخصية الإنسانية في حالات المرض والسواء.

سيكولوجيا الفرد عند «البورت»

(نظرية السمات)

Ahumanistic Trait Theory
Gordon Allport



لمحة عن حياته:

- ولد جوردن ألبورت في ولاية انديانا الأمريكية عام ١٨٩٧.
- حصل على ليسانس في الاقتصاد والفلسفة عام ١٩١٩ والدكتوراه في علم النفس عام ١٩٢٢.
- تركزت اهتماماته على التدريس، وعلى القضايا ذات الطابع الأخلاقي والاجتماعي.

- ساهم في حركة الجمع بين علم النفس وعلم الاجتماع والانثروبولوجيا، وساهمت خبرته المكثفة هذه في تطور اهتمامه بالشؤون العالمية.
- نال التكريم المهني أكثر من مرة.
- تميز بالانفتاح الفكري واطلع على مختلف المدارس السيكولوجية وانتقى الجيد من كل نظرية، ليوحدها في كل متكامل.

تنطلق الأسس النظرية لألبورت من:

- تعقد السلوك الفردي الإنساني وتفرده.
- يمثل الفرد نتاجاً للحاضر أكثر منه نتاجاً للماضي.
- أهمية العناصر الشعورية الإيجابية للدوافع بما في ذلك مفهوم (الأنا) و(الذات).
- اتساق السلوك الداخلي محدد بعوامل راهنة.
- يجب الفصل بين ← السلوك السوي والسلوك الشاذ (وعدم تفسير السلوك السوي من خلال السلوك الشاذ)
  ← الطفل والراشد
  ← السلوك الحيواني والسلوك الإنساني بسبب التعقد الفريد المميز للسلوك الإنساني.

وقد اتجهت أعماله نحو المشكلات التجريبية أكثر من اتجاهها نحو تحقيق وحدة نظرية أم منهجية فتصدى لمشكلات مثل (الإشاعة، التعصب، سيكولوجيا الدين، طبيعة الاتجاهات) معتمداً الأسلوب التوفيقي التكاملي.

بناء الشخصية وديناميانها:

يتم عرض بناء الشخصية عند «ألبورت» من خلال مصطلح السمات، حيث إن السمات هي التي تدفع وتحرك السلوك. وبالتالي نرى أن مفهوم البناء والديناميات شيئاً واحداً عند «ألبورت».

وعلى الرغم من اهتمامه بمصطلحات مثل الفعل المنعكس الشرطي، والعادة، والاتجاه، والذات، والشخصية، إلا أنه ركز على مفهوم السمة،

إضافة إلى الاتجاهات والمقاصد. وتحتل السمات عنده موضع القوة الدافعة الرئيسية. فهي تقابل الحاجة عن «موراي»، والغريزة عند «فرويد»، والعاطفة عند «ماكدوجال».

■ **السمة:**

يعرف «ألبورت» السمة بأنها «نظام نفسي عصبي يتميز بالتعميم والتمركز (يختص بالفرد) ولديه القدرة على نقل العديد من المنبهات المتعادلة وظيفياً، وعلى الخلق والتوجيه المستمرين لأشكال (متعادلة) من السلوك التعبيري والتوافقي».(ألبورت، ١٩٥٣)

ويرى أن السمة والاتجاه عبارة عن استعدادات مسبقة للاستجابة، وأن كل منهما قد يكون فريداً ويعملان على توجيه السلوك، ويميز بينهما في

- السمة أكثر عمومية من الاتجاه
- الاتجاه يتضمن تقييماً (بالقبول أم بالرفض) للموضوع الذي يتجه إليه، في حين أن السمة ليست كذلك.

السمات المشتركة «Common Traits»

على الرغم من تفرد الشخصية، فإن بعض المتغيرات البيئية ونمط الثقافة تجعل هناك تشابهاً بين الأفراد في أساليب التكيف (سمات مشتركة) لدى أغلب الأفراد الذين يتأثرون بهذه الثقافة، ويمكن أن تسمى هذه السمات سمات جمعية، ولكنها لا يمكنها أن تعطينا أكثر من مجرد مظهر تقريبي لأي شخصية، لأن طريقة عمل السمات تختلف من شخص لآخر.

مثال: قد يكون من يتسم بالسيطرة عدوانياً متردداً، أم انقيادياً خجولاً.

وقد يكون زيد وعمر من الناس عدوانيين، ولكنهما لا يتطابقان في نوع العدوانية. فالمقارنة هنا تتطلب السند الموضوعي باستخدام الاختبارات والمقاييس للمقارنة.

السمات الفردية «Personal Traits»

وهي السمات التي يتفرد بها الشخص عن الآخرين، وتحدد طريقته في السلوك، وتحدد المعالم المميزة لشخصية الفرد عن غيره من الأفراد. وهنا يميز «ألبورت» بين:

السمات الأصلية (وهي البارزة – ويشتهر بها الفرد وتظهر لديه في كل المواقف) كأن يُقال أكرم من حاتم الطائي، وأعدل من عمر، وأهمق من هبنقة... الخ. فهذه السمة هي السائدة عند الفرد والتي توجه سلوكه في كل المواقف، ومهما كانت الظروف.

السمات المركزية وهي أكثر شيوعاً من السمات الأصلية، وتمثل الميول التي تميز الفرد، وقد لا يتجاوز عددها ٥ إلى ١٠ سمات ولكنها تسمح بالتعرف على الشخصية بقدر معقول من الدقة.

السمات الثانوية وهي أقل حدوثاً، وأقل أهمية في وصف الشخصية وأكثر تركزاً من حيث الاستجابات التي تؤدي إليها، والمنبهات التي تناسبها. هذا وقد تتصف هذه السمات بالإيجابية أم السلبية.

وبعض هذه السمات تكون موجهة بوساطة السمات المركزية.

وتحدث أيضاً «ألبورت» عن السمات التعبيرية التي تؤثر على شكل السلوك وتلونه (كالميول والقيم والغايات) والسمات الاتجاهية ذات التأثير في مجالات خاصة معينة من مجالات الحياة (اتجاهات سياسية، دينية، إنسانية... الخ).

أما عن عمل السمات، فتميل السمة إلى أن يكون لها مركز تمارس حوله

تأثيرها، ولكن السلوك الذي ينتج عنها يتأثر بنفس الوقت وبوضوح بالسمات الأخرى. وليس هناك حدود واضحة تفصل بين سمة وأخرى، ويحكم هذا التدخل ممارسة السمات الفردية لوظائفها، بمعنى أن السمة تتضمن الاتساق.

ويهتم «ألبورت» بمقاصد الفرد وأهدافه في المستقبل، أكثر من اهتمامه بماضيه، وهو بوجهة النظر هذه يتشابه مع وجهة نظر «أدلر» و«يونغ».

■ **الجوهر:**

على الرغم من أن «ألبورت» قد عرف بأنه من علماء نفس الأنا ego أم حتى الذات self فقد اقترح تسمية جميع وظائف الذات أم الأنا التي وردت في النظريات الأخرى بالوظائف الجوهرية Propriate للشخصية، وقد حددها بثمانية أشكال متميزة للشخصية يتم تنميتها خلال فترات متباينة من حياة الشخص وهي الإحساس بـ:



نمو الشخصية:

يرى أن الكائن الحي مخلوق بيولوجي (عند ولادته) ثم تحول إلى فرد يعمل في ضوء المحددات التالية:

- الأنا النامي (المتطور).
- بناء السمات المتسع والمنظم والمتسق.
- مجموعة من المقاصد والأهداف المستقبلية.

مع التركيز على الدور الهام للاستقلال الوظيفي (استقلال دوافع الراشد في أغراضها عما كانت عليه في مرحلتي الطفولة والمراهقة) في هذا التحول.

محكات الشخصية الناضجة عند «ألبورت»

نظراً لاهتمامه بدراسة الشخصية الراشدة السوية فقد قام بصياغة محكات الصحة النفسية كما يلي:

١ - اعتناق فلسفة موحدة، تجعل الفرد قادراً على مواجهة مشكلات الحياة ومصاعبها ويرى «ألبورت» أن فلسفة الحياة «نظام من القيم مرتب في نسق معين» ويمثل الدين مصدراً مهماً لهذه الفلسفة.

٢ - القدرة على امتداد الذات، بحيث لا تتقيد حياة الفرد في إشباع حاجاته الأولية فحسب بل يتوجه نحو التخطيط لمستقبله وتحقيق ذاته.

٣ - تكوين علاقات اجتماعية تآلفية مع الآخرين بعيدة عن الحقد والأنانية والغيرة إضافة إلى شعوره بالمسؤولية نحو الآخرين.

٤ - الأمن الانفعالي وتقبل الذات. فالشخصية الناضجة تحل مشكلاتها بطرائق فعالة ولا تقع فريسة مشاعر الإحباط أم خيبة الأمل، كما تستطيع الاستفادة من خبراتها الماضية، مع تقبل قدراتها وإمكاناتها، مما يضفي على حياتها الشعور بالأمن والتماسك.

٥ - التوجهات الواقعية والموضوعية نحو الذات والعالم الخارجي.

٦ - الاستبصار بالذات والقدرة على فهمها، وإقامة علاقات إيجابية معها والتمتع بروح الفكاهة والمرح.

وهكذا فدرجة سواء الفرد من وجهة نظر «ألبورت» هي مقدار تحاشي الفرد الدوافع اللاشعورية، ودرجة استقلالية سماته عن أصولها الطفلية.

وفي كل الأحوال، لا يوجد شخص يتمتع بكل هذه المحكات، وليس من الضروري أن تعبر هذه المحكات بكفاءة عن العمر الزمني. فقد يعكس بعض الراشدين درجة كبيرة من النضج أم عدم النضج.

إسهامات «ألبورت»

لقد كان مفهومه عن السمة نتيجة لاهتمامه بوحدة مناسبة لقياس الشخصية، إضافة إلى اهتماماته بالتغيرات التطورية التي تحدث للدوافع (الاستقلال الوظيفي) وتميزه بين دوافع الطفل ودوافع الراشد، وتأكيده على الغائية من السلوك، وتعمقه في دراسة الجوهر، وتقديمه محكات للصحة النفسية أكثر اتساعاً عمن سبقوه. كما كان لاهتمامه بالسلوك التعبيري دوراً في إلقاء الضوء على طرق التواصل، ولغة الجسد.

وهذه الإسهامات كان لها أثرها البعيد في تطور الفكر السيكولوجي من خلال ما أثارته في نفوس العلماء من أبحاث (تقويمية، تكميلية، ناقدة).

العوامل الخمسة الكبرى للشخصية

(The Big Five personality Factors)

اهتدى كل من «كوستا» و«ماكريه» (Costa & Maccrae, 1992) من خلال تطبيق التحليل العاملي إلى وجود خمسة عوامل عليا، ثابتة نسبياً خلال مراحل الحياة، وعبر ثقافات متعددة، تصف الأبعاد الرئيسية للشخصية يقع كل عامل (سمة عليا) منها على متصل، بحيث يقع اسم العامل على أحد طرفي المتصل. وتسمى هذه العوامل العليا أحياناً بنموذج العوامل الخمسة أم الخمس الكبرى (Baran & Kalsher 1998, Santrock, 2003, Myears, 2004).

والجدول التالي يوضح هذه العوامل.(مأخوذ عن Kosslyn& Rosenberg, 2004)

العوامل العليا	السمات
الانبساطية (Extroversion) وتسمى أيضاً الاجتماعية	الدفء، الاجتماعية، البحث عن المتعة، العواطف الإيجابية
العصابية (Neuroticism) وتسمى أيضاً الانفعالية	القلق، العدوان، الاكتئاب، الاندفاعية، الحساسية للنقد
المقبولية (Agreableness)	الثقة، الخضوع، الحشمة، الإيثار، الاستقامة
الضميرية (الإنجاز) وفقاً لما يمليه الضمير Conscientiousness ويسمى أيضاً الاعتمادية	التنافس، النظام، الكفاح من أجل التفوق، القصدية، انضباط الذات، الشعور بالواجب
الانفتاح على الخبرة opernes to Experience	المغامرة، الرياضة، المشاعر، الفاعلية، الأفكار، القيم، الاستقلالية

وفي ضوء مقاييس الشخصية التي يستخدمها الباحثون، فإن عدداً من السمات الفرعية (المنفردة) المختلفة يمكن أن تشكل في مجموعها عاملاً من العوامل الخمسة العليا. وقد لا يتفق الباحثون حول أسماء تلك العوامل. ولكن العوامل التي وردت في الجدول السابق هي الأكثر تكراراً وشيوعاً.

هذا ويحدد البحث في العوامل الكبرى الخمسة، مدى ظهور العوامل في (الصفحة الشخصية) في الثقافات المختلفة، كما يحدد مدى استقرار هذه العوامل خلال الزمن.

كما تُحدد القدرة التنبؤية لهذه العوامل بالصحة العقلية والجسمية. وكلما أثبت البحث العلمي والتجريبي، أن هذه العوامل أكثر عالمية، واستقراراً، وقدرة تنبؤية، كلما كانت الثقة أكبر، بأن هذه العوامل تصف بالفعل السمات الرئيسية الهامة للشخصية.

وقبل أن نختم الحديث عن نظرية السمات لابد من التنويه إلى نظرية **التفاعل بين السمة والموقف**. والتي تنطوي على أن فهم الشخصية يقتضي الانتباه إلى السمة (الشخص) والموقف، وأن اتساق الشخصية يعتمد على الأشخاص والمواقف والسلوكيات المختارة. مثال إذا أردنا تقدير سعادة هيفاء (منطوية) ومنى (منبسطة) حسب هذه النظرية، فإننا لن نستطيع التنبؤ بمن ستكون أكثر سعادة من الأخرى، ما لم نعرف شيئاً عن الموقف الذي هما فيه. فإذا راقبنا سلوكهما في موقفين (الأول في المكتبة، والثاني في حفلة اجتماعية) — الاحتمال الأكبر أن تكون هيفاء (المنطوية) أكثر استمتاعاً خلال وجودها في المكتبة، أما منى (المنبسطة) فاحتمال أن تكون أكثر سعادة في الحفلة.(Santrok, 2003)

وقد كشفت نتائج الدراسات الحديثة على التفاعل بين السمة والموقف (المرجع السابق) أنه:

- كلما كانت السمة أكثر تحديداً كلما زاد احتمال التنبؤ بالسلوك.
- يظهر بعض الأفراد اتساقاً على بعض السمات، فيما يظهر غيرهم اتساقاً على سمات أخرى.
- يكون لسمات الشخصية تأثيراً أكبر على سلوك الفرد عندما يكون تأثير الموقف أقل فاعلية.

وهكذا رأينا تطور نظرية السمات بدءاً من تحديد الأبعاد التي تتسم بها الشخصية دون تفسير أسباب ذلك وصولاً إلى تحديد السمات وفهم الموقف المحيط بالسلوك والمؤثر عليه (كأن تكون عدوانية فلان وراء الطريقة التي يعامله بها الناس). لأن تنوع وتعقد الطبيعة الشخصية أكبر من أن يوصف بقائمة محددة من الصفات.

خلاصة:

تنظر نظريات السمات إلى الشخصية كمجموعة من المميزات الداخلية الثابتة نسبياً والتي تسم باستمرار سلوك الناس عبر الزمان، وعبر المواقف المختلفة.

وعلى الرغم من اختلاف منظري السمات حول السمات التي تكون الشخصية، إلا أنهم اتفقوا، أن السمات تمثل اللبنات الأساسية للشخصية، وقد استخدموا التحليل العاملي للوصول إلى أكثر السمات تحديداً في وصف الشخصية والتنبؤ بالسلوكيات المستقبلية وهذا ما قام به كل من «أيزنك»، و«كاتل» و«ألبورت» و«كوستا» و«ماكريه» مع اختلاف الأساليب التفصيلية لكل منهم.

جامعة دمشق Damascus University

الأنشطة والتقويم

- قارن بين النمط والعامل والسمة مع ذكر أمثلة توضح ذلك.
- إلى ما يعزو «ايزنك» التنوع في الشخصية؟
- ما الفرق بين سمات السطح وسمات المصدر؟
- هل يمكن للفرد أن يعدل سماته باستمرار؟ ناقش ذلك على ضوء ما فهمته عن السمات.
- ما هي العوامل المؤثرة على نمو الشخصية عند «كاتل» و«ألبورت»؟
- هل يمكن اعتبار محكات الصحة النفسية التي وضعها «ألبورت» محكات عامة للشخصية الإنسانية عبر الزمان والمكان؟ وضح ذلك.
- أي من هذه النظريات أكثر صلة بالواقع.

Damascus University

الباب الرابع
الشخصية نظام معرفي سلوكي

يؤكد أصحاب المنحى السلوكي والمعرفي الاجتماعي أهمية الخبرات المكتسبة في فهم الشخصية الإنسانية، حيث يركز السلوكيون ضمن الإطار الواسع لهذا المنحى، على السلوك الملاحظ للفرد، غير أنهم يستخدمون السلوك، بمعنى واسع ليشمل الاستجابات الانفعالية، والإدراك، والتفكير، والفعالية الحركية الظاهرة.

ويرون أن الشخصية متعلمة، وأنها تتغير بتغير الخبرات والمواقف البيئية.

ويركز المنظرون المعرفيون الاجتماعيون على العمليات المعرفية وضبط الذات، إضافة إلى السلوك الملاحظ.

ونظراً لتعدد من أسهم (قليلاً أو كثيراً) في شرح هذه النظريات، سيتم التعرض لأكثر هذه النظريات عمومية وانتشاراً وتطبيقاً وهي:

- نظرية دولارد وميلر (مدخل انتقائي للسلوكية المعرفية).
- ونظرية التركيبات الشخصية لـ«كيلي».
- والنظرية المعرفية الاجتماعية لـ«باندورا».

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الفصل السادس

نظرية المثير والاستجابة

(المدخل الانتقائي للسلوكية المعرفية)

جون دولارد، نيل ميلر

أهداف الفصل وكلماته المفتاحية:

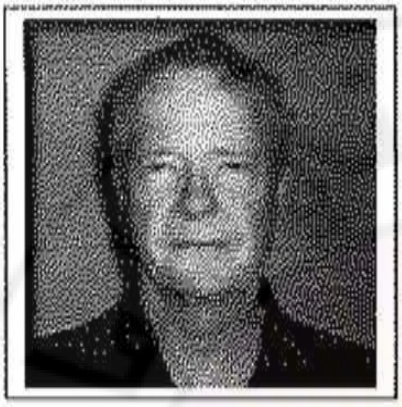
أن يعرف الدارس:

- بناء الشخصية من خلال
  - العادة
  - الدوافع الفطرية والدوافع المتعلمة
  - تدرج الاستجابات
- آلية نمو الشخصية بالتعلم من خلال
  - الدافع
  - الدليل
  - الاستجابة
  - التعزيز
- مفهومي الصراع العصابي، والكبت
- الآلية التوفيقية بين السلوكية والتحليلية.

نبذة عن حياتهما العلمية:

جون دولارد John Dollard:

- ولد في ميناشا بويسكونسين عام ١٩٠٠، وتوفي عام ١٩٨٠.
- حصل على البكالوريوس في الآداب من جامعة ويسكونسين ١٩٢٢ وعلى الدكتوراه في علم الاجتماع من جامعة شيكاغو ١٩٣١.



- تدرب على تقنيات التحليل النفسي في معهد برلين.
- من اهتماماته توحيد العلوم الاجتماعية.
- له عدد من الأبحاث والكتب، تعكس اهتمامه المتراوح بين علم الاجتماع، والأنثروبولوجيا، وعلم النفس، والعلاج النفسي.

Damascus University



نيل ميللر Neole, Miller:

- ولد في ميلووكي في ويسكونسين عام ١٩٠٩.
- حصل على البكالوريوس في العلوم ١٩٣١ من جامعة واشنطن، وعلى الدكتوراه في علم النفس ١٩٣٥ من جامعة ييل.
- عمل في معهد العلاقات الإنسانية، وتدرب على تقنيات التحليل النفسي في معهد فينا.
- اشتهر بالبحوث التجريبية والنظرية الدقيقة حول اكتساب الدوافع، وطبيعة التعزيز، ودراسة الصراع.

عملا معاً:

١. في تحليل الإحباط، بطرائق تجريبية، وفي ضوء مفاهيم المثير (م) والاستجابة (س)، حيث تتكامل فيه مفاهيم (م، س) مع نظريات التحليل النفسي، مع الدلائل الأنثروبولوجية.

٢. في تطبيق صورة مبسطة من نظرية (هل (التعزيزية) على مشكلات التعلم الاجتماعي والمحاكاة، وعلى المشكلات المتعلقة بالشخصية.

بناء الشخصية:

أبديا اهتماماً كبيراً بالتعلم، وبعملية النمو، واهتماماً أقل بالعناصر البنائية (أو غير المتغيرة نسبياً) في الشخصية. فهما لا ينسبان الانزعاج والشعور بالذنب إلى الأنا الأعلى، ولكن إلى استجابات متعلمة.

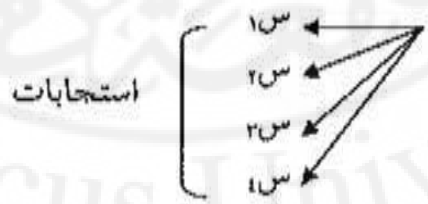
واستخدما مفهوم العادة، للتعبير عن الخصائص المستقرة والدائمة للشخص.

وعلى الرغم من أن جوهر هذه النظرية، يتعلق بتحديد الظروف التي تتشكل في ظلها تلك العادات، أم تنحل، أم تُستبدل، إلا أنهما يحددا فئات الأنواع الرئيسية من العادات التي أمكن ملاحظتها.

فما هو مفهوم العادة عند دولارد وميلر؟

هي الارتباط بين المثير والاستجابة. والشخصية تتكون من العادات، إلا أن بنيان هذه العادات، يعتمد على الخبرات الفريدة التي يتعرض لها الفرد. وقد اكتفيا بتحديد القواعد التي تحكم تكون العادة، تاركين للأخصائي الإكلينكي أم للباحث، مهمة تحديد العادات التي تميز أي شخص.

ولم يقتصر بناء الشخصية لديهم على العادات فهناك الدوافع الأولية الفطرية، والدوافع الثانوية المتعلمة، إضافة إلى تدرجات للاستجابات المأخوذة عن «هل». والمثال التالي يوضح هذا المفهوم.



الاستجابة س١ هي أقوى الاستجابات وستظهر أولاً ثم س٢ فـ س٣ وهكذا فإذا منعت س١ من الظهور ستصبح س٢ هي الأقوى، وإذا منعت س١، س٢ فإن س٣ ستكون هي الأقرب للظهور وهكذا.

فالطفل الجائع قد يُظهر عدم الارتياح (س١)، ثم البكاء (س٢)، ثم البدء بثورة غضب (س٣) (مع الإشارة إلى أن الفاصل الزمني بين هذه الاستجابات قصير). فإذا دُعمت إحدى هذه الاستجابات (البكاء مثلاً) ستكون احتمالية ظهورها مستقبلاً أقوى.

وتعرف بالاستجابة المسيطرة (لأنها أكثر الاستجابات فعالية في خفض الدافع).

ويُعرف تسلسل الاستجابات قبل التعلم (بالتسلسل المبدئي)

وبعد التعلم وتعديل الاستجابة (بالتسلسل الناتج).

نمو الشخصية:

لقد اهتما بآلية تحول الرضيع البسيط إلى الراشد المعقد من خلال عملية التعلم واستخدما مفهوم التجهيزات الفطرية التي تنطوي على أن الفرد عندما يولد يكون:

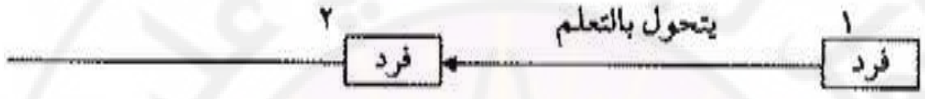
- مزوداً بعدد محدد من الأفعال المنعكسة النوعية.
- ويمتلك عدداً من التنظيمات المتدرجة الفطرية للاستجابة (التي تعد بمثابة نزعات لظهور استجابات معينة في مواقف استثارة خاصة، كأن يتعرض الطفل للخطر فيهرب قبل أن يصرخ).

وهذا الافتراض يتضمن أن السلوك ليس عشوائياً، بل يتحدد بتفضيلات

استجابية تنتج في فترة مبكرة من العمر، عن عوامل فطرية ولكنها تتأثر من خلال النمو بخليط مركب من الخبرة، ومن تلك التنظيمات المتدرجة الفطرية.

- ولديه مجموعة من البواعث الأولية (مثيرات داخلية بالغة القوة).

وهكذا يمكن تلخيص عملية النمو



- غير قادر إلا على استجابات قليلة ومجزأة نسبياً لمثيرات نوعية.	- ذو استجابات متعددة ومتكاملة ولمختلف المثيرات.
- يمتلك مجموعة من البواعث الأولية التي تدفعه للسلوك تحت شروط عضوية معينة (دون توجيه السلوك).	- ارتفاع الدوافع المشتقة (بحيث تحرك وتوجه السلوك) بشكل مناسب.

أما عناصر التعلم فهي:

١ - **الدافع (الباعث):** منبه قوي يكفي لدفع الفرد للسلوك (ولكن لا يوجهه بمفرده) وهناك دوافع فطرية (أولية) ودوافع ثانوية (متعلمة).

٢ - **الدليل:** مثير يوجه استجابة الفرد. حيث يحدد متى وأين يستجيب؟ ونوعية الاستجابات التي يصدرها الفرد. ويختلف الدليل من حيث النوع (مثير بصري، سمعي، شمي... متنوع الخ) والشدة (ضعيف أم قوي).

وشدة الدليل ونوعه، عوامل مهمة لقيام المثير بوظيفته كدليل.

وقد يصبح الدليل باعثاً إذا وصلت شدته إلى قدر كافٍ (فيمكنه أن يوجه السلوك).

٣ - الاستجابة: مرحلة هامة في نمو الكائن الحي، وتختلف الاستجابات من حيث احتمال صدورها بالنسبة لموقف ما. ومن المهم جداً إصدار الاستجابة المناسبة لحدوث التعلم (وقد تم شرح تدرج الاستجابات آنفاً).

٤ - التعزيز: عندما تصدر الاستجابة، فإن مصيرها يتحدد بناء على ما يعقبها من تدعيم أم تثبيط. ويتم التدعيم عن طريق خفض التوتر الناشئ عن الدافع من خلال المكافأة أم الثواب.

ويعتقد «دولارد» و«ميلر» أن عملية التدعيم عن طريق خفض الدافع هي — المبدأ الأساسي للتعلم — وأن العادات التي تعلمناها في موقف معين تنتقل إلى مواقف أخرى (تعميم). وقد يميل الإنسان لتكرار نفس الاستجابة في المواقف المختلفة، أم يستجيب استجابات مختلفة لمواقف متشابهة (تمييز) وقد فسرا ذلك بالعمليات العقلية العليا التي يلجأ لها الفرد وتتوسط بين المثير والاستجابة.

ونظراً لتأثرهما بالأنثروبولوجيا الاجتماعية، فقد أكدا باستمرار على أنه لا يمكن فهم السلوك الإنساني إلا بالإدراك الكامل للسياق الحضاري الذي حدث فيه السلوك.

وقد تحدثا عن مراحل النمو الحرجة

وافترضا أن الصراع اللاشعوري (الذي يتم تعلمه في المهد والطفولة المبكرة) يشكل الأساس لأكثر المشكلات الانفعالية شدة في مراحل الحياة التالية (اتفاق مع التحليليين).

ويريان أن الصراع العصابي، لا يتعلمه الطفل فحسب، بل يتم أساساً نتيجة لظروف يخلقها الوالدان (كمواقف التغذية في مرحلة المهد — والتدريب على الإخراج والنظافة، ومواقف ضبط الانفعال... الخ).

وهكذا فإن تأثير المطالب المتصارعة النابعة من الطفل، ومن البيئة المحيطة، قد تؤدي إلى تعرضه للصراع وقد تحدثا عن الافتراضات التالية لشرح مفهوم الصراع.

١ - تصبح النزعة إلى الاقتراب نحو الهدف أكثر قوة، كلما كان الفرد أكثر قرباً من الهدف (مدرج الاقدام) وهنا يكون الفرد أمام هدفين (موجبين ومحببين) لهما نفس الجاذبية، وبنفس الوقت



كأن يختار الفرد عندما يكون لديه ساعة واحدة من الوقت لمشاهدة التلفزيون بين رؤية مسلسل مرغوب (يتابعه) وبرنامج علمي محبب له. ويكثر هذا النوع من الصراعات في حياتنا اليومية، ولكنها سهلة الحل وغير مربكة.

٢ - كلما ازداد الفرد قرباً من المثير، فإن الميل إلى تحاشي المثيرات السلبية يصبح أقوى (مدرج الإحجام). وهنا يكون الفرد مخيراً بين هدفين سالبين أحلاهما مر (بين نارين) كمريض السكري الذي يُخيّر بين قطع يده (لإصابته بالغرغرينا) أم تفشي المرض بجسده كاملاً.

ويغلب على سلوك الفرد في هذا الصراع التردد والحيرة، أم الهروب (سلوكي أم فكري).

٣ - ترتيباً على ١ و٢ فإن مدرج الإحجام أكثر حدة في انحداره من مدرج الإقدام.

٤ - زيادة الباعث المرتبطة بالإقدام والإحجام سوف ترفع من المستوى العام للمدرج.

وهنا نتحدث عن صراع الإقدام - الإحجام. فالشخص منجذب (إلى) ونافر (من) نفس الهدف (عيني فيه وتفو عليه). مثل الشاب الذي يرغب بدراسة الطيران ويخاف من مخاطره.

ويتحدد حل الصراع حسب قوة الجاذبية أم النفور من الهدف حسب المبدأ التالي.

٥ - إذا وجدت استجابتان متعارضتان، فالتي تحدث هي الأقوى.

ولكن يصعب حل الصراع عندما يتحول صراع الإقدام - الإحجام إلى صراع مزدوج حيث يكون لدى الفرد مشاعر متكافئة نحو هدفين في وقت واحد (وليس هدف).

هذا وقد يلجأ الفرد لحل صراعه بطرائق إيجابية فعالة أم قد يلجأ إلى الكبت، أم الحيل الدفاعية اللاشعورية الأخرى. فقد رأى كل من «دولارد» و«ميلر» أن العمليات اللاشعورية تؤدي دوراً في الاضطرابات السلوكية وقبلا بالعوامل اللاشعورية كمحددات للسلوك وتم تقسيمها إلى:

محددات لم يسبق أن كانت شعورية على الإطلاق وتم تعلمها قبل تعلم الفرد اللغة.

محددات كانت شعورية ذات يوم ولم تستمر طويلاً (استجابات كانت شعورية، ولكنها من خلال الكبت لم تعد موجودة في الشعور)

وعرفا الكبت بأنه تجنب لأفكار معينة، يتم تعلمه كالاستجابات الأخرى.

مثال : إذا أدت الاستجابة بعدم التفكير في أشياء معينة إلى خفض مثيرات الخوف من هذه الأشياء (تؤدي إلى التعزيز)، تصبح استجابة (التطنيش بعد هذه من الخبرة) استباقية، وجزءاً أساسياً من الأدوار التي يقوم بها الفرد.

مثال: عندما يُعاقب الطفل على لفظه لكلمات محرّمة، أم ارتكابه لأفعال غير مناسبة، يصبح مجرد الرمز اللفظي للكلمة أم الفعل كافية لإثارة خبرة العقاب وبالتالي الابتعاد عنه (يصبح الخوف في التفكير لا في الواقع).

ويعتبران أن الكبت متصل يمتد من النزعات البسيطة (عدم التفكير بأشياء معينة) إلى أشد أنواع تجنب المثيرات المهددة والمؤلمة.

ويتوقف الكبت من حيث شموله وشدته على عدة عوامل هي :

- الاختلافات المحتملة في القوة الفطرية لاستجابة الخوف عند الفرد.
- درجة الاعتماد على الوالدين، ومدى تقبلهما أم رفضهما للطفل.
- شدة الصدمات أم المواقف المخيفة والمهددة التي تعرض لها الطفل.

أما الأساس النظري للعلاج النفسي الذي استخدماه فقد اعتمد على علاج الأسباب التحتية للأعراض المرضية (خلاف مع كل السلوكيين)، وعلى اختزال المخاوف اللاعقلانية عند (المسترشد) بطريقة تدريجية والبدء بالتحرر من الاستجابات المؤدية للكبت، والبدء في تطبيق العمليات العقلية العليا على المشكلات الانفعالية.

كما أكدا على إحضار محتويات اللاشعور إلى الشعور، باستخدام التداعي الحر، كما أوصيا بفنية القمع الشعوري المؤقت للأفكار المزعجة، عن طريق تركيز اهتمام الفرد بموضوعات أكثر أهمية، وهذه العملية تشبه إلى حد بعيد فنية إيقاف الأفكار.

وأخيراً قد يكون الجديد في هذه النظرية، محاولة التقريب بين مدرستين متباعدتين هما السلوكية، والتحليل النفسي، بالإضافة إلى مفاهيمهما عن الصراع والخوف، والكبت بغض النظر عما إذا كان إسهام هذه النظرية ذا طابع تاريخي، أم علمي.

وقبل الانتقال إلى نوع أخرى من هذه النظريات، يمكن الإشارة إلى إسهامات كل من «روبرت سيرز Robert R. sears» و«أ. هوبرت ماورر O. Hobart Mowrer» واللذين كانت لهما جهوداً واضحة في الوصل بين مفاهيم التحليل النفسي ومفاهيم م - س.(*)

(*) لمزيد من التفصيل عن هذه الأفكار يمكن العودة إلى كتاب «هول»، و«ليندزي» ١٩٧٨ (نظريات الشخصية) وإلى كتاب حلمي المليجي (علم نفس الشخصية) ٢٠٠١.

خلاصة:

- اهتم «دولارد» و«ميلر» في مدخلهما الانتقائي للسلوكية المعرفية بدور كل من النمو والتعلم في الشخصية، واستخدما مفهوم العادة للتعبير عن الخصائص المستقرة لدى الشخص، كما تحدثا عن الدوافع النظرية المتعلمة، وتدرج الاستجابات، وتحدثا عن مراحل النمو الحرجة والكبت المتعلم والصراع، وأكدا على ضرورة عدم عزل السلوك المراد فهمه عن السياق الحضاري الذي حدث فيه. كما أسهما في تقريب مفاهيم المدرسة السلوكية من المدرسة التحليلية.

جامعة دمشق Damascus University

الأنشطة والتقويم

- ما هي الاستجابة المسيطرة؟ اذكر مثالاً من استجاباتك الشخصية يوضح ذلك.
- لخص عملية النمو عند «دولارد» و«ميلر» مستخدماً عناصر التعلم.
- هل يمكن فهم السلوك الإنساني بمعزل عن السياق الحضاري الذي يحدث فيه؟ وضح ذلك مع من تلتقي وجهة النظر هذه.
- هل يختلف مفهوم الصراع العصابي، والكبت عند «دولارد» و«ميلر» عما هو عند التحليليين؟ اشرح ذلك.
- قيّم المنحى التوفيقي بين السلوكية والتحليلية.

الفصل السابع

نظرية تركيبات الشخصية

أهداف الفصل وكلماته المفتاحية:

أن يعرف الدارس:

- تصنيف النظرية ضمن نظريات الشخصية التالية: (ظواهرية، معرفية، وجودية، إنسانية).
- افتراضات النظرية عن الطبيعة الإنسانية
  - النشاط والتوقع
  - الناس كالعلماء
  - التركيبات الشخصية
- بناء الشخصية يتم من خلال
  - طريقة توقع الأحداث (بنائية، فردية، تنظيمية، ثنائية النوع، نتيجة الاختبار، نتيجة المدى، نتيجة الخبرة، نتيجة التغيير، نتيجة الشيوع)
  - العلاقة بين تركيبات الشخصية
  - تركيب الذات
  - التركيبات قبل اللفظية

- محددات نمو الشخصية
  - التوجيه الزمني في دراسة الشخصية
  - دور الوالدين
  - دور المحيطين
- موقع هذه النظرية من النظريات الأخرى.

Damascus University

نظرية تركيبات الشخصية أم البدلية البناءة

Personal Constructs, Constructive Alternativism

«جورج كيلي»

Geeorge Kekky



نبذة عن حياته:

- ولد في بيرن في كنساس ١٩٠٥ في أسرة ملتزمة دينياً وتوفي ١٩٦٦.
- حصل على البكالوريوس في العلوم الفيزيائية والرياضية عام ١٩٢٦.
- حصل على الماجستير في مجال علم الاجتماع التربوي ١٩٢٨ من جامعة كانسس.
- حصل على الدكتوراه في علم النفس ١٩٣١ من جامعة ولاية أويا
- اهتم بعلاج المشكلات الاجتماعية والسلوكية التي تواجه طلبة المدارس.
- ترأس البرنامج التدريبي للتأهيل النفسي للطيارين خلال الحرب العالمية الثانية.
- عمل مدرساً في الجامعة بعلم النفس الاكلينيكي، وشغل عدة مناصب إدارية.

قبل الحديث عن هذه النظرية لابد من التنويه إلى تعدد

تصنيفات نظريات «كيلي» في أدبيات علم نفس الشخصية:

- فمنهم من يصنفها ضمن النظريات (الظواهرية Phenomenologist)، حيث يعتقد هؤلاء أن الخبرات الشعورية يجب أن تكون محور علم النفس ومركز اهتمامه، بغض النظر عن تعرف أصل هذه الخبرات.

- وبعضهم الآخر يصنفها كنظرية معرفية Cognitive لأنها تركز على طريقة الأفراد في رؤية الواقع والتفكير فيما يتصل به.

- منهم من يرى فيها نظرية وجودية، لأنها تركز على المستقبل بدلاً من الماضي، ولافتراضها أن البشر أحرارٌ في اختيار أقدارهم، ولاهتمامها بالمشاعر الذاتية والخبرات الشخصية ومعنى الحياة. حيث يؤمن الوجوديون بأن الإنسان هو ما يرغب أن يكون (سارتر).

- فئة أخرى تصنفها ضمن النظريات الإنسانية، لأنها تركز على الطاقة الإبداعية للناس، وتؤكد على الوراثة والبيئة كمحددات للشخصية.

وهكذا يمكن أن تكون نظرية «كيلي» نظرية ظواهرية، معرفية، وجودية، إنسانية في الوقت نفسه.

الطبيعة الأساسية للنفس البشرية:

تنطلق هذه النظرية من الافتراضات التالية:

١- النشاط والتوقع:

- يرى أن الطبيعة البشرية نشطة (بشكل طبيعي)، وأن النظامين النفسي والفيزيولوجي طريقتان لفهم نفس الظاهرة.

- طبيعة الإنسان (هادفة) وحركتنا الفطرية تُوجه نحو الهدف المسيطر لتوقع المستقبل. (وتحقيق التوقع أم عدم تحقيقه في أثناء تعامل الفرد مع العالم الخارجي) له قيمة كبيرة، تفوق الثواب والعقاب، أم اختزال الدافع.

٢- الناس كالعلماء:

- اتخذ «كيلي» العالِم (Scientist) كنموذج لوصف البشر جميعاً، فالعالم يبحث عن الوضوح وفهم الحياة، بتطوير النظريات والمبادئ التي تساعده على التنبؤ بالأحداث المستقبلية. ويعتقد «كيلي» أن كل البشر، كالعلماء يحاولون توضيح حياتهم بنفس الطريقة، ويستثمرون الحاضر، لاختبار قدرتهم النظرية على توقع الأحداث، وتحسين المستقبل.

- الأداة الرئيسية التي يستخدمها الإنسان، لتوقع الأحداث هي تركيباته الشخصية Personal Construct.

والتركيب هو فكرة يستخدمها الفرد عندما يحاول تفسير خبراته الشخصية. افترض أنك قابلت شخصاً لأول مرة، وكونت عنه تركيباً شخصياً، يصفه بالود، فإذا اتسم سلوكه اللاحق بالود والصداقة، فإن ذلك سيكون مفيداً في توقعك سلوكيات الأشخاص، أما إذا اتصف سلوكه بغير ذلك، فإنك بحاجة لإعادة (تركيبك الحالي) بتركيب آخر مختلف (واضح وصحيح) وحتى يصل الإنسان إلى نظام تركيبي ينجح في (تحقيق التوقع)، لابد أن يمر بعدد من مرات المحاولة والخطأ.

- الناس أحرار في تركيب الواقع بالطريقة التي يختارونها، وتصبح حياتهم محكومة بهذه التركيبات التي خلقوها. فبعض الناس يكونون اعتقادات ثابتة وجامدة عن العالم ويصبحون عبيداً لها، فتتسم حياتهم بالنمطية والجمود، وبعضهم يعيشون وفقاً لمبادئ مرنة، ومنفتحة على الخبرة. بمعنى قد ترى في المشكلة التي أنت

فيها خيراً وقد ترى فيها مصيبة (إيجابية التفكير) وهكذا، فإنه يمكن توجيه أنشطة الفرد السلوكية والفكرية في اتجاه معين، من خلال تركيباته الشخصية (أفكاره) التي يستخدمها في توقع الأحداث المستقبلية (B. R. Hergenhahn, 1980)

بناء الشخصية:

يؤكد «كيلي» أننا لا نستجيب للعالم الخارجي فحسب، بل نفسره (ونركب مكوناته)، وسواء قمنا بذلك (التفسير) بدقة أم بغير دقة، فإن هذا التفسير المبتكر للواقع (والذي يختلف من شخص لآخر) يضفي على الأحداث معنى، ويحدد سلوكنا النائج بعد ذلك.

فلو أن كل ذوي الاحتياجات الخاصة، والذين يمرون بظروف صعبة، فسروا إعاقاتهم، التي أصيبوا بها، بأنها عقبة لا تُقهر، لكانوا قد استسلموا لليأس، ولكن الكثيرين منهم تحدوا ذواتهم وتجاوزها وكانوا نماذج رائعة في الإيجابية والعمل (مثل طه حسين، وبتهوفن، وغيرهم من العظماء).

وهكذا يرى «كيلي»، أنه كلما كان لدى الفرد قدرة ابتكارية أكثر للنظر إلى الأحداث المتنوعة التي تواجهه، واستطاع تفسيرها بطريقة موضوعية ومرنة، ومختلفة عن المألوف كلما كان أقدر على مواجهة مصاعب الحياة.

وقد صنف «كيلي» التركيبات الشخصية في **أربع مجموعات** رئيسية ينطوي تحت كل منها عدد من الصفات الفرعية.

أولا- المسلمات والنواتج الطبيعية:

انطلق من مسلمة رئيسية مفادها، أن العمليات النفسية النشطة (طبيعياً)، والتي تكون شخصياتنا، قد تشكلت وتحولت إلى أنماط تعبيرية، ليس بالدوافع

أم الحاجات، ولا بصراعات الطفولة، ولا بالمثيرات الخارجية، ولكن من خلال الطرائق التي نتوقع بها الأحداث.(Kelly, 1963)

ويندرج تحت هذه المسلمة عدداً من النتائج أم اللازمات.

١ - النتيجة (اللازمة) البنائية Construction Corollary:

يتوقع الشخص الأحداث من خلال تفسيره للأحداث الماضية. فالمتوقع مبني على خبرة الشخص. مثال خبرتك الإيجابية في التعاون مع فلان يشجعك على طلب المساعدة لاحقاً والعكس.

٢ - النتيجة الفردية Individuality Corollary:

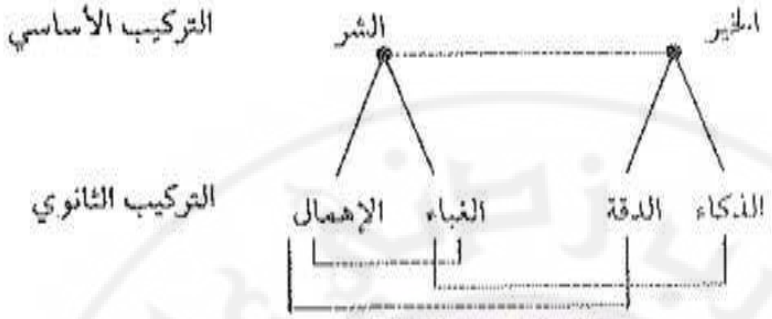
يختلف الأفراد عن بعضهم في تفسير نفس الحدث، ولذلك لا تتطابق التركيبات الشخصية لفردين مختلفين حتى لو تشابهت (فقد يصاحب فلان ما زميله من منظور الصداقة، وقد يصاحبه من منظور الانتهازية).

٣ - النتيجة التنظيمية Organization Corollary:

كلما رتب (نظم) الفرد تركيباته البنائية بطرائق هرمية ومتسلسلة ومرنة (حسب الموقف)، ستكون توقعاته للمستقبل أفضل.

كل فرد يخلق تركيباته الشخصية في مستويين: رئيسي (يحدد الخطوط الرئيسية العامة لحياتنا) وفرعي ثانوي (أقل أهمية في هذا التحديد).

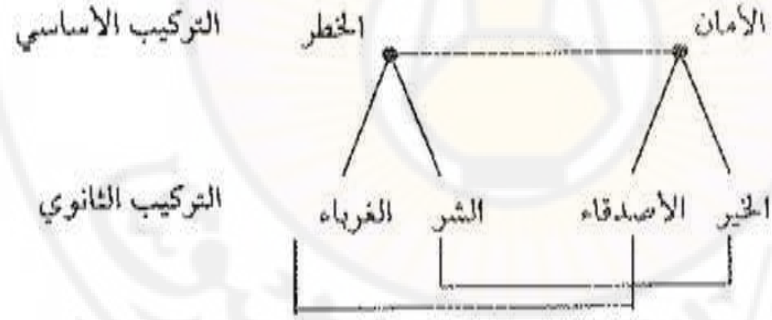
مثال: كوّن زيد من الناس التركيب الأساسي (الخير مقابل الشر) ويتضمن تركيبين تابعين أقل أهمية (ثانوي) هما الذكاء مقابل الغباء، والدقة مقابل الإهمال



فإنه من الممكن أن يقرر أن الخير له أن يكون غبياً ومهملاً وأن الشر يكمن في الدقة والذكاء.

وهناك احتمالات أخرى.

أما (عمر أم زيد) ولكن في موقف آخر، فقد كون تركيباً أساسياً هو (الأمان مقابل الخطر) وتركيباً ثانوياً (الخير مقابل الشر) و(الأصدقاء مقابل الغرباء).



إن زيد وعمر سيستخدمان تركيب الخير مقابل الشر ولكن بتنظيم هرمي مختلف، وهذا ما يشبه إدارة الأولويات بمعنى أن ما تراه مهماً يعمل على توجيهك.

وكما قال «كيلي» فالمهم قد يتغير من شخص لآخر، وحتى عند الشخص من موقف لآخر.

٤ - النتيجة ثنائية التفرع Dichotomy Corollary :

كما رأينا في الأمثلة السابقة فإن كل تركيبة شخصية ثنائية القطب، وكل قطبين في هذه التركيبة متضادين، وغالباً ما يختلفان من شخص لآخر.

مثال: قد يكّون أحمد تركيبة شخصية من الوداعة مقابل العدوانية، بينما يفسر أسعد العالم من خلال (عدم اللباقة) بدل الوداعة، و(السلبية) بدل العدوانية. لذلك يرى «كيلي» بأنه يصعب فهم مدلول أي مصطلح، دون أن يعرف مستخدمه، المصطلح المقابل له بدقة.

٥ - نتيجة الاختيار Choice Corollary :

يختار الشخص لنفسه أحد البدائل المتاحة له من التركيب ثنائي القطب، والذي يتوقع من خلاله، الاحتمالية الأكبر لمدى الاتساع، والتعريف لنظامه بمعنى أي القطبين في تكويننا الشخصي، سيمكننا أكثر من تحقيق الهدف.

٦ - نتيجة المدى أم المجال Range Corollory :

يكون التركيب ملائماً لتوقع مدى محدود فقط من الأحداث.

مثال: قد يعبر بعض الناس، في بعض الثقافات عن حزنهم لموت عزيز بثياب الحداد السوداء، في حين تستخدم بعض الشعوب الأخرى، الثياب البيضاء للتعبير عن الحزن.

وهكذا يُعد مدى الملائمة أمراً فردياً يتعلق بالتراكيب التي يستخدمها الأفراد في تفسير العالم.

٧ - نتيجة الخبرة أم التجربة Experience Corollary :

يتنوع النظام التركيبي للشخص، بمقدار ما يثبت نجاحه في تفسير وتحليل الأحداث المتكررة.

وبما أننا نتعامل مع واقع متغير، فإن تفسيراتنا الحالية للأحداث، تخضع للمراجعة والتغيير. وعلى ضوء ذلك كلما استفاد الفرد من نتائج خبراته، وكان أكثر فعالية ومساهمة في أحداث الحياة، انعكس ذلك على توافقه مع نفسه ومع المحيطين.

فالطالب الذي يحصل على علامة متدنية في الامتحان ويفسر ذلك باستخدامه تركيب (عدم القدرة على الإجابة عن الأسئلة السهلة) ويسأل المدرس، ويستفيد من نصيحته، فإنه لن يكرر ذلك الخطأ مرة أخرى عكس الطالب الذي يسقط فشله على المدرس، أم الظروف المحيطة (لأنه يتبنى تركيبات سلبية) ولا يوظفها في خدمته لاحقاً.

٨ - نتيجة التغيير Modulation Corollary:

بعض التراكيب الشخصية أقل استعداداً للسماح لعناصر جديدة، أن تتلائم مع مدادها (أقل نفاذية)، فتحدد الامتداد الذي يمكن عنده مراجعة النظام في ضوء الخبرة.

مثال: إن تركيب الطبيعي ↔ مقابل خارق للعادة قابل للنفاذية لأي شخص يمكن أن يعتقد، على الأقل، أن هناك بعض الأحداث خارقة للعادة ولكن لن تكون نفوذة، لدى شخص آخر، يعتقد أن عصر المعجزات قد ولى.

٩ - نتيجة العمومية (الشيوع) Commonality Corollary:

تميل تنبؤات الأشخاص الذين ينحدرون من ثقافة واحدة، إلى الاتفاق، أكثر مما لو كانوا من ثقافات مختلفة.

١٠ - نتيجة (لازمة) الاجتماعية Sociality Corollary:

بقدر ما يفهم الشخص الطرائق التي يستخدمها الأفراد في تفسير العالم، بقدر ما يكون أكثر ارتباطاً بهم، وتواصلاً معهم.

ويؤكد «كيلي» في هذا المجال على أهمية (أداء الدور، بالنسبة للآخرين وإمكانية وضع الفرد نفسه مكان الآخر) في عملية التواصل البناء بين الناس.

ثانياً- يتجدد التباين في أي نظام بنائي، بالعلاقة بين تراكيبه المختلفة، وتتحدد أهمية التركيب وما يعكسه على السلوك بقدر أولوية ومبادرة هذا السلوك فهناك تركيبات مبادرة وهناك تركيبات افتراضية.

ثالثا- تركيب الذات ودور الجزء المركزي

كما يرى «كيلي»، يوجد لدى كل شخص تركيب شخصي واحد هو «الذات مقابل الآخرين». ولكن هذا التركيب الذاتي قد يكون تابعاً، أم ثانوياً عند مختلف الأفراد.

فقد تصف هدى ذاتها مثلاً بالود والحذر، وتتصرف بناء على ذلك، بينما تصف بنان ذاتها بالذكاء، ولا يبدو ذلك في تصرفاتها. بمعنى قد يتطابق وصف الفرد لذاته مع وصف الآخرين لها، وقد لا يتطابق. فالذات من خلق الفرد وإبداعه.

ويختلف مفهوم الذات بالنسبة للفرد، حسب الدور المركزي الذي يقوم به، فقد تصف إحدى الأمهات العاملات ذاتها بالأم الراعية (الدور المركزي هو رعاية الأولاد والأدوار الأخرى ثانوية)، بينما تفضل أم أخرى وصف ذاتها بالمديرة الناجحة (الدور المركزي هو الإدارة، والأمومة دور محوري)..

وأي تغير فعلي (أو متوقع) في الدور المركزي لتركيبات الذات، قد يؤدي إلى بعض الاختلال. فالأم الأولى في مثالنا السابق والتي كرست حياتها لخدمة أطفالها قد تشعر (بالتهديد والذنب) عندما يبدأ أولادها في الاستعداد للزواج وترك المنزل، لأن ذلك يفقدها دورها المركزي بينما لا يكون الحال عليه عند الأم

الثانية. لأن التقييم الذاتي يتفق تماماً وتركيب الدور المركزي لدى الفرد.

ويرى «كيلي» أن التغيرات المدركة في التركيب المحوري (ناتجة عن تغيرات في الدور المركزي) للفرد تؤدي إلى الشعور بالذنب والتهديد.

أما القلق فيعزيه إلى العجز عن التنبؤ بالأحداث الهامة، وتوقع المستقبل.

كما يرى أن الشخص الذي يعاني من القلق الشديد، ذو نظام تركيبي فاشل، وقاصر عن أداء دوره، وهو شخص قادر على التوافق مع تغيرات الأحداث، ولكنه لا يمتلك وسائل التغير، بمعنى يتغير ولا يغير في الأحداث. (Kelly, 1955)

مثال: يُعد الفشل في الامتحان تهديداً يوضح الحاجة إلى إعادة بناء القدرات الأساسية (المعرفية) للفرد الراسب، وكذلك أهدافه المهنية، ولكنه سيثير القلق إذا كان سبب الرسوب، إهمال المصحح جزءاً من السؤال (خارج التركيب الشخصي، ولكنه مُدرك).

ويرى «كيلي» أن الأحداث التي تقع خارج إطار النظام التركيبي، تكون غير مُدركة على الإطلاق، ولا يستطيع الفرد فهمها، مثل هذه الأحداث لا تخلق لديه، أي نوع من القلق.

كما يرى أن هناك حداً معيناً من القلق لدى كل فرد، ويرجع ذلك إلى الطبيعة غير الكاملة، لأي نظام تكويني.

رابعاً- التركيبات قبل اللفظية، الحجب، التعليق المؤقت،

على الرغم من رفض «كيلي» لمفهوم اللاشعور، لكنه يعتقد أن بعض التركيبات لا تصل إلى الوعي بسهولة. وأن التركيبات قبل اللفظية، يصعب تحديدها، لأن معظمها نشأ قبل استخدام الطفل اللغة وتمكنه من قواعدها. مثلاً

مفهوم المساندة مقابل عدمها هو تركيب شخصي يعبر عنه الطفل، بالرغبة بوجود الأم والانزعاج من ابتعادها، بدلاً من التحديد الواضح بعبارات لفظية عن هذا التركيب.

أما الحجب فيمكن الحديث عنه عندما يكون أحد قطبي التركيب الشخصي، أقل قابلية لإدراكه شعورياً، من القطب الآخر. بسبب ما ينطوي عليه من تضمينات مؤلمة ومهددة. مثال افرض أنه عليك أن تتعامل مع شخص ذي احتمالية عالية في العداء من ذاته أم من الآخرين (العدائية مقابل اللطف)، فعلى الأغلب أنك ستحجب قطب العدائية من التركيبة، وترى أن القطب الثاني هو الحقيقي لديه وهذا ما يذكرنا بـ(وعين الرضا عن كل عيب كليلة).

وهكذا يُستخدم الحجب كأسلوب، لحفظ البناء التركيبي (للفرد أم للآخر حسب الموقف)، من أن يكون محل اختبار.

التعليق المؤقت. ويحدث عندما يستثني الفرد عناصر معينة من الظهور في الوعي. وهنا التعليق المؤقت يشبه (الكبت) ولكن يتحدد المكبوت في مدى السعادة أم الألم للفرد. أما في التعليق المؤقت، فيتذكر الفرد ما هو تكويني وينسى ما هو غير تكويني.

ويُرجع «كيلي» العمليات اللاشعورية، إلى قصور في النظام التكويني للفرد.

وقد شرح ميكانزمات الدفاع من خلال مصطلحات علم نفس تركيبات الشخصية، فرأى أن الطفل يقوم بالتوحد (التقمص)، ليكيف تركيبه الشخصي، مع تركيب والديه. وأن الإسقاط، هو كل هدف خارجي يتم تعريفه من خلال تركيبات الفرد من تعريفه من خلال ما يتضمنه من خواص وصفات فعلية.

نمو الشخصية:

على الرغم من أن مناقشته لنمو الشخصية كانت سطحية، إلا أنه أكد على ضرورة التوجيه الزمني في دراسة الشخصية (مثله في ذلك مثل موراي).

وهو يرى أن كل طفل ينظر إلى والديه، كضرورة لبقائه، ونظراً لأهمية الوالدين (في البناء الاعتمادي للطفل)، فإنهما قد يوفقان (أو لا يوفقان) إلى مساعدته على تكوين تركيبات إيجابية للتعامل مع البيئة وتوقع الأحداث. وذلك حسب الأساليب المُستخدمة في تنشئته، وحسب ما يكونا عليه في الواقع كنماذج حية يتعلم منهما تراكيبه البنائية.

ومع نمو الطفل يتخلى عن تصوره لوالديه بأنهما، الأمثل، والأقوى، ويعادلهما مع الناس المحيطين به (أقوياء، ضعفاء، متعاونين، غير متعاونين، مراعين لمشاعر الآخر... الخ).

تطبيقات النظرية:

- يرى أن الأحلام بمثابة أدلة محتملة، تساعد في فهم الجوانب الأقل وضوحاً في الشخصية، وتتضمن التكوينات الخفية وغير اللفظية، كما يستخدم تفسير الأحلام، كفنية لقطع صلة المسترشد بتكويناته التي أصبحت متصلبة وجامدة. فالشخص في الحلم قد يصف والده، أم صديقه مثلاً بطريقة متناقضة وغريبة (عطوف، وغير عطوف، مريح ومتعب، سعيد وحزين... الخ) وهذه الصورة المضطربة للتكوين الشخصي تسمح للحالم أن يكتشف الطرائق المختلفة لتصنيف الشخص الذي نحن بصدده. وقد تكشف الأحلام أيضاً التكوينات قبل اللفظية، التي تساهم في معرفة الشخصية أيضاً.

- يشبّه المريض النفسي بالعَالِم (الباحث) غير الكفؤ الذي يتشبث بشدة، بفروض غير منطقية، مما يدفعه إلى توقعات غير دقيقة حول الأحداث المحيطة.

(كأن يتوقع فلان أنه لن يستطيع تكوين علاقات حب أم عمل ناجحة، أم أنه لن يستمتع بما يحققه من نجاح... الخ).

ويُعرف الاضطراب النفسي بأنه أي نوع من التكوينات الشخصية، والتي تُستخدم بشكل متكرر، على الرغم من عدم صدقها أم موضوعيتها، وتؤدي إلى توقعات غير صحيحة.

وقد رفض «كيلي» التصنيف الشائع (العادي، العصابي، الذهني) وفضّل تصنيفاً ثنائياً (العادي مقابل المرضي) نظراً لاحتمال، أن يسلك المريض بطرائق مماثلة لكل من العصابي والذهاني.

- أما هدف العلاج النفسي عند «كيلي»، فهو تزويد المسترشد بإطار يساعده على التصرف بحيوية، وبأن يجرب تكوينات شخصية جديدة، وإعادة بناء النظام بطرائق تسمح بمزيد من التوقع الصحيح للمستقبل. ويرى أن قمة الموضوعية في عملية العلاج النفسي هي إعادة البناء السيكولوجي لحياة المتعالج (التغير من الداخل).

فالناس تغير الأشياء بعد أن تغير أنفسها أولاً... وهنا يتفق «كيلي» مع ما ورد في القرآن الكريم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.

- ويجري «كيلي» عملية العلاج النفسي في جلسات تستغرق الواحدة منها ٤٥ دقيقة مع عدد من المهام الأسبوعية التي تعتمد على طبيعة وشدة مشكلة المتعالج.

حصيلة تصورات الدور Role Construct:

وقد صمم «كيلي» اختباراً (Repertory test) للحصول على بعض

المؤشرات المبدئية عن التكوينات الشخصية للمسترشد ومشكلاته النفسية. وهذا الاختبار يشبه اختبارات تكوين المفاهيم لفيغوتسكي، ولكن بدلاً من أن يطلب من المفحوص تصنيف الأشكال، يطلب منه تصنيف الناس، ذوي الأهمية في حياته، ثم يقوم بتجميع هذه الأسماء في مجموعات ثلاثية (كل مجموعة فيها ٣ أسماء) تحت ما يسمى بعناوين الدور. مثلاً قد تضم المجموعة الأولى (الأب، والأخ، والزوج) والثانية (المدرس المفضل، وزميل العمل، والخطيبة) وهكذا..

ثم يطلب من المسترشد أن يوضح أي اثنين من كل مجموعة يتشابهان مع بعضهما، ويختلفان عن الثالث، وما هي أوجه الشبه والاختلاف (تصنيف التصور)(*).

والجميل أن «كيلي» نفسه قد وصف أفكاره بأنها محاولات فعّالة لتحديد طبيعة الشخصية الإنسانية. إلا أن هذه المحاولات اتسمت بالتبسيط المتناهي لتفسير السلوك البشري، الأمر الذي جعلها غير متكررة في أدبيات علم النفس.

ومع ذلك يجب ألا ننكر اهتمامه بالمعرفة الموضوعية، وأهمية التعاطف مع التكوينات الشخصية للآخرين، وأثر ذلك على العلاقات الشخصية.

وقد يُعد «كيلي» المفتاح لفهم شخصيات علماء النفس، وواضعي نظريات الشخصية وتكوينات الشخصية، مما يوحي بقصور كل نظرية على حدة، في فهم الطبيعة البشرية، ومكوناتها، وديناميتها عبر الزمان والمكان، الأمر الذي سمح ببروز النظريات التوفيقية أم التآلفية.

(*) لمعرفة المزيد عن هذا الاختبار يمكن العودة إلى نظريات الشخصية، محمد السيد عبد الرحمن.

خلاصة:

- إن نظرية تركيبات الشخصية لـ«كيلي» أكدت على أن نشاط الفرد وتوقعاته وإضفاء المعنى على الأحداث، وتركيب الذات، يختلف باختلاف الأشخاص، وأن الأقدر على مواجهة مصاعب الحياة، يمتلك قدرة ابتكارية أعلى للنظر إلى الأحداث وتفسيرها بطريقة موضوعية ومرنة.

كما أكد على التوجيه الزمني في دراسة الشخصية ودور الوالدين والمحيطين في مساعدة الطفل على تكوين تركيبات إيجابية للتعامل مع البيئة وتوقع الأحداث.

جامعة دمشق Damascus University

الأنشطة والتقويم

- حدد المنطلقات النظرية لكيلي.
- ما الفرق بين النتائج البنائية والنتائج الفردية؟
- اشرح مفهوم الذات مقابل الآخرين عند «كيلي». ماذا تستنتج؟
- اذكر أمثلة توضح مفهوم التركيبات قبل اللفظية، الحجب، التعليق المؤقت.
- كيف تنمو الشخصية؟
- قيّم النظرية وحدد موقعها من النظريات الأخرى.

جامعة دمشق Damascus University

الفصل الثامن
النظرية المعرفية الاجتماعية

أهداف الفصل وكلماته المفتاحية:

أن يعرف الدارس:

- منطلقات النظرية
  - الحتمية التبادلية
  - العقلانية
  - النظرة الكلية
  - التركيبة البيئية
  - القابلية للتغيير
- بناء الشخصية من خلال
  - سلوك تنظيم الذات (أبعاد الملاحظة الذاتية، عمليات التقييم، الاستجابة الذاتية)
  - التعزيز (الخارجي، الذاتي، البديلي)
  - فعالية الذات المدركة
- نمو الشخصية من خلال التعلم بالملاحظة والنمذجة.
- عوامل التعلم بالملاحظة (الانتباه، الاحتفاظ، استرجاع السلوك، الدافعية) ونماذجها (حية، ضمنية، تشاركية)

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

النظرية المعرفية الاجتماعية

ألبرت باندورا



نبذة عن حياته:

- ولد عام ١٩٢٥ في مونتاجو بإحدى مقاطعات ألبرتا بكندا.
- حصل على درجة البكالوريوس في علم النفس عام ١٩٤٩ من جامعة كولومبيا البريطانية.
- حصل على الدكتوراه بعلم النفس عام ١٩٥٢ من جامعة أيوا.

- عمل كأخصائي إكلينيكي في مراكز إرشادية متعددة.
- ركز على التعلم بالملاحظة، وطور فنية النمذجة كأسلوب لتعديل السلوك.
- اهتم بدور العوامل المعرفية في تنظيم السلوك وتعديله.
- نال العديد من الجوائز لإسهاماته المتميزة بعلم النفس.

طبيعة الشخصية:

يمكن فهم نظرته لطبيعة الشخصية من خلال المفاهيم التالية :

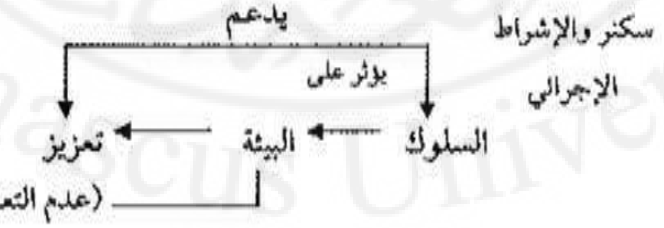
- **الحتمية التبادلية:**

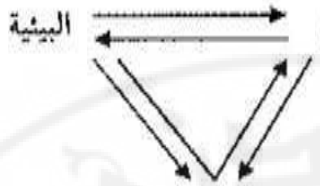
عارض «باندرا سكنر» في تشدده على الضبط الكامل للبيئة، وأكد على التفاعل المستمر والمتبادل بين الفرد والبيئة. ورأى أن كلٍ من السلوك والعوامل الشخصية الداخلية (بما في ذلك من معتقدات، وأفكار، وتفضيلات، وتوقعات، وإدراكات ذاتية) والمؤثرات البيئية، تعمل بشكل متداخل، وكل منها يؤثر على الآخر ويتأثر به.

وقد كان المبدأ السائد عند «سكنر» «غير ما يمكن أن يتغير فإن سلوكك سيتغير تبعاً له». أما «باندورا» فرأى أن الصح هو عكس ذلك «غير سلوكك وسيتغير ما يمكن تغييره تبعاً لذلك».

إن تأكيد «باندورا» على التفاعل المستمر بين الفرد والبيئة في كل الأنشطة الإنسانية سمي بالحتمية التبادلية، والتي تتضمن أن الناس يتمتعون ببعض الحرية في التصرف على الرغم من قلة عدد الخيارات المتاحة لهم (إما بسبب القيود الخارجية أم لضعف قدرتهم، أم لعدم رغبتهم في التصرف بطرائق معينة).

ومن المهم في هذا الإطار المقارنة بين مبدأ الإشراط الإجرائي عند «سكنر» والحتمية التبادلية عند «باندورا».





باندورا
والحتمية التبادلية

(توقعات، معتقدات، إدراكات ذاتية، أفكار، تفضيلات)

فمن وجهة التعلم الاجتماعي، يستطيع الأفراد التأثير في ظروفهم البيئية المستقبلية من خلال تنظيمهم لسلوكهم (من خلال العمليات المعرفية، والتدعيم الذاتي)، كما أن البيئة تؤثر في الأفراد بقدر ما يؤثرون فيها. بمعنى أن الناس تشكل البيئة، في حين أن البيئة تحدد المثيرات الدافعة لسلوك الناس.

- **العقلانية:**

تقع العقلانية في مركز المفاهيم النفسية لدى «باندورا»، حيث رأى أن القدرة الفائقة لدى الإنسان، لاستخدام الرموز، هي التي مكنته من عملية الربط والاقتران (الإشراط)، وساعدته على التخطيط والسلوك في ضوء ما يخطط له، وليس مجرد تجديد اختيارات محتملة والتصرف بناء عليها (كما في الإشراط الإجرائي).

مثال: بدون القدرة على تخزين الصور المعرفية في الذاكرة، لا يمكن تحقيق النمذجة والتعلم بالملاحظة.

هذا ولم يقتصر «باندورا» على اعتبار المعزز الخارجي، المحدد الآلي للسلوك

(كما اعتبر سكنر)، بل رأى أن التعزيز الداخلي أيضاً، يعطي الفرد الفرصة للتفكير في تولد سلوكيات مستقبلية، بالإضافة إلى تأثيره على الأسباب الداخلية للسلوك (وهذا يقترب من «دولارد وميلر») بأن أفكار الفرد الخاصة قد تزيد من فرجة قلقه، وأن الناس قد يرهقون إذا تقبلوا مواقف مثيرة للرعب، ويقضون إذا أطالوا التفكير في نتائجها. وهناك كثيراً من المدمنين الذين يكافحون طويلاً لتحقيق أهدافهم، محتملين على دوافعهم الذاتية، ومستحيضين بما من تقص التعزيز الناتج عن تقدير ما أنجزوه.

* النظرية الكلية:

ركز «باندورا» على الافتراضات التركيبية، ولكنه لم يحدد مفهوماً تركيبياً له القدرة الفائقة على تحديد السلوك، مثل مفهوم الذات عند «روجرز»، أم الطابعة عند «يونغ» أم «ماسلو» وحتى مصطلح النمذجة؛ فقد تناوله من خلال مكوناته الوظيفية، بمعنى أن التقليد، هو نوع من النمو تطور الوظائف الفرعية اللازمة (كالتمييز، والملاحظة، والتخزين في الذاكرة، ومطابقة الأنظمة الحسي-حركية بما هو متعلم، والحكم على مدى مطابقة السلوك الصادر بما هو ملاحظ)، وأن السلوك لا يفهم إلا من خلال مكوناته الجزئية، والتي تعمل بصورة متكاملة.

* البنيوية التركيبية البيئية:

على الرغم من تركيزه على البيئة الاجتماعية والتعلم في التأثير على سلوك الفرد، إلا أنه أكد على التفاعل المتبادل بين العوامل السلوكية والمعرفية والبيئية.

* الشمولية للتغيير:

تركز المفاهيم الأساسية للتعلم بالملاحظة على القابلية للتغيير، وفي نظام

«باندورا»، الذي يرى، أنه مع نمو الناس ونضجهم، فإنهم يكتسبون قدرة أكبر على الضبط وتوجيه السلوك من خلال التدعيم الذاتي من جهة، والتنظيم البيئي من جهة أخرى، فهم ينظمون الدوافع الخارجية من أجل سلوك مرغوب، ويقيّمون تفضيلاتهم بما يخدم ويدعم مكاسبهم.

إلا أن «باندورا» اهتم بالعوامل المحددة لتفسير السلوك (كغيره من علماء السلوكية) أكثر من اهتمامه بالتغيرات الداخلية التي تنظم سلوك الفرد عبر الزمن.

هنا وقد وقف «باندورا» موقفاً وسطياً بين الذاتية والموضوعية، لأن التفاعل المستمر بين الفرد والبيئة في نظريته يعكس افتراض الذاتية والموضوعية معاً.

حيث يستجيب الناس للمؤثرات الخارجية من خلال ملاحظتها، ويعالجون هذه المؤثرات من خلال تركيباتهم العقلية. فالناس تلاحظ، وتفكر، وتخطط، وتتوقع ردود الأفعال الخارجية على تصرفاتهم. وحسب هذه النظرية، فإن سلوك الناس محكوم باستجاباتهم للأحداث المتوقعة (توجهاتهم المستقبلية) بدلاً من استجاباتهم نحو الماضي أو الأحداث الخارجية الراهنة. (Bandura, 1977)

وهكذا فإن سلوك الفرد هو نتيجة لبعد توجهه المستقبلي (تفاعل مسبق)، ورد فعل للأفعال المتوقعة عن سلوكه (تفاعل متبادل).

بناء الشخصية:

لم يهتم «باندورا» (بالتركيبات التكوينية المجردة للشخصية) مثل «دولارد» و«ميلر» وغيرهم من السلوكيين، إلا أنه أولى اهتماماً أساسياً للطرائق التي ينظم بها الناس سلوكهم، وللتعزيز، ولآثار الفعالية المدركة للذات على سلوك الفرد وتفضيلاته.

أولاً - سلوك تنظيم الذات:

حسب «باندورا»، فإن سلوك الناس يتأثر بالمعايير المتعلمة التي حددوها لأنفسهم (معايير داخلية، أم خارجية) وكلما كان المعيار المحدد أكثر دقة، ووضوحاً، كلما زادت مراجعة الفرد لنفسه للوصول إلى أهدافه.

وتتحدد المعايير الذاتية للشخص بعوامل منها:

- إنجازاته السابقة لاسيما الناجحة منها.
- الدرجة التي ينسب بها الفرد نجاحه إلى مجهوده الشخصي، لا إلى عوامل الحظ والصدفة.
- الأهمية التي يوليها الفرد للنشاط الذي يقوم به.
- المدح والنقد الذي تلقاه الفرد من الوالدين في الطفولة والمراهقة.
- ما يتخذه الفرد من نماذج يحذو حذوها مقارنة مع الأشخاص الأكثر قدرة وتأثيراً في حياته الذاتية.

مثال: الطفل الذي يتلقى مديحاً متكرراً من أبوين متساهلين، أكثر ميلاً ليمتدح ذاته. وتكرار مسايرة الذات والتسامح معها، قد يُكتسب من خلال ملاحظة نموذج يعزز المهام السهلة.

ويرى «باندورا» أن المعايير الذاتية في الأحوال الطبيعية، تترابط مع المعايير الخارجية، فمن النادر أن يمدح الفرد المتوازن، ذاته، على سلوك غير مقبول اجتماعياً، لأن ذلك سيعرضه للنقد من الآخرين.

وعلى الرغم من ذلك فإن «باندورا» يؤكد على أهمية المعايير الذاتية والتدعيم الذاتي لفهم السلوك الإنساني. ويرى أن الناس، يحسّنون سلوكهم، أم يحافظون عليه من خلال التدعيم الذاتي الذي يساعدهم على ضبط ما يرغبون في إنجازه من معايير يفرضونها على ذواتهم.

وقد استخدم «باندورا» مصطلح تنظيم الذات للدلالة على نتائج – زيادة أم خفض – التأثيرات المختلفة للتقييم الذاتي (سلبي أم إيجابي). حيث يقوم التنظيم الذاتي بوظيفة الدافعية ويتضمن سلوك تنظيم الذات ثلاث عمليات هي:

١ - **أبعاد الملاحظة الذاتية.** حيث يتنوع سلوك الفرد، بتنوع أبعاد الملاحظة الذاتية مثل معدل استجابة الفرد، بينما تعتمد الدلالة الوظيفية لهذه الأبعاد على نوع النشاط.

مثال: يُحكم على أداء الفرد في ألعاب القوى بالزمن والمسافة، بينما يتم تقييم الأعمال الفنية على ضوء جدتها وأصالتها، ويُحكم على السلوك الاجتماعي من خلال التزامه بالأخلاق أم غيرها من معايير التقويم.

٢ - **عمليات التقييم.** وهي العمليات التي يُحكم من خلالها على الأداء، إن كان جديراً بالتقدير والتدعيم، أم أنه يستحق العقاب. من خلال معايير شخصية مستخدمة في عملية التقييم، أم من خلال المقارنة بمجموعة معيارية. فدرجة (جيد جداً) لطالب يسعى إلى التفوق في صفه لا تمده بإحساس الكفاية في الأداء عندما يقارن نتائجه مع زملائه الذين حصلوا على (امتياز).

ثم أن تقييم النشاط يتوقف على الجهد المبذول من قبل الأفراد.

كما أن الطريقة التي يُدرك بها الناس أسباب سلوكهم تؤثر بشدة في درجة قبولهم الذاتي (هل يعزون نجاحهم أم فشلهم إلى جهودهم الذاتية أم لعوامل خارجية كالحظ والصدفة... الخ).

٣ - **الاستجابة الذاتية.** إن القبول الذاتي الإيجابي عن الأداء، سيزيد التدعيم عن التفاعلات الذاتية، بينما القبول السلبي، يثير العقاب لاستجابات الذات.

والاستجابة الذاتية للأفراد محكومة، بارتباطها بالأنماط الداخلية للفرد (الرضا عن الذات أم لوم الذات).

تدعيم وتنظيم الذات:

يتم اكتساب المعايير التي يدعم الناس بها أنفسهم أو يعاقبونها بطرائق مختلفة منها:

* التعزيز المتمايز، حيث يتعلم الفرد عادة تقييم سلوكه، بناء على الطريقة التي يستجيب بها الآخرون لهذا السلوك. فإذا أهمل الأهل عقاب السلوك العدواني الذي يتكرر لدى الطفل، فإنه سيسلك بطريقة لا تشعره بالذنب عندما يكون عدوانياً بسلوكه، بمعنى أن الاستحسان الذاتي أم الإدانة الذاتية تتوقف على ما يلاقيه الطفل من قبول أم رفض لمعايير التنشئة الاجتماعية.

* المطابقة، ويكون الحديث هنا عن مدى التطابق بين النموذج والمعايير التي فرضها الفرد على نفسه.

فعندما يحقق النموذج المعايير التي فرضها الفرد على ذاته، فإنه يعزز ذاته إيجاباً أم يكافئ ذاته، ولكن عندما يعجز عن الوصول إلى تحقيق معاييره الذاتية فإنه يميل إلى نقد ذاته.

ثالثاً: التعزيز:

بالإضافة إلى التعزيز الخارجي الذي تحدث عنه «سكنر»، فقد أضاف باندورا نوعين آخرين من التعزيز هما التعزيز الذاتي والتعزيز البديلي.

* التعزيز الخارجي، لقد رأى كل من «بافلوف» و«سكنر» و«دولارد» و«ميلر» أن التعزيز الخارجي يمد الفرد بمعلومات تزيد دافعيته، وأن السلوك

يتحدد بدرجة كبيرة على أساس نتائجه ، لكن «باندورا» أضاف إلى ذلك أهمية العوامل المعرفية التي تزيد السلوك قوة وشدة. ورأى أن هذه النتائج ، تحدث تغيراً شديداً في السلوك الإنساني عن طريق تأثيرها الضاغط من الأفكار ، وأنه من الضروري أن يكون التغير المعرفي من الفرد ذاته ولا يُملى عليه.(Bandura, 1977)

والمهم في هذا النوع من التعزيز هو ، عملية التغذية الراجعة التي تلي السلوك ، فالناس لا يتأثرون بما ينتج عن تصرفاتهم من خبرات فقط ، ولكنهم ينظمون سلوكهم بناءً على نتائج الملاحظة كذلك. (عبد الرحمن ، ١٩٩٨)

* التعزيز الذاتي Self-Reinforcement.

يرى «باندورا» أن التعزيز الذاتي يؤدي دوراً أكبر من التعزيز الخارجي في سلوك تدعيم الذات ، لأن الناس لا ينظمون سلوكهم وإنجازاتهم بناء على معايير خارجية فحسب ، بل ينظمونها أيضاً بناء على معاييرهم الذاتية الداخلية. لذلك فسلوك الناس مرهون بقدرتهم على تحقيق هذه المعايير. وهم قد يعاقبون أنفسهم أم يكافئونها بمقدار ما يحققون من نجاح. ويرى أن الفرد كلما تقدم بالسن يصبح أميل للاعتماد على التعزيز الداخلي.

* التعزيز البديلي Vicarious Reinforcement.

مثلما يستفيد الناس من خبراتهم الذاتية ، بإمكانهم الاستفادة من ملاحظاتهم لنجاح أم فشل الآخرين. وغالباً ما يميلون إلى تكرار الأعمال والمواقف ، التي اقترنت بمكافأة أم تعزيز لدى الآخرين ، ويتجنبون الأفعال التي تم عقابهم عليها. فالطفل الذي يلاحظ أن قرينه ، قد عوقب بسبب إهماله واجباته ، سيقلع عن هذا العمل إذا كان يمارسه. ويسمى هذا النوع من العقاب، العقاب البديلي ، حيث يؤدي دوراً هاماً مع التعزيز البديلي في تنظيم السلوك.

وكما يقول المثل العربي «العاقل من استفاد من أخطاء غيره، والشقي من استفاد غيره من أخطائه».

ويقوم التعزيز البديلي عند «باندوراه بست وظائف هي:

- **الوظيفة المعلوماتية** حيث يسترشد المتعلم مما تعرض له النموذج الملاحظ (من تعزيز أم عقاب).

- **الوظيفة الدافعية** حيث تستثار توقعات الملاحظ بما حصل عليه النموذج (من تعزيز أم عقاب).

- **وظيفة التعلم الانفعالي** وهو الوصول إلى الاستثارة الانفعالية، الضرورية في مواقف التعلم بالملاحظة.

- **وظيفة القابلية للتأثر**. حيث تزداد قابلية المتعلم للتأثر بالتعزيز المباشر من خلال ملاحظة استجابة النموذج المماثل للتعزيز.

- **وظيفة تعديل مكانة النموذج**. حيث إن المكانة الاجتماعية للنموذج تتغير تبعاً لما يتلقاه من ثواب أم عقاب، فالمكاسب الرياضية لأي فريق رياضي، سوف ترفع مكانة الفريق، الأمر الذي سيدفع الفرق الأخرى إلى تحقيق مكاسب مماثلة.

- **الوظيفة القيمية**. وتشير إلى المواقف التي يُطبق فيها التعزيز على النموذج، مما يدفع الملاحظ إلى اكتساب القيم التي تم تعزيزها.

ثالثا- فعالية الذات المدركة Perceived self-Efficacy.

تتأثر سلوكياتنا وتفضيلاتنا بالطريقة التي تدرك بها فعاليتنا المحتملة في مواجهة ضغوط ومتطلبات البيئة. وحسب هذا المفهوم يميل الناس إلى الأنشطة التي يستطيعون إنجازها بالفعل، بينما يتجنبون الأنشطة التي يرونها أنها تفوق

قدراتهم. والأشخاص الذين يعتقدون أن لديهم فعالية ذات مرتفعة، أكثر ميلاً لمواجهة المعوقات والخبرات المنفرة. بينما يميل ذوو الفعالية المنخفضة للذات، لتضخيم مشكلاتهم أكثر مما هي عليه في الواقع، وقد يتراخون أم يتجنبون مواجهة هذه المشكلات. أما ذوو الفعالية المعتدلة فيحبذون التعاون ويتوصلون من خلاله إلى إحداث التغيرات المطلوبة في المجتمع ويعبئون جهودهم ومواردهم لتحقيق ذلك.(Bandura, 1981)

ويميز «باندورا» بين مفهوم الذات الموجب وهو (ميل الفرد للحكم على ذاته بشكل إيجابي) وبين مفهوم الذات السالب، وهو (ميل الفرد لنقد ذاته والتقليل من قيمتها).

ولكنه يرى أن صورة الذات وحدها لا تكفي لتفسير السلوكيات المختلفة للأفراد في المواقف المختلفة، وأن درجة مفهوم الذات تختلف لدى الفرد من مجال لآخر (مجال دراسي، رياضي، مواقف اجتماعية... الخ) كما يرى ضرورة دراسة هذه الجوانب منفصلة، كل على حدة.

ويعرف «باندورا» فعالية الذات بأنها: مكون نظري يسهم في تغيير السلوك، وهي قدرة الفرد على التخطيط وممارسة السلوك الفعال الذي يحقق النتائج المرغوبة في موقف ما، والتحكم بالأحداث المؤثرة على حياته، وإصدار التوقعات الذاتية الصحيحة لمدى قدرته على القيام بأنشطة معينة، والتنبؤ بالجهد المطلوب لتحقيق ذلك النشاط.

أما درجة الفعالية فتحدد نمط السلوك المتوقع أن يقوم به الفرد في مواجهة المشكلات، كما تحدد كمية الطاقة المبذولة للتغلب على تلك المشكلات. بمعنى أنها تحدد نمط السلوك، وأنماط السلوك الأكثر فعالية.

ويرى «باندوراه أن مفهوم فعالية الذات يسهم بشكل كبير في تحديد وتفسير القوة الإنسانية حيث إنها تؤثر في أنماط التفكير، والتصرفات، والإثارة العاطفية. وبالتالي كلما ارتفعت فعالية الذات، ارتفع الإنجاز، وانخفضت الاستثارة الانفعالية.

وقد أشارت العديد من الدراسات إلى أن، آلية فعالية الذات يمكن أن يكون لها قيمة كبيرة في تفسير تصرفات الأفراد. لأنها تساعد في تفسير الاختلاف بين بعض أنماط سلوك المسايرة، الذي ينتج عن أسباب مختلفة، وردود الفعل الفيزيولوجية، والتنظيم الذاتي لسلوك العناد، والخوف، واليأس، والتخلي عن خبرات الفشل، والصراع من أجل الإنجاز ونمو الميول الحقيقية.

وتؤثر أحكام فعالية الذات سواء كانت صائبة أم خاطئة، في اختيار الفرد للأنشطة والمواقف البيئية.

ويشير كازدن (Kazdin, 1991) أن ذوي الإحساس المرتفع بفعالية الذات يرسمون خططاً ناجحة توضح الخطوط الإيجابية المؤدية للنجاح، بينما يميل الذين يحكمون على أنفسهم بعدم الفعالية إلى رسم خطط فاشلة.

ويعتبر «باندوراه أن فعالية الذات المدركة، من أهم الميكانزمات أم القوى الشخصية، التي تعمل كمحدد من محددات دافعية السلوك الإنساني، فهي تؤثر في الحدث، من خلال عمليات دافعية معرفية وجدانية (مثل الإثارة الانفعالية وأنماط التفكير).

ويشير «باندوراه إلى أربعة مصادر رئيسية للمعلومات، يمكن أن يتناولها المرشد النفسي لتغيير فعالية المسترشد الذاتية هي:

١ - إنجازات الأداء (حيث تكون معلومات التوقع فيها مبنية على أداء المسترشد الفعلي).

٢ - التعلم بالملاحظة (حيث تكون معلومات التوقع فيها مبنية على نتائج التجربة المباشرة للأداء).

٣ - الإقناع الكلامي (حيث يُعطى المسترشد معلومات التوقع مبنية على خبرة المرشد).

٤ - الإثارة الانفعالية (حيث تكون معلومات التوقع فيها مبنية على إدراك المسترشد لحالته الانفعالية).(جورج كازدا وآخرون، ١٩٨٦)

نمو الشخصية:

لم يقدم باندوراه تصوراً توضيحياً لمراحل النمو، ولكنه ركز على بعض العوامل المؤثرة في النمو ولاسيما النمو المعرفي، والاجتماعي، والتركيز على التعلم بالملاحظة أم النمذجة.(Modeling)

التعلم بالملاحظة:

لا ينظر باندوراه إلى النمذجة، مجرد إجراء علاجي فحسب، فالكثير مما يتعلمه الإنسان يتم بالملاحظة، ويعتبر هذا النوع من التعلم أمراً حيوياً لكل من النمو والبقاء.

وقد كشفت دراساته عن آثار التعلم بالملاحظة وهي:

- تعلم استجابات جديدة من خلال ملاحظته لأداء الآخرين، وبمجرد إذا اقترن أداء الفرد بأي نوع من التعزيز (ذاتي، خارجي).
- التعزيز البديلي والعقاب البديلي وقد تمت الإشارة له آنفاً.
- التسهيل: أي أن عملية ملاحظة سلوك النموذج تسهل ظهور استجابات، تقع في حصيلة المُلاحِظ السلوكية، وقد تعلمها سابقاً (أي أنها ليست جديدة عليه كلياً، ولكنه لا يستخدمها)، بمعنى أن سلوك النموذج قد سهل

للمتعلم تذكر الاستجابات المشابهة، مما يزيد من احتمالية استخدامها.

ولابد من التمييز بين تحرير السلوك وتسهيل السلوك.

تحرير السلوك يتناول الاستجابات التي تم كفها لأنها لا تتناسب والمعايير الاجتماعية، فيعمل الفرد إلى تحريرها بسبب ملاحظة نموذج يقوم بها دون أن يصيبه أذى.

أما تسهيل السلوك فيتناول الاستجابة المتعلمة غير المكفوفة، والتي يقل استخدامها غالباً فتنسى، حيث يعمل على زيادة تواترها بسبب ملاحظة نموذج يؤديها.

ولا يمكن الحديث عن ظهور التعلم بالملاحظة دون تدعيم للنموذج أم المشاهد.

أما العوامل المؤثرة في التعلم بالملاحظة فهي:

١ - **الانتباه (إدراك النموذج)**. وهنا يتم التعلم بقدر ما ينتبه المتعلم للنموذج وتتأثر عملية الانتباه للنموذج بخصائص الملاحظ (العمر، الذكاء، المستوى التعليمي، مدى جاذبية النموذج له وتماثله معه في الخصائص... الخ) وخصائص النموذج (الجاذبية الاجتماعية، مكانته بالنسبة للملاحظ، درجة التماثل بين الملاحظ والنموذج) وخصائص تتعلق بالإجراءات (الثواب والعقاب الذي يتعرض له النموذج، عدد النماذج المقدمة، المناخ العام).

٢ - **الاحتفاظ**. يقوم الملاحظ بحفظ السلوكيات المتعلمة من النموذج وتخزينها في الذاكرة طويلة المدى على شكل صور سمعية أم بصرية (مرمزة). ويساعد الاقتران بين هذه الصور، وتكرار سلوك النموذج في القدرة على الاحتفاظ بالمادة المتعلمة.

ويفترض «باندورا» نظامين أساسيين يتم من خلالهما حفظ واسترجاع سلوك النموذج وهما التخيل والترميز اللفظي للأحداث التي تمت ملاحظتها سابقاً.

٣ - **استرجاع السلوك.** حيث يتم في هذه المرحلة ترجمة الصيغ التي تم ترميزها في الذاكرة إلى سلوك ملائم. ولا يُتوقع أن يكون السلوك المسترجع صحيح تماماً من المرة الأولى. ولكن التكرار والممارسة والتصحيح المعتمد على التغذية الراجعة، كلها أساليب تحسن السلوك المتعلم.

٤ - **عمليات الدافعية.** حيث تزداد قابلية الملاحظ لتعلم السلوك الصادر عن النموذج في حالة وجود تعزيز إيجابي (خارجي، بديلي، ذاتي). أم حتى توقع هذا التعزيز، فقد يرتب الطفل غرفته بدافع توقع الكلمة المرضية من والديه.

وهكذا فإن توقع التعزيز، قد يؤدي دور التعزيز الفعلي في المبادأة بالسلوك المرغوب.

انتباه واستقبال السلوك	←	احتفاظ في الذاكرة طويلة المدى على شكل رموز	←	استرجاع الرموز إلى أنماط استجابية جديدة	←	دافعية تعزيز أو توقع التعزيز

أما عن **أنواع النماذج** فقد تحدث «باندوراه عن ثلاثة نماذج:

أ - **النماذج الحية.** كأن يكون المدرس نموذجاً حياً لطلابه، والأب نموذجاً

إيجابياً لأولاده، ورب العمل مثلاً يُحتذى من قبل عماله وهكذا...

من إيجابيات النماذج الحية زيادة الدافعية، وتسهيل عملية تعلم السلوك المرغوب، ولكن من سلبياتها، صعوبة التحكم في سلوك النموذج، (فقد لا يسلك النموذج) بالطريقة التي نريدها تماماً.

ب - **النمذجة الضمنية.** عندما يصعب إعداد نماذج حية أم محسوسة بشكل مباشر لعرضها على المسترشدين أم المتعلمين يمكن استخدام النماذج الضمنية حيث يعتمد هذا الأسلوب على مساعدة المسترشد على تخيل نماذج تقوم بالسلوكيات التي يرغب المرشد أن يقوم المسترشد بها.

وقد استخدم «كازدن» أسلوب النمذجة الضمنية في خفض الخوف لدى طلبة الجامعة، وفي تدريب الطلبة على السلوك التوكيدي. وتبين أن نتائج استخدام النمذجة الضمنية لا تقل أهمية عن النمذجة الحية.

ج - **النمذجة بالمشاركة.** وتشمل هذه العملية على عرض السلوك على المسترشد بوساطة نموذج، والطلب منه أداء هذا السلوك، مع توجيهات تقويمية. والمرشد الواعي يستطيع أن يساعد المسترشد، في أثناء هذا الموقف، على عقد مقارنة لما أحرزه من تقدم.(الشناوي، ١٩٩٦)

تطبيقات نظرية «باندورا»:

- ينسب «باندورا» حدوث الاضطراب النفسي إلى خلل في عملية التعلم، أم إلى التعميمات والتوقعات الخاطئة عن ذلك (كأن تعمم امرأة تجربتها السيئة مع زوجها على كل الرجال).

- تطبيقات النمذجة في مجال ضبط الذات. فقد تحدث عن أساليب عديدة

لضبط الذات، نذكر منها فقط أسلوب تأجيل الإشباع حيث يفرض المرء على نفسه تأجيل التعزيزات الصغيرة العاجلة من أجل غيرها الكبيرة والآجلة (كأن يوفر الطفل مصروفه اليومي من أجل رحلة يحلم بها).

وقد استُخدم الضبط الذاتي في مجال التدخين، والحمية، وتحسين عادات الدراسة وبعض المشكلات السلوكية (الحادة) كالغضب والعدوان والخجل وغيرها...

ويستند أسلوب الضبط الذاتي عند «باندوراه على مبدأ الحتمية التبادلي وخاصة فيما يتعلق بالعلاقة بين قطبي هذا المبدأ وهما الحتمية — الحرية حيث يؤكد هذا المبدأ على أن الناس يشكلون بيئاتهم، وبنفس الوقت، فإن البيئة تشكل سلوكهم، ولكن كون الناس عقلانيين أساساً، وبإمكانهم تحقيق ما يرغبونه من تغير، فإن احتمالية الضبط غير محدودة تيذكر هنا الآية الكريمة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١/١٣).

والضبط الذاتي عند «باندوراه لا يقع تماماً ضمن القوى الداخلية (قوة الإرادة)، أم القوى الخارجية (التعزيز الخارجي)، ولكنه نوع من التفاعل الشخصي المتبادل مع البيئة بأسلوب مخطط بعناية وينطوي على ثلاثة عناصر هي: ملاحظة الذات، التخطيط البيئي بما في ذلك ضبط المثير، والتنظيم المسبق لنتائج الاستجابة، وبرمجة السلوك التي تتضمن التعاقد الذاتي والمكافأة والعقاب الذاتي.

- ومن أكثر إسهامات «باندوراه تأكيده على إحداث بعض صور الإصلاح الاجتماعي، وانتقاده بشدة الآثار التي يتركها التلفزيون ووسائل الإعلام الأخرى عند عرضها للسلوك العدواني.

لقد زود النظرية السلوكية بأدلة عقلية مقنعة أكثر مما قدمه «سكنر»، و«دولارد» و«ميلر» ولكنه تشابه مع «كيلي» في تأكيده على أهمية تفسير دور التكوينات البيئية، وعلى الاهتمام بقضية التوقع والتنبؤ.

غير أنه تجاهل بعض الجوانب الهامة والمعقدة للسلوك البشري كالصراعات، والشعور، واللاشعور.

خلاصة:

جاء «باندوراه ليؤكد في نظريته على التفاعل المستمر والمتبادل بين الفرد والبيئة. وفسر عملية الإشراط بقدرة الإنسان الفائقة على استخدام الرموز، وليس بالاقتران الآلي وحسب. كما أكد على أهمية التعزيز الذاتي والبديلي وانطلق في مفهومه للتعلم بالملاحظة من قابلية الناس للتغيير. واهتم بالطرائق التي ينظم بها الناس سلوكهم وذواتهم، وأثر الفعالية المدركة على سلوك الفرد وتفضيلاته.

وقد عزا الاضطراب النفسي إلى خلل في عملية التعلم أم إلى التوقعات أم التعميمات الخاطئة. وكان من أهم إسهاماته تطبيق النمذجة في مجال ضبط الذات، وتأكيده على إحداث بعض صور الإصلاح الاجتماعي.

الأنشطة والتمرين

- ما هو مصدر استمدت التبادلية عند باندورا؟
- حسب مفهوم القابلية للتغيير عند باندورا هل ترى أن الشخصية تتغير باستمرار؟ ناقش ذلك.
- أيهما أكبر أثراً في سلوك تنظيم الذات المعايير الذاتية أم المعايير الخارجية؟ وضح ذلك.
- اشرح العمليات التي تستخدمها أنت عندما تنظم إجاباتك على سؤال مفاجئ وأنت بحالة معينة (فرح، هم، ترتيب... الخ).
- قارن بين التعزيز الذاتي والتعزيز البديلي موضحاً ذلك بالأمثلة.
- ما رأيك بالتعلم عن طريق الملاحظة؟
- ما موقع النظرية بين النظريات الأخرى؟

الباب الخامس

الشخصية نظام من التبادل الاجتماعي - الحيوي [العضوي]

ويتناول هذا الباب :

١ - نظرية المجال «لكورت ليفين» والتي ترى الإنسان، مجالاً معقداً من الطاقة تحركه قوى سيكولوجية، ويسلك بما له من مقدرة على الاختيار والإبداع. وأنه يجب النظر إلى السلوك الإنساني في سياق مواقف الحياة الطبيعية الحيوية.

٢ - نظرية «جاردنر مورفي» الاجتماعية - الحيوية. وهي ذات طبيعة تولفية، وظيفية، كلية ومجالية.

ويتصور الإنسان، كائناً بيولوجياً، يرتبط مع بيئته المادية والاجتماعية بعلاقة متبادلة.

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الفصل التاسع

نظرية المجال عند «كورت ليفين»

أهداف الفصل وكلماته المفتاحية:

أن يعرف الدارس:

- منطلقات النظرية
  - السلوك وظيفة المجال
  - تحليل السلوك
  - تمثيل الشخص والمواقف رياضياً.
- بناء الشخصية
  - الشخص
  - البيئة النفسية
  - متفاعلان من خلال النظام
    - الحركي
    - الإدراكي
    - الحركي الإدراكي
- ديناميات الشخصية لبناء البيئة النفسية من خلال المفاهيم
  - الطاقة
  - التوتر
  - الحاجة
  - التكافؤ
  - القوة الموجهة

- البناء غير الشخصية من خلال
  - التمايز
  - تغير الحدود
  - التنظيم
  - التكامل

- موقع النظرية بين النظريات الأخرى.

Damascus University

نظرية المجال عند «كورت ليفين»



نبذة عن حياته:

- ولد ليفين في بروسيا عام ١٨٩٠ وتوفي ١٩٤٧ في إحدى الولايات المتحدة الأمريكية.
- حصل على الدكتوراه عام ١٩١٤ من جامعة برلين.
- عمل في جامعة «كورنل» لمدة عامين وفي مركز رعاية الطفل أيضاً.
- عمل مديراً لمركز بحوث ديناميات الجماعة في ولاية ماساشوستس.

السمات الأساسية لنظرية المجال:

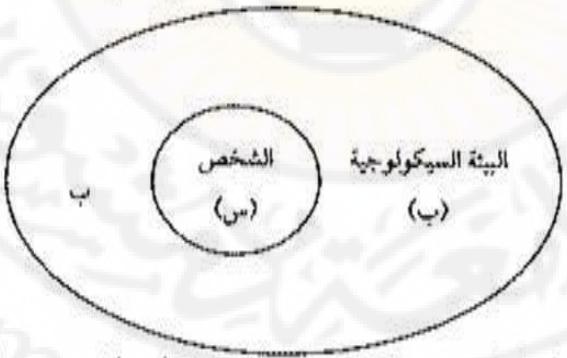
- السلوك وظيفة المجال الذي يوجد لحظة حدوث السلوك.
- يمكن تحليل السلوك من الموقف ككل، ومن الموقف تتمايز العناصر المكونة للموقف.
- يمكن تمثيل الشخص الفعلي – العياني، والموقف الفعلي العياني رياضياً. إذ يرى ليفين أن الرياضيات هي اللغة الأصيلة للبحث العلمي.

بناء الشخصية:

يفصل ليفين بين الشخص وبقية العالم برسم شكل مغلق (ولا يهم الشكل والحجم في هذا التمثيل) المهم ما هو داخل الشكل يمثل الشخص وما هو خارجه فهو العالم المحيط.

مثال: حيز الحياة=شخص* بيئة سيكولوجية

ح= س*ب



والمهم في العلاقة بين الشخص وخارجه خاصتان ← التمايز

← علاقة الجزء بالكل

بمعنى أننا نمثل الشخص بوصفه منفصلاً عن كل أكبر، ومندمجا في نفس الوقت داخل هذا الكل.

ويؤكد «ليفين» على التفاعل بين الشخص وبيئته السيكولوجية ويسميه حيز الحياة.

أما الفراغ الموجود خارج الشكل البيضوي فيطلق عليه العالم الفيزيقي.

س - خريطة تمثل التصور الفكري للواقع، ترشد الشخص وتعرفه بحقائق جديدة عن الواقع.

حيز الحياة - هو الواقع السيكولوجي كله. وهو يحتوي على مجموع الوقائع الممكنة، القادرة على تحديد سلوك الفرد، أي أنها تتضمن كل ما علينا أن نعرفه حتى نستطيع فهم السلوك العياني لكائن إنساني ما، في بيئة سيكولوجية معينة وفي وقت معين. فالسلوك هو وظيفة حيز الحياة أي س = و(ح).

أما المنطقة المحيطة بحيز الحياة والمتاخمة له فيطلق عليها (الغلاف الغريب على حيز الحياة)، حيث إن الوقائع الموجودة في هذا الغلاف (غير نفسية) ولكنها تستطيع أن تغير من الوقائع النفسية.

- ثم أن الحدود الفاصلة بين حيز الحياة والعالم الخارجي تتسم بخاصية (النفاذية). وحسب هذه الحالة فإن حدثاً خارجياً (في المجال غير السيكولوجي)، قد يغير كلياً مسار الأحداث في حيز الحياة. مثال قد يؤدي حديث هاتفي غير متوقع، أم حادث سيارة مجرى حياة شخص ما. لذلك لا يكفي التنبؤ بالسلوك على ضوء المعرفة بالقوانين النفسية وحدها، ولابد من فهم الموقف النفسي الراهن للشخص.

- والحدود الفاصلة بين الشخص والبيئة هي أيضاً قابلة للنفاذ، بمعنى أن

وقائع البيئة يمكن أن تؤثر في الشخص، والوقائع الشخصية يمكن أن تؤثر في البيئة.

ويرى أنه لدى كل إنسان نظام (حركي) وآخر (إدراكي) وثالث (حركي إدراكي) يعمل كل منهم كوحدة وبشكل مستقل عن غيره، على الرغم من التفاعل المتبادل بين هذه الأنظمة.

وهكذا يمكن تلخيص بناء الشخصية عند ليفين

بأن حيز الحياة يتكون من الشخص، تحيط به بيئة نفسية. ويتمايز الشخص إلى منطقة إدراكية -- حركية ومنطقة شخصية – داخلية. حيث تقسم المنطقة الشخصية بدورها إلى مجموعة من الخلايا المحيطة والخلايا المركزية. وتتمايز البيئة النفسية إلى مناطق أيضاً. كما يحيط بحيز الحياة الغلاف الغريب، والذي يشكل جزءاً من البيئة غير النفسية أم الموضوعية ويفصل بين مناطق الشخص ومناطق البيئة حدود تتميز بخاصية القابلية للنفاذ.

وتتشابك كل مناطق حيز الحياة فيما بينها، بحيث تستطيع واقعة في أحد المناطق أن تؤثر على واقعة في منطقة أخرى. ويسمى التأثير الذي يحدث بين واقعتين حدثاً.

هذا ويتحدد مدى التأثير بين المناطق بـ ← صلابة الحدود

← عدد المناطق الموجودة بين مناطق التفاعل

← خصائص السطح للمناطق المتفاعلة

وعندما يستطيع الشخص التحرك بين المناطق، نقول أن مناطق البيئة متصلة

بعضها ببعض. كما يقال أن مناطق الشخص متصلة بعضها ببعض عندما تستطيع هذه المناطق الاتصال ببعضها وحيز الحياة يعدان آخران هما الواقع – اللاواقع، والماضي – الحاضر.

ويتناول «ليفين» هذه المفاهيم طوبولوجياً (العلاقات المكانية). وهو لا يهتم بالخصائص التقليدية للفراغ أم المسافة (كالحجم والشكل) كما يمثل مفاهيمه الدينامية كالاتجاه والمسافة والقوة بـ الهودرلوجيا (علم المسارات).

ديناميات الشخصية:

إن التمثيل البنائي لحيز الحياة عند ليفين، يشبه الخريطة. فهي تحتوي على كل المعلومات التي يحتاجها الفرد ليسلك طريقه. ولكن هذه المعلومات غير كافية لتفسير السلوك الشخصي في موقف نفسي معين. لذلك يضيف «ليفين» مفاهيم دينامية أساسية ليشرح الكيفية التي يحدد بها الشخص بناء بيئته وهذه المفاهيم هي:

- **الطاقة.** ويقصد بها الطاقة النفسية التي تقوم بالأعمال. وتتولد الطاقة عند الشخص عندما يكون في حالة عدم التوازن (اختلاف التوتر بين أجزاء الجهاز نتيجة تنبيه خارجي أم تغير داخلي) ويسعى إلى التوازن.
- **التوتر.** هو حالة المنطقة الشخصية الداخلية بالقياس إلى المناطق الشخصية الداخلية الأخرى. ويتميز التوتر بخاصتين:

أ - عملية معادلة التوتر بين أنظمة الشخص المختلفة.

ب - يتوقف انتقال التوتر من منطقة إلى أخرى، على مدى مقاومة هذه المناطق.

• **الحاجة.** إن ازدياد التوتر (أو تفريغ الطاقة) في منطقة شخصية – داخلية بسبب استثارة الحاجة (أولية أم ثانوية).

إذن فالحاجة مفهوم دافعي ترادف المصطلحات الأخرى كالرغبة أم الباعث أم المحرك أم الدافع... الخ.

ويؤكد «ليفين» على وصف الحاجة بكل خصائصها وتفاصيلها لنستطيع فهم الواقع النفسي الحقيقي للشخص. كما يشير إلى كثرة الحاجات وتعددها، بقدر المطالب النوعية والتي تختلف من شخص لآخر. ويميز ثلاث حالات للإشباع، **حالة الجوع، والامتلاء، والامتلاء المفرط.** ويقابل هذه الحالات تكافؤ إيجابي، ومحايد وسلبي لمناطق النشاط المتواصلة بحاجة معينة. ويعني فرط الامتلاء أن النشاط الذي كان مرغوباً من قبل، قد أصبح غير مستساغ بفعل الخبرة المستمرة به. فالإسراف في أي شيء يؤدي إلى التخمة.(هول وليندزي، ١٩٧٨)

ويفرق «ليفين» بين الحاجات التي ترجع إلى حالة داخلية (الجوع) وبين أشباه الحاجات التي تمثل قصداً محدداً (إطفاء الجوع بتناول الطعام في مكان محدد).

كما يرى أن حاجات الشخص تحددها إلى حد كبير العوامل الاجتماعية.

• **التكافؤ.** خاصة تصورية ذهنية لمنطقة البيئة النفسية (قيمة هذه المنطقة عند الشخص). وهناك نوعان من القيمة:

أ - إيجابية (تحتوي على موضوع هدف يخفض التوتر إذا ما دخل الشخص هذه المنطقة. مثال المنطقة التي تحتوي على طعام، لها تكافؤ إيجابي عند الشخص الجائع.

ب - سلبية تزيد التوتر.

لذلك تقوم التكافؤات الإيجابية بالجذب، أما التكافؤات السلبية بالتنفير.

والتكافؤ كم متغير، فقد يكون ضعيفاً، أم متوسطاً أم قوياً. وهو يوجه الشخص عبر بيئته النفسية، لكنه لا يمده بالقوة الدافعة للتحرك. كما أنه يتسق مع الحاجة.

• **القوة أم الكمية الموجهة.** يحدث التحرك عندما تؤثر قوة ذات شدة كافية على الشخص. كما أن القوة تتسق مع الحاجة وتختلف القوة عن التوتر بأنها توجد في البيئة النفسية، بينما التوتر خاصة من خصائص النظام الشخصي.

وترتبط وجهة الكمية الموجهة مباشرة بمكان المنطقة ذات التكافؤ السلبي أم الإيجابي، وترتبط شدة الكمية الموجهة بشدة التكافؤ، وبالبعد النفسي بين الشخص والتكافؤ، وبالقوة النسبية للتكافؤات الأخرى.

إذا كانت قوة واحدة فقط تؤثر على الشخص، يكون هناك ميل للتحرك في وجهة هذه القوة. أما إذا تنافست أكثر من قوة لدفع الشخص إلى وجهات عديدة مختلفة، فإن الحركة الناتجة تكون محصلة هذه القوى مجتمعة (صراع).

أما التحرك فيفسره «ليفين» بمفهوم الحاجة والتوتر والقوة، والتكافؤ، والحاجز، وخصائص الوسط، وبعد الواقع واللاواقع والمنظور الزمني.

يمكن أن تتغير ديناميات البيئة النفسية بأربع طرائق مختلفة:

١ - قد تتغير قيمة المنطقة كمياً، فتتحول من منطقة أقل إيجابية إلى منطقة أكثر إيجابية، كما يمكن أن تتغير كيفياً، من منطقة إيجابية إلى منطقة سلبية. ويمكن أن تظهر تكافؤات جديدة، وأن تختفي تكافؤات قديمة.

٢ - قد تتغير شدة الكميات الموجهة، أم تتغير وجهتها، أم تتغير الشدة والجهة معاً.

٣ - قد تصبح الحدود أكثر صلابة أم ضعفاً، وقد تظهر هذه الحدود أم تختفي.

٤ - قد تتغير الخصائص المادية للمنطقة (المرونة أم الجمود).

والهدف النهائي لجميع العمليات النفسية هو إعادة الشخص إلى حالة التوازن، عن طريق:

أ - القيام بتحرك مناسب في البيئة النفسية يقوده إلى منطقة موضع مشبع للهدف.

مثال: الشخص العاطل عن العمل (متوتر)، حصوله على العمل يؤدي إلى إزالة التوتر، حيث تؤدي العمليات الإدراكية المعرفية والحركية دوراً في تخفيف هذا التوتر.

ب - القيام بتحرك بديل لخفض التوتر واستعادة التوازن. حيث يؤدي إشباع إحدى الحاجات إلى تفريغ التوتر من نظام الحاجة الأخرى.

ج - القيام بتحركات تخيلية خالصة تخفض التوتر. مثال الطالب الكسول الذي يلجأ إلى أحلام اليقظة ليشبع رغبته بالنجاح والتفوق.

نمو الشخصية:

استخدم «ليفين» في تحليله النظري لنمو الشخصية مفاهيم مجالية، مثل التمايز وتغير الحدود، والتنظيم والتكامل. ومع تزايد النضج تتنوع أنشطة المرء وانفعالاته وحاجاته ومعارفه وعلاقاته ويطرأ عليها نوعاً من التنظيم والتعقيد والتكامل.

ومع التقدم بالسن تصبح البيئة النفسية أكثر تمايزاً، حيث يتمايز بعد الزمن إلى الماضي (البعيد والقريب) والحاضر، والمستقبل (القريب والبعيد) ويتعلم التمييز بين الحقيقة والزيف، وبين الإمكان والاحتمال وبين الواقع والخيال.

ويفسر «ليفين» التنظيم والتكامل المتزايدين للسلوك مع تقدم العمر بتبادل الاعتماد التنظيمي حيث تفقد نظم التوتر المتجاورة خاصية التأثير المتبادل بعضها على بعض ويسود نمط من العلاقات ينطوي على (القائد والتابع). ولا ينتشر التوتر في (تبادل الاعتماد التنظيمي) من منطقة لأخرى على أساس القرب فحسب، بل تظهر الانتقائية، بحيث قد تسيطر نظم على نظم أخرى بعيدة عنها أم تقودها.

ويشبه «ليفين» الوحدة التنظيمية للشخص بمنظمة لها رئيس واحد. فعندما تنقسم هذه الرئاسة إلى رئاسات متعددة، تتناقص الوحدة، وعندما يظهر رئيس مركزي جديد، تزداد الوحدة. وهكذا فإن وحدة الشخص الراشد تتفرع وتتشعب، بدلاً من أن تنمو في خط مستقيم. وهذا ما يفسر لنا قدرة الشخص المتقدم في السن على تنظيم وتنفيذ خطة عمل معقدة، وهذا ما لا يستطيعه الأطفال.(هول وليندزي، ١٩٧٨)

ويرى «ليفين» أن عملية النمو والارتقاء مستمرة، يصعب أن نتبين فيها مراحل منفصلة. على الرغم من حديثه عن بعض التغيرات التي تحدث في سن الثالثة، والاستقرار النسبي الذي يعقبها حتى المراهقة، التي هي مرحلة من إعادة التنظيم الدينامي، تنتهي أخيراً باستقرار الرشد.

هذا ويفضل «ليفين» استخدام درجات التمايز والتنظيم والتكامل بدل مقاييس السن لوصف النمو وفهم النمو النفسي.

كما تحدث عن بعض أشكال النكوص والارتداد التي تحدث عند الشخص من وقت لآخر.

وميّز بين الارتداد Retrogression الذي يشير إلى العودة إلى شكل مبكر من أشكال السلوك في تاريخ الشخص، والنكوص Rogression الذي يراه أنه

(أي تغير إلى شكل أكثر بدائية من أشكال السلوك. وبغض النظر عن احتمال أن الشخص نفسه قد سلكه على هذه الصورة سابقاً).

وأخيراً لن ندخل في الانتقادات الموجهة لنظرية «ليفين» وردوده عليها، ولكن نظريته المجالية هذه ساعدت على إحياء مفهوم الإنسان بوصفه مجالاً معقداً من الطاقة تحركه قوى سيكولوجية، ويتبع سلوكاً تؤهله له قدرته على الاختيار والخلق. بعد أن كادت السلوكية تنجح في تحويل الإنسان إلى آلة مجردة من التلقائية والابتكار.

خلاصة:

انطلق «ليفين» في نظرته للشخصية الإنسانية من وجهة النظر الكلية التي ترى أن الإنسان أكثر من مجرد تجميع لعدة وظائف فيزيولوجية، وسيكولوجية واجتماعية. ورأى أن السلوك هو وظيفة المجال الموجود في الوقت الذي يحدث فيه السلوك. وأكد على أهمية القوى التي تسهم في تحديد السلوك. وقد فضل الوصف السيكولوجي للمجال على الوصف الفيزيائي. كما أكد على التفاعل بين الشخص وبيئته السيكولوجية بما أسماه حيز الحياة الذي يحتوي على كل ما يساعد الفرد في حياته.

وقد استخدم مفاهيم الطاقة والتوتر والحاجة والتكافؤ والقوة في شرحه كيفية بناء الشخص لبيئته. كما أكد على تنظيم السلوك وتعقده وتكامله مع الارتقاء بالعمر.

الأنشطة والتقويم

- ما هي السمات الأساسية لنظرية المجال؟
- ما هي نقاط التشابه والاختلاف بين نظرية المجال والتحليل النفسي؟
- قيّم نمو الشخصية وتطورها عند «ليفين».
- ما الذي استفدته من النظرية؟
- ما موقع النظرية من النظريات الأخرى؟

جامعة دمشق Damascus University

الفصل العاشر

نظرية مورفي الاجتماعية - الحيوية

أهداف الفصل وكلماته المفتاحية:

أن يعرف الدارس:

- سمات نظرية مورفي
  - منهج اجتماعي – حيوي
  - الإنسان مجال يضم الكائن الحي وبيئته
- بناء الشخصية المكوّن من
  - استعدادات فيزيولوجية
  - التقنية
  - الاستجابات الشرطية
  - العادات المعرفية والإدراكية
  - الذات
  - الأنا

  وهي ذات علاقات متبادلة
- نمو الشخصية
  - المرحلة الكلية
  - المرحلة المتمايزة
  - المرحلة المتكاملة
- موقع النظرية ضمن النظريات الأخرى.

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University



نبذة عن حياته:

- ولد جاردنر مورفي عام ١٨٩٥ في شيليكوث، أوهايو.
- حصل على البكالوريوس في علم النفس ١٩١٦ من جامعة ييل.
- وحصل على الماجستير عام ١٩١٧ ثم حصل على درجة الدكتوراه ١٩٢٣ من جامعة كولومبيا.

- عمل بجامعة كولومبيا من عام ١٩٢١ – ١٩٤٠ مدرساً ومشرفاً وخاصة في ميدان علم النفس الاجتماعي.
- تقلد عدة مناصب إدارية.
- اهتم بدراسة المشكلات العالمية، وبدور علم النفس في تخفيف حدة التوترات الدولية.
- اهتم بدراسة الظواهر الخارقة للطبيعة.

المنطلقات الأساسية لنظرية «مورفي»:

- سمى «مورفي» نظريته في الشخصية بالمنهج الاجتماعي – الحيوي لأنه يتصور الإنسان، كائناً بيولوجياً حياً يرتبط مع بيئته المادية والاجتماعية بعلاقة متبادلة.

- الشخصية نتاج عملية ثنائية الأقطاب، قطبها الأول داخل الجسم، والثاني خارجه. والإنسان بتعبير «مورفي» نقطة عقدية nodal region ومجال منظم داخل مجال أكبر ومنطقة للتفاعل المستمر، وحركة متبادلة للطاقات الصادرة والواردة.

وتعمل هذه الضغوط الداخلية والخارجية التي تمارس فعلها على الكائن العضوي على تكوين شخصية الراشد (لذلك هي بيولوجية واجتماعية معاً).

- يستند منهجه بشكل أساسي على نظرية المجال وينظر إلى الإنسان بوصفه مجالاً يضم الكائن الحي والبيئة في بناء واحد محدد، يرتبط كل جانب فيه برابطة دينامية مع بقية الجوانب. على الرغم من أن «ليفين» قد أغفل ذكر العوامل البيولوجية في نظريته.

- استفاد من معظم المفاهيم والمبادئ والمسلمات في علم النفس الحديث في توليفته المقصودة.

بناء الشخصية:

اهتم «مورفي» بالبحث عن الوحدات التي تتألف منها الشخصية، وبطريقة تنظيم هذه الوحدات. حيث يعتقد «مورفي» أن الشخصية تتكون من:

• **استعدادات فيزيولوجية** تنشأ مما لدى الفرد من استعدادات تكوينية وجينية كامنة، ويسميها أيضاً (سمات عضوية).

وتتحول هذه الاستعدادات إلى سمات رمزية من خلال الإشراط. حيث يتعلم الشخص أن يستجيب لمثير بديل أم (رمز) كما كان يستجيب للتوتر الأصلي في الأنسجة. *مثال عندما يربط الشخص فكرة (أنا جائع) بالحالة العضوية للتوتر الخاص بالجوع، فإن الفكرة بحد ذاتها يمكن أن تدفع الفرد للبحث عن الطعام* وتتعرض هذه السمات الرمزية للنسيان إذا لم تعزز بين حين وآخر.

• **التَقْنِية Canalization** (فهم الاستجابة الفارقة لوسائل إشباع الحاجة). يمكن توجيه السمات العضوية إلى أشكال معينة من السلوك الاجتماعي. كأن يحدد المجتمع للإنسان الذي يعيش فيه نوع الطعام الذي يأكله، وطريقة إعداده وطريقة تناوله أيضاً...

وكل سمات الشخصية هي في نهاية المطاف، سمات عضوية ارتبطت شرطياً بمثيرات بديلة أم وجهت إلى أشكال معينة من السلوك.

• **الاستجابات الشرطية** التي تنغرس بفعل التعزيز المتكرر.

• **العادات المعرفية والإدراكية** وهي المشترك لكل من التقنية والاستجابات الشرطية.

ويقرر «مورفي» أن العناصر النهائية في بناء الشخصية هي الحاجات أم التوترات.

والتوتر هو تركيز للطاقة في نسيج خاص أم مجموعة من الأنسجة. وترتبط التوترات بعضها ببعض ارتباطاً وظيفياً.

ويفكر «مورفي» من استخدام مفهوم الدور Role. ويقصد به طريقة ثابتة نسبياً للسلوك تفرضها الحضارة والمجتمع على الفرد. وتستقر هذه الأدوار وتتفاعل مع بعضها في الشخصية.

والذات مكون بنائي آخر في نظام «مورفي» وهي (إدراكات الشخص وتصوراته لوجوده الكلي) ويتحدث عن عدة ذوات (مثالية، محبطة..) يرتبط بعضها ببعض ارتباطاً دينامياً، تماماً كما ترتبط أدوار الشخص وحاجاته وسماته ارتباطاً بنائياً في شكل تنظيم كلي يضمها كلها.

ويستخدم «مورفي» مصطلح أنا ego ويعرفه بأنه جهاز للأنشطة المعتادة التي تدعم الذات أو تحميها (كالتبرير والتعويض... الخ).

هذا ويستخدم «مورفي» مصطلحات العادة، والقيمة، والاتجاه، والمدرك، والتصور، والصورة، والخلق، ويعتبر أن كل مفهوم من هذه المفاهيم يسهم في بناء الشخصية، طالما أننا نتصوره مكوناً من مكوناتها.

تنظيم الشخصية ونموها:

(العلاقات المتبادلة بين مكونات الشخصية):

يتحدث عن ثلاث مراحل في تنظيم الشخصية تتعاقب خلال النمو بشكل دائم الواحدة تلو الأخرى:

١ - المرحلة الكلية في بداية الحياة حيث يكون نشاط الفرد عام غير متجانس.

٢ - المرحلة المتمايزة حيث تصبح استجابات الشخص نوعية بعد أن كانت عامة، وتصبح إدراكاته وذكرياته وأفكاره... الخ متميزة بعد أن كانت موحدة.

ويصبح اللا تجانس والانفصالية والاستقلال، من مميزات هذا التنظيم.

٣ - المرحلة المتكاملة حيث يبلغ التواصل بين مكونات الشخصية المختلفة أقصى مدى له. وينتظم سلوك الفرد بكليته ويتكامل.

وقد تكون شخصية الراشد أقرب للنموذج المتكامل، بينما تميل شخصية الطفل إلى النموذج الكلي.

ولا يرى أن هناك حدود زمنية بين مراحل الارتقاء الكلية الثلاث، بل تتداخل الواحدة مع الأخرى.

وقد نرى تراجعاً إلى مرحلة سابقة من النمو (نكوص) أم تقدماً إلى مرحلة تالية (استباق).

وقد يسبق النمو في بعض مكونات الشخصية بعضها الآخر، كما يختلف مستوى النمو باختلاف الأفراد. وتشهد كل مرحلة ولادة عدد من الوظائف المميزة لها، والتي يصعب رؤيتها في مراحل سابقة.

ديناميات الشخصية:

في نظرية «مورفي» نرى أن كلمات توتر، وحاجة، ودافع يحل بعضها محل بعض.

ويرى أن كل ما يُحدث تركيزاً للطاقة في منطقة معينة من الجسم يُعد دافعاً كالجوع والعطش أم المنافسة أم الحب... سواء كان ذلك بفعل تغيرات داخلية أم تنبيه خارجي.

وعلى الرغم من أنه لا ينكر الدوافع المكتسبة إلا أنه يرى أن معظم الدوافع (بما فيها المكتسبة) هي دوافع فطرية وتستمر في بنيان الكائن الحي بحكم التطور.

وليس بحكم التعلم. *فالإنسان مثلاً يرتاح لنوع ما من الموسيقى لأنه يهدئ أم (يهيج) توتراته العضوية، وليس لأنه يرتبط بذكريات سارة مفرحة أم مؤلمة.*

ويرى أن الشخص ينتقي من بيئته ما يتناسب مع حاجاته، ويهمل كل ما ليس له معنى بالنسبة له. ويمكن أن ينهار الإتزان في ديناميات الفرد النفسية إذا تعرض للحرمان أم لخبرات صادمة.

وينظر «مورفي» إلى التعلم بوصفه عملية تتضمن التفاعل بين التكوين الفردي للكائن الحي وبيئته الخاصة. بحيث تنشأ نتيجة هذا التفاعل مجموعة من الارتباطات بين الحاجات والاستجابات، وبين التوترات وطرائق السلوك التي تغير السلوك من خلال:

- الإشراط conditioning.
- والتَقْنية canalization (هي طريقة لتفريغ الطاقة، حيث يفترض «مورفي» أن هذه الطاقة تنتقل خلال قنوات من منطقة إلى أخرى في الجسم لأداء العمل. وتعتمد قوة التقنية على قوة الحاجة، وشدة التوتر، ومرحلة الارتقاء التي وصل إليها الشخص، وتواتر الإشباع).
- ويرجع «مورفي» كثيراً من صور النكوص الطفلي لدى الكبار في أوقات الشدة إلى استخدام تَقْنيات قديمة نمت في بداية حياة الفرد.

وتشكل التقْنيات التي تجري في جسم الإنسان أساس نشأة مفهوم الذات. حيث يؤدي التكرار المستمر لخبرات المتعة الحسية الجسدية إلى تركيز الانتباه على الجسم، دون موضوعات العالم. ويفترض «مورفي» أن تَقْنيات — الذات — (صورة الجسم) هي النواة التي تتشكل حولها جميع الأنواع الأخرى من التَقْنيات.

هذا ويصف «مورفي» الصراع وصفاً نمطياً بأنه صراع دوافع في صورتها المقنعة أم (تقنيات متعارضة).

كما يؤكد «مورفي» دور الحضارة في صياغة الشخصية وقيام الفرد بأدواره المختلفة من خلال:

- الإشراط والتعلم الإدراكي.
- تعلم تقنية (تفريغ) الطاقات من خلال معايير الأسرة والمجتمع.
- توجيه دوافع الفرد بالثواب والعقاب. بحيث لا تختفي الدوافع المعاقبة بل تُكبت وتعود للظهور مرة أخرى في صورة متنكرة.
- يمكن لأي مجتمع أن يشكل العمليات الإدراكية والمعرفية لأفراده، حتى يتعلموا التفكير وفقاً لمعايير مجتمعهم، وحتى ينزعوا إلى اكتساب اتجاهات ومشاعر مشتركة.

وهكذا فأدوار الفرد لا تُشتق من التزاماته نحو مجتمعه فحسب، بل تنشأ أيضاً استجابة لأدوار الآخرين. وكلما استطاع الفرد التكيف مع هذه الأدوار والتوفيق بينها كان أقرب إلى التوازن النفسي.

وأكد «مورفي» على أثر المواقف التي يمر بها الشخص في تغير الأدوار التي يقوم بها.

أما عن **إسهامات** «مورفي» في رفد البحث التجريبي وتطوير الشخصية فقد تتجلى بنوعين من البحوث:

الأول: يتعلق بالعلاقات المتبادلة بين مكونات الشخصية والعمليات المعرفية. حيث توصل من دراساته في الذاتية إلى أن عملية الإدراك شخصية دائماً، وأن كل صفة من صفات الفرد تسهم فيما يدركه. وأن العمليات المعرفية تخدم حاجات الفرد.(هول وليندزي، ١٩٧٨)

الثـــاني: البحـــث النظـــري والتجـــريبي في العمليـــات فـــوق العاديـــة (paranormal). مثـل ظـواهر الاستشـفاف Clairvoyance والتخـاطر العقلـي mental telepathy حيث تمثـل آراء «مـورفي» فيمـا يتعلـق بالعمليـات فـوق العادية، جانباً أساسياً من نظريته عن الشخصية.

ويعتقد «مورفي» أن هناك من الشواهد ما يسوغ افتراض أن كل الشخصيات الإنسانية تستطيع القيام بالعمليات فوق العادية، وتختبئ هذه القدرة عادة بفعل عوامل مختلفة مثل (الاهتمام بالمعرفة الحسية المباشرة، أم الدافعية، أم المعوقات النفسية الداخلية، أم الظروف الاجتماعية).

وعندما تتوافر لهؤلاء الأشخاص ظروف تتفق مع تكوين شخصياتهم (القناعة أم عدمها بهذه الظاهرة) يكشفون عن إمكانات غير عادية.

هذا وقد أشار «مورفي» إلى وجود أبعاد نفسية تتعالى على الشخص المفرد transcena ذات طبيعـــة عـــبر شخصـــية transpersonal وبـــين شخصـــية interpersonal. وهكذا يمكن اعتبار النظرية الاجتماعية الحيوية نظرية تأليفية، وظيفية، كلية، ونظرية مجال.

- **تأليفية.** لأنه **أولاً** استعار كثيراً من المبادئ والقوانين والفرضيات من نظريات أخرى وثانياً لأنه يُدخل في اعتباره جميع نواحي الفرد وبيئته، وكل فروع علم النفس، والوراثة والبيئة، والنضج والتعلم، والدوافع والمواقف، الكائن العضوي والذات.
- **وظيفية.** لأن كل العمليات النفسية تودي دوراً وظيفياً في مساعدة الإنسان على التوافق مع بيئته أم السيطرة عليها.
- **كلية.** لأنه لا توجد عمليات داخل الشخصية يمكن دراستها في حد ذاتها.

فكل عملية تشترك في الكل. فالإدراك مثلاً يتضمن القائم بالإدراك والقائم بالإدراك هو شخص بكامله ذو حاجات وانفعالات واتجاهات... الخ.

• **مجالية**. الكائن العضوي لا ينفصل عن العالم. والإنسان نقطة التقاء في مجال من القوى المتداخلة (داخلية، خارجية، اجتماعية... الخ) وأي تغير في إحدى هذه القوى يؤدي إلى تغير المجال. فالشخص يتغير بتغير البيئة، وعندما تتغير الشخصية يمكن أن تتغير قوى العالم الخارجي المتداخلة.

خلاصة:

رأى «مورفي» أن الشخصية نتاج للتفاعل المستمر بين البيئة العضوية للإنسان والبيئة الاجتماعية له. وقد استخدم مصطلحات العادة والقيمة والاتجاه والدور والذات والأنا لشرح مكونات الشخصية، والعلاقات المتبادلة بين هذه المكونات.

ثم تحدث عن ثلاث مراحل في تنظيم الشخصية تتعاقب على التوالي خلال النمو هي المرحلة الكلية، ثم المتمايزة، ثم المتكاملة.

وقد أسهم من خلال بحوثه بشرح العلاقات المتبادلة بين الشخصية والعمليات الإدراكية، إضافة إلى اهتمامه النظري والتجريبي في الباراسيكولوجي. وقد وصفت نظريته بالمنهج الوظيفي الكلي التكاملي.

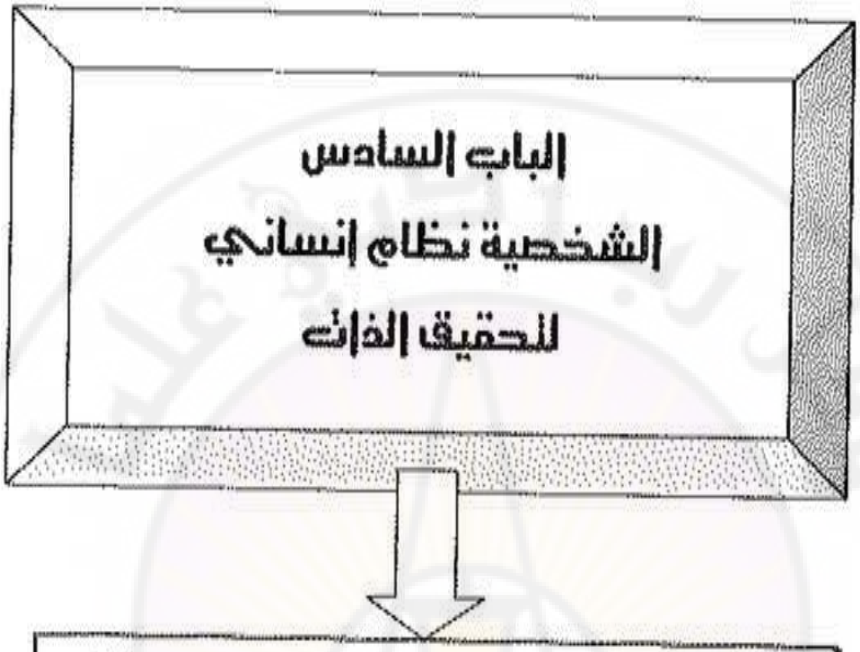
جامعة دمشق Damascus University

الأنشطة والتقويم

- ما هي نقاط الاتفاق والاختلاف بين «مورفي» و«ليفين»؟
- اشرح نظام العلاقات المتبادلة بين مكونات الشخصية عند «مورفي».
- ما الفرق بين التعلم عند «مورفي» والتعلم في المدرسة السلوكية؟ وضح ذلك.
- لماذا تسمى النظرية (منهج وظيفي، كلي، مجالي)؟
- قيم النظرية وحدد مجالات الاستفادة التطبيقية فيها.

Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University



إذا كانت قوة التحليل النفسي في علم النفس هي القوة الأولى، والقوة الثانية هي قوة السلوكية، فإن القوة الثالثة هي الاتجاه الإنساني.

حيث يؤكد علماء النفس الإنسانيون خيرية الإنسان، وتفاؤله وقيمه، وحريته في اختيار مصيره، وقدرته على النمو لتحقيق ذاته.

وأن الإنسان قادر على مواجهة ضغوط الحياة، وعلى تسيير حياته وتحقيق رغباته، كما أنه قادر على فهم ذاته وفهم الآخرين.

لهذا يركز العلماء الإنسانيون أبحاثهم على عوامل وشروط تحقيق الذات ويبحثون في العوائق التي تقف أمام سعي الفرد لتأكيد حريته الإنسانية، والتلقائية الذاتية والوعي على الذات.

ويُعرف القائلون بهذا الاتجاه رواد المدرسة الإنسانية أو علماء نظرية تحقيق الذات في الشخصية.

وفي هذا الباب سيتم عرض المحاور التالية:

١ - مفهوم الذات عند عدد من العلماء.

٢ - نظرية الذات عند «روجرز».

٣ - نظرية تحقيق الذات عند «ماسلو».

٤ - علم النفس الوجودي - «رولو ماي».

٥ - نظرية التحليل التعاملي «ايرك برن».

مع العلم أن هناك عدداً لابأس به من العلماء ممن اتخذوا تحقيق الذات الهدف الرئيسي لدى الكائن الحي مع أنهم ينتمون إلى المدرسة الكلية العضوية مثل «جولدشتاين».

الفصل الحادي عشر

مفهوم الذات والأنا

أهداف الفصل وكلماته المفتاحية:

أن يعرف الدارس:

- مفهوم الذات والأنا
  - قديماً
  - في العصور الوسطى
  - أدبيات علم النفس
- مفهوم الذات عند
  - وليم جيمس (الأنا التجريبية)
  - سيموندس (جوانب الذات)
  - سنيج وكومبز (الذات الظاهرية)
  - لند هولم (الذات الذاتية والذات الموضوعية)
  - ساربين
  - ميد
  - كوفكا
- الفرق بين الذات كموضوع والذات كعملية.

Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

مفهوم الذات والأنا

تساءل الإنسان منذ القديم عن مسببات سلوكه، كما نوقشت كثيراً مسألة الوسيط النفسي الذي ينظم، ويرشد، ويضبط سلوك الإنسان عندما أصبح علم النفس علماً قائماً بذاته. وربما كان أكثر المفاهيم شهرة عن وجود كينونة entity داخلية تصوغ مصير الإنسان عند الفلاسفة قديماً وفي العصور الوسطى، ثم عند علماء النفس الأوائل هو مفهوم الروح. المستمد من الفكر الديني، والذي يرى أن الروح خالدة وحرة وذات أصل إلهي.

فقد أشار «فلاماريون» في دراساته التي استمرت حوالى نصف قرن بأن الروح توجد في صورة حقيقية منفصلة عن الجسد، وأن لها خصائص لم يكتشفها العلم بعد، وأن الروح تستمر بعد الجسم المادي.

كما أكد «فيكتور هيغو» و«غوته» أبدية الروح.

والكثير مما يُكتب عن الذات والأنا في أدبيات علم النفس الآن تستمد من «وليم جيمس» (ق١٨) حيث يعرف جيمس الذات أم الأنا التجريبية Empirical me في أكثر معانيها عمومية بأنها المجموع الكلي لكل ما يستطيع الإنسان أن يدعي أنه (جسده، سماته، قدراته، ممتلكاته المادية، أسرته، مهنته... الخ).(هول وليندزي، ١٩٧٨)

ويتحدث جيمس عن مكونات الذات المادية، والاجتماعية، والروحية، وعن الأنا الخالصة (إحساس المرء بهويته الشخصية)، وعن مشاعر الذات، ونشاط البحث عن الذات وحفظها.

ولمفهوم الذات بعلم النفس معنيان متميزان:

الذات كموضوع **Self-as-object** أي اتجاهات الشخص ومشاعره عن نفسه (فكرته عن نفسه).

والذات كعملية **self-as-process** أي مجموعة العمليات السيكولوجية التي تحكم سلوك الفرد وتوافقه مثل التفكير والتذكر والإدراك... الخ.

وقد درج بعض العلماء على استخدام مصطلح **الأنا Ego** عندما يريدون الإشارة إلى مجموعة العمليات النفسية، **ومفهوم الذات** عندما يريدون الإشارة إلى مفهوم الشخص عن نفسه. ولكن هذا الاستخدام ليس دائماً، وكثيراً ما يُستخدم التعبيران (الأنا والذات) أحدهما مكان الآخر.

وهذا ما سنراه في عينات من الآراء عن الذات والأنا.

- **الذات والأنا عند «سيموندس»**. حيث يعرف الأنا – تبعاً لنظرية التحليل النفسي – بأنها مجموعة من العمليات مثل الإدراك والتفكير والتذكر، المسؤولة عن تطوير وتنفيذ خطة عمل للوصول إلى إشباع استجابة للبواعث الداخلية.(سيموندس، ١٩٥١)

وتتكون الذات من أربعة جوانب:

- كيف يدرك الشخص نفسه.
- ما يعتقده أنه نفسه.
- كيف يقيم نفسه
- كيف يحاول الشخص تعزيز نفسه أم الدفاع عنها من خلال مختلف الأفعال.

كما يشير أيضاً إلى أن الشخص ربما لا يكون على وعي بهذه الإدراكات،

والمفهومات والتقييمات، والاستجابات التعزيزية أم الدفاعية. فقد يكوّن الشخص مفهوماً شعورياً عن نفسه، في حين قد يكون له رأي لا شعوري مناقض. وقد لا يتفق التقييم الشعوري للذات بالضرورة مع التقييم اللاشعوري لها.

ويعتقد «سيموندس» بالتفاعل بين الذات والأنا. فإذا كانت عمليات الأنا فعالة في مواجهة مطالب الفرد الداخلية والخارجية، سيميل الشخص إلى تقدير نفسه بشكل جيد. وإذا كان الشخص حسن الظن بنفسه فإن عمليات الأنا لديه ستميل إلى القيام بوظائفها بفعالية. وبشكل عام فإن احترام الذات والثقة بها مرهون بفعالية الأنا.

- **الذات الظاهرية عند «سينج وكومبز» (Snygg and Comb)** من أنصار علم الظاهريات (الفينومينولوجيا).

يعتقدان أن سلوك الكائن كله، يتحدد بالمجال الظاهري للقائم بهذا السلوك.

أما المجال الظاهري فيتكون من مجموع الخبرات التي يعانيها الشخص لحظة الفعل. ويتراوح وعي الفرد بين مستوى منخفض وآخر مرتفع. ومن المفروض ألا يصبح «لا شعورياً» تماماً.

كما يعتقدان أن الوعي سبب للسلوك وأن ما يعتقده المرء وما يستشعره يحدد ما سوف يفعله.

وتتمايز الذات الظاهرية (Phenomenal self) من المجال الظاهري وتشتمل على أجزاء المجال الظاهري الذي يخبره المرء كسمة مميزة لنفسه.(سنيج وكومبز، ١٩٤٩)

وعليه فهما ينظران إلى الذات كعملية (لأنها جانب من المجال الظاهري الذي يحدد السلوك كله) وأنها موضوع أيضاً لأنها تتكون من خبرات الذات.

• **الذات الذاتية عند «لندهولم».**

ميّز «لندهولم» بين الذات الذاتية التي تتكون من تلك الرموز والكلمات التي يصف بها الفرد نفسه (ما يعتقده الفرد عن نفسه).

وبين الذات الموضوعية التي تتكون من الرموز التي يصف الآخرون من خلالها الشخص (ما يعتقده الآخرون عن الفرد).

ويشير «لندهولم» أن صورة الذات الذاتية ليست ثابتة وهي (تتسع أم تضيق أم تتغير) حسب العوامل المحيطة مثل التعاون أم الصراع مع الآخرين، ومستوى الجهد المطلوب للقيام بمهمة معينة.

إلا أن «لندهولم» لم يتحدث عن الأنا مطلقاً.

• **الذات عن «ساربين Sarbin».**

بناء معرفي يتكون من أفكار المرء عن مختلف نواحي وجوده بمعنى (ذاته الجسدية والاجتماعية والنفسية والانفعالية... الخ) والتي تعتبر أبنية تحتية للبناء المعرفي الكلي، وتُكتسب من خلال الخبرة.

هذا ويستخدم «ساربين» لفظي ذات وأنا بعضهما محل بعض ولا يهتم بتطوير نظرية عن الأنا كعملية.

• **الذات عند «ميد Mead».**

الذات عند «جورج ميد» (فيلسوف اجتماعي) موضوع للوعي أكثر منها نظاماً من العمليات وتتكون عن طريق التعلم وتنشأ في ظروف اجتماعية متباينة.

ويرى «ميد» أنه يمكن أن تنشأ لدى الفرد عدة ذوات، تمثل كل منها مجموعة من الاستجابات مستقلة بدرجة أم بأخرى، ومكتسبة من مختلف الجماعات الاجتماعية. فقد تنمو لدى الشخص ذات عائلية مثلاً تمثل بناء الاتجاهات الذي

يعبر عن العائلة، وذات تحصيلية، تمثل الاتجاهات المعبّرة عن اتجاهات معلميه وزملائه... وذوات أخرى أيضاً.

- **الأنا والذات عن «كوفكا».**

الأنا عند «كوفكا» (من رواد الغشتالت) هي جزء منعزل عن المجال الكلي، فهي موجودة داخل البيئة السلوكية التي تحيط بها وتتفاعل معها.

أما سبب انفصال الأنا عن المجال الكلي، فيعود للخبرات المتنوعة، أم غير المتجانسة، والتي يلتحم بعضها ببعض وفقاً لقاعدة القرب لتكون الأنا.

هذا وتوجد خبرات لا شعورية مثلما توجد خبرات شعورية. حيث تكون الخبرات الشعورية (الأنا الظاهرية) وهذا الاسم أطلقه «كوفكا» على مفهوم (الذات كموضوع).

ولكن «كوفكا» يوضح أن الأنا عملية، مثلما هي موضوع. فهي تتكون من نظم من التوترات تتفاعل مع البيئة. وتُعزى التغيرات في السلوك إلى «تغيرات في أنا – المجال الجشطالتية الكبرى) وتشبه الأنا عند «كوفكا» (الشخص عند «ليفين»).

ويضيف «كوفكا» مفهوماً آخر هو المنفذ (executive) الذي يضبط السلوك، ولكنه منفصل عن الأنا.

وبالإضافة إلى الأنا التي هي (موضوع وعملية بنفس الوقت)، والمنفذ (وهو عملية).

يعترف «كوفكا» بوجود ذات (هي نواة الأنا).

خلاصة:

تعددت الآراء والاتجاهات التي تدرس الوسيط النفسي الذي ينظم ويضبط سلوك الإنسان (قديماً وحديثاً) واختلفت التسميات حوله، فمنهم من أطلق عليه الروح ومعظم هؤلاء من الفلاسفة في مختلف العصور، إلى أن وضع عالم النفس «وليم جيمس» هذا المفهوم وسماه الأنا التجريبية أم الذات. وقد تم التمييز بين الذات كموضوع والذات كعملية. وينطلق العالم في تعريفه لهذا المفهوم من المدخل النظري الذي يتبناه سواء كان تحليلياً، أم ظاهرياً، أم معرفياً، لذلك تباينت الآراء واختلفت قليلاً أم كثيراً حول هذا المفهوم.

الأنشطة والتقويم

- متى بدأ الإنسان البحث عن مفهوم الذات وكيف؟
- ما الفرق بين الذات الذاتية والذات الموضوعية؟ اذكر أمثلة توضح ذلك.
- ميّز بين الذات كموضوع والذات كعملية مستعيناً بالأمثلة.
- هل تعرف بعض الفلاسفة أم العلماء الذين تحدثوا عن مثل هذه المفاهيم ولم تُذكر أسماؤهم هنا؟

جامعة دمشق Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الفصل الثاني عشر

نظرية الذات عند كارل روجرز (Carl Rogers)

او نظرية التمركز حول الشخص

Apereon – Centered Theory

أهداف الفصل وكلماته المفتاحية:

أن يعرف الدارس:

- المفاهيم الرئيسية للنظرية
  - قديماً
  - المجال الظاهري
  - الذات
  - التقدير الإيجابي
  - تحقيق الذات
- العلاقة بين هذه المفاهيم من خلال القضايا الرئيسية لروجرز.
- نمو الشخصية.
- محكات الصحة النفسية.

Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University



نبذة عن حياته:

- ولد في إحدى مقاطعات شيكاغو عام ١٩٠٢ وتوفي عام ١٩٨٧.
- تخرج من جامعة ويسكونسين عام ١٩٢٤.
- حصل على الماجستير ١٩٢٨ والدكتوراه ١٩٣١ في علم النفس التربوي الاكلينكي.

- حصل على خبراته العملية الأولى في العلاج النفسي من عمله في إحدى معاهد إرشاد الأطفال في نيويورك والذي كان ذا صبغة فرويدية.
- تقلد عدة مناصب أكاديمية وإدارية، وأخذ ينمي مدخلاً خاصاً به في العلاج النفسي سمي العلاج المتمركز حول الشخص person-sentered therapy.
- مثل نظريته في الشخصية توليفة من علم الظاهريات (الفينومينولوجيا) كما قدمها «سنيج وكومز»، ومن النظرية العضوية كما ظهرت عند «غولدشتاين» و«مازلو» و«أجيال»، ومن نظرية «سوليفان» في العلاقات الشخصية ومن نظريته هو في الذات.

المنطلقات النظرية لـ«روجرز»:

(طبيعة الشخصية):

• **الكائن الحي.** وهو الفرد كله. ويمتلك الخصائص التالية:

- يستجيب ككل منظم للمجال الظاهري حتى يُشبع حاجاته.

- دافعه المحرك الأساسي، هو دافع إيجابي، لتحقيق إمكانياته الداخلية الكامنة وتعزيزها. ويُرجع «روجرز» السلوك السلبي إن وجد، إلى قوى خارجية أكثر مما يرجعها إلى قوى داخلية فطرية.

- قد يرمّز الكائن الحي خبراته فتصبح شعورية، أم يُنكر عليها الرمز، بحيث تظل لا شعورية، أم قد يتجاهلها تماماً.

• **المجال الظاهري.** وهو مجموع الخبرة التي يعيها الفرد. بحيث يكون المجال الظاهري شعورياً أم لا شعورياً حسب تحول هذه الخبرات أم عدم تحولها إلى رموز.

والخبرة هي كلّ ما يدور داخل الكائن الحي في لحظة معينة (عمليات فيزيولوجية، انطباعات حسية، نشاطات حركية) ومعظم خبراتنا اللاشعورية تصبح شعورية عندما نحتاج إليها.

• **الذات.** وهي الجزء المتمايز من المجال الظاهري وتتكون من كيفية إدراك الفرد الشعوري لنفسه وتقييمها. وللذات خصائص:

- تنمو من تفاعل الفرد مع البيئة.

- تنمو نتيجة النضج والتعلم.

- تنزع الذات إلى الاتساق، كما أن الكائن يسلك بأساليب تتسق مع الذات.
- قد تمتص قيم الآخرين وتدركها بطريقة مشوهة (حسب طريقة التنشئة).
- الخبرات التي لا تتسق مع الذات تُدرك بوصفها تهديدات.

• **الحاجة إلى التقدير الإيجابي.** وهي حاجة ملحة عند كل البشر، وتنطوي على الرغبة في الحصول على الدفء والتعاطف والتقبل، ممن لهم أهمية بحياة الشخص. وتبقى نشطة طوال حياة الفرد. وهي ترتقي بظهور الوعي بالذات. وقد يسعى بعض الأفراد إلى الحصول على تقدير الآخرين أكثر مما يسعى إلى الخبرات التي يقدرها الكائن الحي. ونتيجة لخبرات الذات بإشباع أم إحباط حاجتها إلى الاعتبار الإيجابي يكتسب الفرد، الحاجة إلى اعتبار الذات وتعمل هذه الحاجة مستقلة عن العلاقات مع الآخرين.

وبالنهاية، كنتيجة لأن الحاجة لاعتبار الذات تعمل بشكل انتقائي، يكتسب الفرد شروط التقدير. **وشرط التقدير** هو الحد الذي يساعد الفرد على تجنب بعض خبرات الذات، والسعي وراء بعضها الآخر، بناء على استحقاقها أم (عدم استحقاقها) لاعتبار الذات. وهذه المفاهيم الثلاثة تساعد على معرفة الفرق بين الذات والخبرة، ومفارقات السلوك، والخبرات المهددة والعمليات الدفاعية.

• **الميل إلى تحقيق الذات.** هو الميل الفطري لدى جميع البشر لحفظ أنفسهم وتعزيزها. وهذا الدافع المتواصل للحياة يستمر على الرغم من كل العقبات التي يمكن أن يمر بها الفرد. كما أن هذا الدافع يجعل الفرد أكثر تمايزاً وتطوراً، وأكثر استقلالاً، وأكثر مسؤولية اجتماعية.

• **للإنسان طبيعة خيرة**، وهو يسعى دائماً لتحقيق أهدافه. وما نراه من

سلوكات سيئة أم مدمرة (حسب روجرز) تعود إلى الظروف التي تنكر على الإنسان تحقيق ذاته أم تعيقها.

أما عن العلاقة بين هذه المفاهيم فيبرزها «روجرز» في القضايا التالية:

١ - (يوجد كل فرد في عالم من الخبرة دائم التغيير، يشكل الفرد مركزاً له).

وهذا العالم من الخبرة لا يعرف حقيقته إلا الفرد نفسه، ولذلك فإن أحسن مصدر للمعلومات عن الشخص تكون منه.

من هنا أكد «روجرز» على أهمية الاستماع، والتسامح والقبول غير المشروط لكل ما يقوله المسترشد، لأن ذلك يساعد المرشد في الحصول على تقارير ذاتية وصريحة.

٢ - (يستجيب الكائن للمجال كما يخبره هو ويدركه، لأن المجال الإدراكي هو واقع بالنسبة للفرد).

وتؤكد هذه القضية أن الشخص لا يستجيب للمثيرات الخارجية أم الداخلية كما هي، وإنما يستجيب إلى خبراته الذاتية عن هذه المثيرات. فالواقع عنده هو ما يظنه الحقيقة (وبصرف النظر عن احتمال أنه حقيقي أم لا)، وهذا الواقع الذاتي هو الذي يحدد كيف يسلك. لذلك فإن معرفة المثير لا تكفي للتنبؤ بالسلوك. المهم أن نعرف كيف يدرك الشخص هذا المثير.

٣ - (يستجيب الكائن الحي إلى المجال الظاهري ككل منظم).

وهذه القضية تكشف عن تأثره «بديوي» الذي يؤكد على دراسة الاستجابات الكلية المنظمة والهادفة.

فالكائن الحي بناء منظم، وأي تغير في أحد أجزائه يؤدي إلى تغير في كل جزء آخر.

إبقاء وتقوية الكائن الحي الذي يعيش

لدينامية، ويعتبر الباعث الواحد فيه،
سير وفق الخطوط التي تحددها طبيعة
حدة، وهناك من جهة أخرى، هدف
ن كفاح.
ا لدافع النمو من أثر قوي على الفرد.
ثرات.
مو للأمام. ويكون لهذه الحركة نتيجة
بين ما يساعده على التقدم أم الفشل.
يعرف، يختار طريق النمو ويرفض

جهة نحو هدف، هو إشباع الحاجات

الأساسية للكائن الحي لصيانة ذاته

ه نحو هدف ويسهل له مهمته).
ن عوامل الهدم، بل هو شيء نافع
نعال قوي) الشخص إلى بذل جهد
عور بالرضا (انفعال هادئ) فيسهل

وتختلف شدة الانفعال حسب دلالات الموقف بالنسبة للشخص فكلما زاد التهديد بالخطر زاد خوف الإنسان.

٧ - (أحسن موقع ممكن لفهم السلوك هو من خلال الإطار المرجعي الداخلي للفرد نفسه).

لهذا يؤمن «روجرز» بأن تقارير الفرد عن نفسه، مصدر ممتاز للبيانات الذاتية النفسية. ويعترف «روجرز» بأن تقارير الفرد عن نفسه، قد لا تعطي صورة كاملة لشخصيته أم تكشف كل محددات سلوكه... لأنه قد يكون واعياً لأسباب سلوكه ولا يستطيع التعبير عنها بكلمات تفصح عن المعنى الذي يعنيه.

أو قد لا يكون واعياً بكل خبراته (فلا يستطيع نقلها)، وقد يكون الفرد واعياً بخبراته وقادراً على التعبير عنها، إلا أنه لا يريد ذلك. فإذا فُرض عليه أي ضغط للإدلاء بها، عمد إلى التمويه والمداراة.

وعلى الرغم من هذه العقبات فإن «روجرز» يفضل التقارير الذاتية لفهم الشخصية والسلوك من خلال الإطار المرجعي للشخص باستخدام التشجيع.

٨ - (يتمايز جزء من المجال الإدراكي الكلي بالتدريج ليكون الذات).

تتمايز الذات الظاهرية من المجال الإدراكي الكلي. والذات هي وعي الفرد بوجوده ونشاطه. أم هي كل الخبرات التي تُنسب إلى شيء واحد هو «أنا» أم ضمير المتكلم.

٩ - (يتكون بناء الذات نتيجة التفاعل مع البيئة، ومع الأحكام التقويمية للآخرين).

حيث يبدأ الطفل التمييز بين ذاته كشيء مختلف عن البيئة التي يعيش فيها، كما يدرك أن بعض الأشياء تخصه وبعضها الآخر لغيره.

ثم يبدأ برسم تصور خاص عن نفسه في علاقته مع البيئة، وتصبح لهذه الخبرات والعلاقات قيمة إيجابية أم سلبية. ويضيف إليها القيم التي يأخذها عن الآخرين كما لو كان قد خبرها بنفسه.

١٠ - (هذه القيم التي ترتبط بالخبرات وتشكل جزءاً من بناء الذات).

قد يخبرها الكائن الحي بصورة مباشرة.

وقد يأخذها عن الآخرين (كما لو كانت قد خُبرت بطريقة مباشرة) ولكن تدرك بصورة مشوهة.

فالطفل الذي يعاقبه والده على اللعب مثلاً، يعاني صراعاً بين متعة اللعب ورغبة تجنب الألم، مما يضطر إلى مراجعة صورة ذاته ومجموعة القيم لديه، وهذه المراجعة تؤدي إلى تشويه قيم الطفل ومشاعره.

ومما يخفف حدة الصراع بين القيم، تقبل الوالدين لقيم طفلهما، ولو كانا لا يوافقانه عليها. حتى يختفي عند الطفل كل تهديد لصورة ذاته، ويصبح بإمكانه تنمية ذات صحيحة خالية من الخبرات المشوهة.

١١ - (تتحول خبرات الفرد التي تحدث له في حياته) وفق الاحتمالات التالية:

أ - صورة رمزية تدرك وتنتظم في علاقة مع الذات.

ب - يتجاهلها الفرد حيث لا تدرك لها علاقة ببناء الذات.

ج - يحال بينها وبين الوصول إلى صورة رمزية، أم تعطى لها صورة رمزية مشوهة لأنها لا تتسق مع بناء الذات.

وهذا يؤكد أن الإدراك انتقائي، ويتحدد بمدى اتساق الخبرة مع صورة الذات لدى الفرد، في أثناء عملية الإدراك.

إن إنكار الخبرة يختلف عن رفضها.

فإنكار الخبرة هو تزييف للواقع (عدم إدراكه أم إدراكه بصورة مشوهة) فقد ينكر مثلاً أحد الأشخاص مشاعره العدوانية التي يحس بها تجاه فلان، لأنها لا تتفق مع صورته عن نفسه، بأنه إنسان مسالم وودود.

لذلك يلجأ للتعبير عنها بصورة رمزية مشوهة، كإسقاط هذه المشاعر على الآخرين.

١٢ - (تتسق معظم الطرائق التي يختارها الفرد لسلوكه مع مفهومه عن نفسه).

لذلك فإن أحسن طريقة لتعديل السلوك، هي إحداث تغيير في مفهوم الذات. وهذا ما يقوم عليه العلاج المتمركز حول الذات.

١٣ - (قد يصدر السلوك عن خبرات وحاجات عضوية لم تصل إلى مستوى التعبير الرمزي، وربما لا يتسق هذا السلوك مع بناء الذات، وفي مثل هذه الحالات، فإن السلوك لا يكون منتمياً للفرد).

١٤ - (ينشأ سوء التوافق النفسي، حين يمنع الكائن الحي عدداً من خبراته الحسية والحشوية ذات الدلالة من بلوغ مرتبة الوعي، مما يؤدي إلى عدم تحولها إلى صور رمزية، وعدم انتظامها في بناء الذات، الأمر الذي يسبب التوتر النفسي).

١٥ - ولذلك (يتحقق التوافق النفسي، عندما يصبح مفهوم الذات في وضع يسمح لكل الخبرات الحسية والحشوية للكائن الحي، بأن تصبح متمثلة في مستوى رمزي وعلى علاقة ثابتة ومتسقة مع مفهوم الذات).

فعند «روجرز» جهازان (الكائن الحي والذات) قد يتعارضان أم يتفقان.

١٦ - (تدرك أية خبرة لا تتسق مع بناء الذات كتهديد، وكلما زادت

الخبرات المُهددة، ازداد الجمود في تنظيم بناء الذات حتى يتسنى له الحفاظ على بقائه).

حيث تدافع الذات ضد الخبرات المهددة، بإنكارها على مستوى الشعور، وهذا يزيد الفجوة بين صورة الذات وواقع الكائن الحي.

وبالتالي فإن مزيداً من دفاعات الذات (للحفاظ على صورة مزيفة) يؤدي إلى انقطاع الصلة بين الذات والخبرات الفعلية، الأمر الذي يوصل إلى سوء التكيف.

ولإحداث التكامل المتناسق بين الذات والكائن الحي يمكن:

١٧ - (في ظل ظروف خاصة تتضمن، انتفاء أي تهديد للذات، يمكن إدراك الخبرات التي لا تتسق مع مفهوم الذات، كما يمكن مراجعة بناء الذات أيضاً، بشكل يسمح بتمثل هذه الخبرات واستدماجها في بناء الذات).

وهذا ما يجده الشخص في ظروف العلاقة الإرشادية القائمة على التقبل والشعور بالأمان والدفء... الخ. مما يشجعه على الكشف عن الجوانب اللاشعورية في ذاته، ورفعها إلى مستوى الوعي.

١٨ - (عندما يدرك الشخص كل خبراته الحسية والحشوية، ويتقبلها في شكل متسق ومتكامل، فإنه يصبح بالضرورة، أكثر تفهماً للآخرين وأكثر تقبلاً لهم كأشخاص منفصلين).

مثال: الشخص الدفاعي – ميال للشعور بالعداء للآخرين الذين يجسدون المشاعر التي ينكرها.

مثال: ينتقد الشخص الذين يسلكون بطريقة مسالة تشبه ما يحسه هو من تهديد وهذا يذكرنا بالمثل الشعبي (اللي بعينو شوكة بتخلو).

لذلك فإن تفهم الشخص لمشاعره وتقبلها يؤدي إلى تحسن علاقاته

الاجتماعية، والتقليل من احتمالات التعرض للخلافات الاجتماعية.

١٩ - (عندما يدرك الشخص في بناء ذاته، ويتقبل المزيد من خبراته العضوية يكتشف أنه يستبدل جهاز القيم الحالي لديه – وهو قائم أساساً على ما استدمجه عن الآخرين وأعطى له صورة مشوهة – بعملية تقييم متصلة ومستمرة).

وهنا لابد من توضيح أن مصطلح جهاز يأخذ معنى استاتيكي ثابت

أما العملية فتأخذ معنى التحول والصيرورة.

لذلك لابد من تقييم دائم للخبرات، لمعرفة ما إذا كانت هناك ضرورة لإحداث تعديل في بناء القيم، لأن ثبات القيم (الجامد) يمنع الفرد من الاستجابة الفعالة للخبرات الجديدة.

نمو الشخصية:

لا يفترض «روجرز» مراحل أم معايير محددة للنمو، ويفضل التأكيد على الاستجابة للطفل (منذ ولادته) باعتبار إيجابي غير مشروط.(Rogers, 1977)

كما ينصح بضرورة التعامل مع الطفل بطريقة ديمقراطية وتنطوي على التقبل ليُتاح له النمو في مناخ يسمح له بتحقيق ذاته.

وقد وضع «روجرز» قائمة من **محكات الصحة النفسية**، تنطبق على الشخص القائم بوظائفه على أكمل وجه وهي:

١ - يستمتع بالاعتبار الإيجابي غير المشروط.

٢ - التطابق الكامل بين الخبرة ومفهوم الذات الذي يحميه من التهديد ويسمح بالتعبير عن كل الخبرات على مستوى الوعي.

٣ - الانفتاح الكامل على الخبرة. فالشخص المتوافق مستعد للقيام بعمليات التقييم والتغيير، بدلاً من التسويف والتسويغ.

٤ - تصحيح الأخطاء عندما يتم تفهمها بسبب التناغم بين حيلهم لتحقيق الذات، وتحقيق الواقع، والوصول إلى أقصى ما تمكنه إمكانياته.

٥ - يحمل الحب لغيره ويشبع حاجاته من الاعتبار الإيجابي بتكوين علاقات شخصية ناجحة مع الآخرين.

٦ - لديه اعتبار إيجابي غير مشروط نحو الآخرين يماثل اعتبارهم الإيجابي نحو ذاته.

٧ - يعيش حياة الحرية والتكامل في كل لحظة، فهو يستجيب بتلقائية لخبراته ويكيف مفهومه عن ذاته تبعاً لذلك.

٨ - توقعه الجيد للمستقبل ومحاولته ضبطه والتحكم به.

٩ - يرون السعادة مثل رحلة دائمة التغيير. والحياة السعيدة (الحياة الطيبة، حياة عملية وليست حالة من الثبات، إنها تكليف ليست تشريف). (Rogers, 1977)

أخيراً يمكن القول أن «روجرز» كان يطور طريقة العلاج المتمركز حول الشخص، ولم يكن يشغل نفسه بنظرية في الشخصية، ولكن عندما استطاع الوصول إلى عدة طرائق وأساليب وفنيات للعلاج، أدرك الحاجة إلى مجموعة مفاهيم وافتراضات، تساعده على تفسير التقارير اللفظية لمرضاه، وعلى زيادة قدرته على فهم مريضه كشخص. لذلك **فالنظرية التي أبدى تفضيلاً لها** هي، ما يناسب نوع المعطيات التي تتجمع لديه خلال ممارسته العلاجية. بالإضافة إلى ذلك نظرته الإنسانية للفرد والطبيعة الخيّرة عند البشر.

وعلى الرغم من تأكيد «روجرز» على تقارير الفرد الذاتية كمصدر مباشر للمعلومات عن الشخص، إلا أنه أشار إلى طرائق أخرى لملاحظة السلوك ووصفه مثل الاختبارات، وقياس التغيرات الفيزيولوجية المصاحبة لحالات التوتر والانفعال. وأسلوب الملاحظة لسلوك شخص ما في موقف من مواقف الحياة اليومية.

كما أن حديثه عن الذات قد فتح باباً للبحث التجريبي أمام عدد كبير من العلماء.

ولسنا هنا (كما فعلنا في كل النظريات) بصدد نقد النظرية، بقدر ما نعرض إسهام صاحب النظرية في تطوير نظريات الشخصية من الإطار النظري أم العملي الذي اعتمده.

فقد كانت **طريقة العلاج المتمركز حول الشخص** من أهم اسهاماته، ولاسيما في تحديده لشروط العلاقة العلاجية الناجحة، ومراحل العلاج. وقد يضيف حديثه عن المناخ النفسي الملائم لنمو الفرد في المجتمع، والطفل في الأسرة، والتلميذ في المدرسة إسهاماً آخر لعلم النفس.

خلاصة:

يرى بعض علماء النفس من أتباع المدرسة الإنسانية، أن الهدف الأسمى للفرد أن يصل إلى أقصى الإمكانات الموجودة في ذاته.

إن الفرد مدفوع لأن يصبح أكثر فأكثر نفسه، أم ما تؤهله طبيعته أن يكونه. وهذا التوجه هو جوهر نظريات الشخصية المعروفة بنظريات تحقيق الذات.

ويركز أصحاب هذه النظريات على خيرية الطبيعة الإنسانية، وعلى الشروط المناسبة لتحقيق الذات.

كان «روجرز» مثالاً حقيقياً لأتباع هذه المدرسة. فقد رأى أن الشخصية هي التعبير عن نزعة الفرد لتحقيق ذاته وفق إدراكه الفردي الفريد للواقع، ودور الخبرة في تكوين مفهوم الذات، والمعوقات التي تعترض سبيل تحقيق الذات وآثارها على تطور الشخصية وأدائها لوظائفها.

وقد ربط بين مفاهيم نظريته من خلال بعض القضايا الرئيسية التي تم طرحها في هذا الفصل، ووضع قائمة من محكات الصحة النفسية التي تنطبق على الشخص المحقق لذاته والقائم بوظائفه على أكمل وجه.

وكان من أكثر إسهامات نظريته نظرية العلاج المتمركز حول الشخص، واهتمامه بالمناخ النفسي الملائم لنمو الفرد في المجتمع.

الأنشطة والتقويم

- تذكر المنطلقات الرئيسية لـ«روجرز».
- كيف جمع «روجرز» بين مفاهيمه حول الشخصية؟
- أين يلتقي «روجرز» مع المدرسة التحليلية، أم مع مدارس أخرى؟ وضح ذلك.
- ما الفرق بين مصطلحي جهاز وعملية عند «روجرز»؟
- ما الذي لفت انتباهك في إسهامات «روجرز»؟

جامعة دمشق Damascus University

الفصل الثالث عشر

نظرية تحقيق الذات

Theory of Self - Actualization

عند «ابراهام ماسلو» Abroham Maslow

أهداف الفصل وكلماته المفتاحية:

أن يعرف الدارس:

- منطلقات «ماسلو» حول طبيعة الشخصية
  - قديماً
  - تعدد دوافع الإنسان وتعقدها
  - تنتظم الحاجات في تدرج من الأولوية
  - تختلف طرائق إشباع الحاجات باختلاف الثقافات والظروف المحيطة
- تركيب الشخصية
- نمو الشخصية
- سمات الأشخاص المحققين لذاتهم
- إسهامات النظرية

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University



نبذة عن حياته:

- ولد عام ١٩٠٨ في بروكلاين بنيويورك وتوفي عام ١٩٧٠.
- حصل على الدكتوراه عام ١٩٣٤.
- تأثر بأفكار كل من الفرويدية الجديدة، والغشتالت، وعلم الأنثروبولوجيا، والسلوكية، والكلية الديناميكية.

- بعد الحرب العالمية الثانية تحول اهتمامه من السلوكية إلى الجانب الإنساني في الشخصية.
- شغل عدة منصب إدارية وعلمية.
- مارس العلاج النفسي أكثر من عشر سنوات.
- شرح نظرية الشخصية في علم النفس الإنساني، وركز على الجانب المشرق والأحسن في الشخصية.

طبيعة الشخصية:

• للإنسان طبيعة فطرية خيرة في جوهرها، ولا تكون شريرة على الإطلاق. وهذا تصور ذهني يخالف به أصحاب النظريات، الذين يفترضون أن الغرائز شريرة، وأنه يجب ترويضها بالتدريب والتنشئة الاجتماعية.

• خلال النمو والنضج تتفتح الشخصية ويبدو الجانب الخير للإنسان بوضوح. حيث يفسر الأمراض العصابية التي يمر بها الإنسان، بالبيئة التي جعلته كذلك (خيرة أم شريرة) فالعدوان والنزعة إلى التدمير ليستا صفتين متأصلتين بالإنسان، وعندما تُعاق الطبيعة الداخلية للإنسان أم تُقابل بالإنكار والإحباط، يمكن أن ينزع الفرد إلى العدوان. كما يمكن للبيئة أن تساعد الإنسان على تحقيق ذاته.

• دوافع الإنسان معقدة جداً ومتداخلة، في حين أن سلوكه محدد تماماً ولذلك من الصعب تفسير الشخصية من خلال الدوافع المستقلة والمتباعدة.

مثال: سلوك الطعام قد يكون بدافع الجوع، أم المسايرة لشخص آخر.

والهستيريا الحركية قد تكون بسبب صراعات غير محلولة، أم لإثارة الشفقة، أم لإثارة الانتباه.

• نظريته في الدافعية الإنسانية تفترض أن الحاجات، تنتظم في تدرج من الأولوية. فعندما تُشبع الحاجات صاحبة (الدفع الأكبر) فإن الحاجات التالية تبرز وتلح في هذا الهرم. ولذلك أعد «ماسلو» نموذجاً هرمياً للدوافع والحاجات الإنسانية.

• يمكن تطبيق النموذج الهرمي على معظم الناس، ولكن تختلف طرائق

إشباع هذه الحاجات باختلاف الثقافات عبر الزمان والمكان. فابن القبيلة البدائية مثلاً، يتحقق تقديره لذاته عندما يصبح صياداً ماهراً، أما الذي يعيش في مجتمع تكنولوجي متقدم، فقد يسعى لمنصب إداري مرموق ليشبع هذه الحاجة.

• يتفاوت الناس في النظر إلى أهمية هذه الحاجات وأولويتها، حسب المواقف والظروف التي يمرون بها والنمط الذي اعتادوا عليه في إشباع هذه الحاجات. فقد يكون الأمان لشخص أهم من الحب إذا كان يعيش ظروفاً صعبة ومهددة. وقد يكون الابتكار والمعرفة أرفع من بقية الحاجات، بالنسبة لشخص يرى في اكتشافه خدمة للبشرية، وقد تنشأ (الحاجات العليا) بعد تكرر الإحباط الحاد للحاجات الدنيا.

ولكن (أسهل أسلوب يحررنا من سيطرة الحاجات الدنيا الأكثر أنانية، ويحقق لنا في الوقت ذاته مزيداً من الصحة النفسية هو إشباع هذه الحاجات).(Maslow, 1970)

الترتيب الهرمي للحاجات الإنسانية عند «ماسلو»:



١- الحاجات الفيزيولوجية «حاجات البقاء»

وهي كل ما هو ضروري لبقاء الإنسان كالجوع والعطش والجنس والنوم... الخ. وإذا لم يستطع بعض الأفراد إشباع أي من هذه الحاجات الأساسية، تبقى اهتماماتهم مقتصرة على المستوى الأدنى. وكما يقول «أرسطو» بما معناه (لا يمكن للجائع أن يتفلسف). ومعظم الحاجات الفيزيولوجية تتصف (بالنقص أم العجز) ولكن ليس بشكل مطلق.

٢- حاجات الأمان:

يظهر المستوى الثاني من الحاجات عندما يتم إشباع المستوى الأول بدرجة مناسبة. وتشتمل حاجات الأمان على السعي بحثاً عن بيئة ثابتة

- القابلية للتنبؤ بها
- التحرر من القلق أم الصراع

فالصغير يبحث عن بيئة آمنة عندما ينزعج من انتقاد معلمه، أم من صدمة مفاجئة.

وسعي الراشد للحصول على درجة وظيفية أرقى، أم تأمين مال أم عقار احتياطي، هو من قبيل الشعور بالأمان أمام مفاجآت المستقبل.

وسعي الإنسان لاكتشاف ظواهر الطبيعة والسيطرة عليها، نوعٌ من الأمان أيضاً.

إن حاجات الأمان تساعد الإنسان على تجنب الآلام والوقاية مما يهدده، ولكنها قد تصبح من القوة بحيث تعيق المزيد من النمو الشخصي. وما يقوم به الفدائيون في (أي مكان وزمان) من أعمال استشهادية دليل على أهمية هذه الحاجة، وكما يقول «ماسلو»: (إذا خُيرنا بين الأمان والنمو فإننا سوف نختار الأمان بالتأكيد).(Maslow, 1971)

٣- حاجات الانتماء والحب:

بعد أن تشبع الحاجات الأولية وحاجات الأمان، بدرجة معينة، تأتي حاجات الحب والانتماء كدوافع للسلوك، فيصبح لدى الفرد رغبة لتكوين علاقات ألفة مع الآخرين وينتابه الشعور بالوحدة بافتقاده الأصدقاء..

ويتكون الحب في رأي «ماسلو» من خليط من مشاعر الحنو والتعاطف والابتهاج والشوق للمحبوب.

كما يميز بين الحاجة الأنانية للحب والتي تنطوي على القلق والمشاعر الخادعة لكسب عاطفة المحبوب، والحب الذي يخلو من نزعة التملك (حيث يتقبل الفرد مواطن القوة والضعف في المحبوب(وهذا النوع يساعد في النمو ويتميز بالصدق والتلقائية.

هذا ولابد من الإشارة إلى أن «ماسلو» يتفق مع «روجرز» في أن العجز الشائع لعدم إشباع الحاجة للانتماء والحب في أي مجتمع، يُعد مسؤولاً بدرجة كبيرة عما يحدث من تصادم بين المجتمعات.

والسؤال من أين يستمد الإنسان قدرته على الحب؟

أليست الرحمة والسلام والإيمان والعدل وغيرها صفات تدفع الإنسان المؤمن باتجاه الخير... ويستمدها من سمات الله !..

٤- حاجات التقدير:

يتفق «ماسلو» مع «أدلر» و«روجرز» و«فروم» و«أريكسون» حول أهمية هذه الحاجة، وسعي الفرد للوصول إلى السيادة والثقة بالنفس، والحصول على الاهتمام من الآخرين. ولكنه يرى أن هذه الحاجات تعمل كدافع – فقط – عندما تشبع المستويات الأولى إلى حد مناسب.

كما يؤكد أن الاعتبار الحقيقي للذات يعتمد على الكفاية الشخصية، والإنجاز وليس على السمعة الخارجية.

وقد فسر تكرار السلوك القسري الذي (سبق أن فسره فرويد» بأنه، نتيجة جهود غير موفقة للحصول على السيادة والتقدير. مثل الملاكم الذي فقد الأمل في كسب المباراة أمام خصمه، ينتصب واقفاً في كل مرة بعد سقوطه ليضرب بعنف ثم يسقط).(Maslow, 1977)

٥- الحاجة إلى تحقيق الذات:

وتمثل هذه الحاجة قمة الهرم وتتضمن (اكتشاف ما هو عند الفرد من طاقات وإمكانات فطرية واستثمارها بشكل أمثل).

ونظراً لأن لكل فرد إمكانياته وطاقاته، فعليه أن يعمل ما يناسبه، وما يستطيع تحقيقه.

وينمو دافع تحقيق الذات عند «ماسلو»، بطريقة مماثلة لما هو عند «روجرز»، فيما عدا أنه لا يصبح مهماً أم حتى جديراً بالملاحظة ما لم تشبع الحاجات الأدنى في السلم الهرمي ولو بشكل جزئي.

وكما في نظرية «يونغ» عن التفرد Individuation فإن تحقيق الذات، يكون واضحاً فقط عند كبار السن، أما الأصغر سناً، فإنهم يركزون على قضايا مثل: التربية، والاستقلالية، والهوية، والعمل... وغيرها.

وهذه الأمور يعتبرها «ماسلو» بمثابة إعداد للحياة.

وهذه الحاجات النوعية يصل إليها أشخاص قلائل، يصفهم «ماسلو» (بالمحققين لذواتهم) ويسمى هذا المستوى المرتفع من الحاجات (ما وراء الحاجات) والتي تتمثل في حب الجمال، والصدق، والخير، والعدل،

والاستقامة... وهذه الحاجات تميز النوع الإنساني فقط. وهذه الحاجات أقل إلحاحاً، وذاتية، وواقعية وليست ضرورية كحاجات البقاء، وأقل صموداً في مواجهة البيئة المسببة للمرض.

وقد قدر «ماسلو» أن المواطن الأمريكي متوسط الدخل يشبع ٨٢٪ من حاجاته الفيزيولوجية، ٧٠٪ من حاجات الأمان، ٥٠٪ من حاجات الحب والانتماء، ٤٠٪ من حاجات التقدير، ١٠٪ فقط من الحاجة لتحقيق الذات. (Maslow, 1977) نحن بحاجة لمثل هذه الدراسات محلياً وعربياً.

إن «ماسلو» وغيره من منظري الشخصية يعتقدون أن تحقيق الذات يعد أمراً صعباً، قد لا نجده إلا عند الأنبياء وبعض العلماء وشرائح محددة من الناس، ولكن السعي نحوه إذا كان الهدف محدداً ليس أمراً مستحيلاً.

بناء الشخصية:

- تنطلق من الحاجات. فالجائع شخص شمولي أم كلي (بكل إدراكه، وذاكرته، وتفكيره، وعواطفه، وقدراته الأخرى موجهة نحو الطعام).
- قبوله حيل الدفاع الأولية عند «فرويد» كالكبت، والإسقاط، والتكوين العكسي والتسويغ، وغيرها.
- خصائص الطبيعة الإنسانية من الخير والشر (كما عند فروم) يتم تشربها شعورياً، ولها أساس فطري مثل زيادة تقييم الكائن الحي لذاته عندما يسلك سلوكاً متوافقاً وطبيعته، ويرتبك عندما يسلك سلوكاً يخالف طبيعته الفطرية.
- معيار معرفة الإنسان للصحيح والخاطئ، هو الموضوعية.
- صورة الضمير هي ما يتم تشربه من المعايير الوالدية.

نمو الشخصية:

يرى أن الطفل السوي هو الذي يبحث بنشاط ليكتسب مهارات جديدة، ويشبع حاجات النمو لديه، وكلما تلقى إشباعاً كافياً لحاجاته، فإن ذلك سيدفعه إلى تحقيق مستويات أعلى من النمو المناسب.

ويؤكد أن تطور شخصية الطفل ونموها، مرهون بمنح الطفل الفرصة لمعرفة محدداته الداخلية وجهوده بدلاً من أن تتحدد أحكامه وثقته بنفسه، بضبط خارجي، أم ضغوط من الآخرين.

كما يحدد دور التنشئة الاجتماعية وأساليب التعامل الوالدي في نمو وتطور شخصية الطفل.

وقد انتقد «ماسلو» دراسة الأخصائيين النفسيين، الذين اقتصرت دراستهم على العجزة والعصابيين ومتخلفي النمو، لأن نتائج دراستهم ستكون قاصرة أيضاً. لذلك قام ببحث شامل وعميق لجماعة من الأشخاص الذين حققوا ذواتهم، بعضهم كان شخصيات تاريخية أمثال بتهوفن وجيفرسون، وبعضهم كان على قيد الحياة أمثال روزفلت وأنشتاين وغيرهم. وقد درسهم دراسة إكلينيكية للكشف عن السمات المميزة لهم عن الناس العاديين وكانت أهم السمات:

- اتجاههم الواقعي.
- يتقبلون أنفسهم ويتقبلون الآخرين والعالم الطبيعي كما هم.
- على قدر كبير من التلقائية.
- يتمركزون حول المشكلة بدلاً من تمركزهم حول أنفسهم.
- أكثر ميلاً إلى الخصوصية والانعزالية (الصحية) من الأشخاص العاديين.

- أكثر استقلالية ومقاومة للغزو الثقافي.
- تقديرهم للأفراد والأشياء متجدد، دون نمطية جامدة.
- لمعظمهم خبرات روحية أم غيبية دون أن تكون بالضرورة ذات طابع ديني.
- يتوحدون بالبشرية كلها.
- علاقاتهم الحميمة بأشخاص قليلين يكنون لهم وداً خاصاً، يغلب أن تكون عميقة وذات طابع انفعالي عميق، دون أن تكون سطحية.
- اتجاهاتهم وقيمهم ديمقراطية.
- لا يخلطون بين الغاية والوسيلة.
- يتمتعون بروح المرح وهي ذات طبيعة فلسفية، وليست ذات طبيعة عدائية.
- مولعون بالخلق والابتكار بشكل كبير.
- يقاومون الامتثال للثقافة والخضوع لها.

هذا وقد أكد «ماسلو» على الإصلاح الاجتماعي، وأن المجتمع الجيد، هو القادر على إشباع الحاجات الإنسانية المتزايدة، أما الثقافة غير المرغوبة فهي التي تعيق هذا الإشباع، ومن ثم تدعم الاضطراب النفسي للفرد.

كما أكد أن سعادة الفرد في عمله من أهم وسائل تحقيق الذات (Maslow, 1977)، وأن الصياغات التربوية الجامدة في التعليم تحبط الذات، كما اقترح نموذجاً للتربية والتعليم يساهم في تطور الفرد ونموه وتقدم المجتمع.

وهكذا فقد كان الجديد في نظرية «ماسلو» دراسته للأصحاء والمحققين لذواتهم ولكن ندخل بتفاصيل أوجه النقد الموجهة إليه.

خلاصة:

اعتمدت نظرية «ماسلو» على هرم تتابعي من الحاجات للوصول إلى تحقيق الذات، القيام بنشاطات تتفق وطبيعة هذه الذات. ورأى إمكانية تطبيق هذا الهرم على معظم الناس، ولكن باختلاف طرائقهم في إشباع هذه الحاجات حسب الثقافة عبر الزمان والمكان.

- إضافة إلى اتجاه «ماسلو» في التركيز على الجانب السوي من الشخصية، ودراسته للميزات الشخصية لمن حققوا ذواتهم من خلال قواهم الداخلية الفريدة.

- وقد سمى المستوى المرتفع من الحاجات «ما وراء الحاجات» وهي تميز النوع الإنساني فقط.

- كما أكد على أهمية الإصلاح الاجتماعي، وشروط المجتمع الجيد والقادر على إشباع الحاجات الإنسانية المتزايدة.

- واقترح نموذجاً للتربية والتعليم يسهم في تطور الفرد ونموه وتقدم المجتمع.

الأنشطة والتقويم

- كيف يفسّر «ماسلو» الاضطرابات العصابية (إن وجدت) في الشخصية؟
- لماذا لا يمكن فهم وتفسير الشخصية من خلال الدوافع المستقلة والمتباعدة؟
- علل تفاوت الناس في أولوية الترتيب الهرمي للحاجات؟
- لماذا يكون تحقيق الذات أكثر وضوحاً عند كبار السن مقارنة مع الأطفال والمراهقين؟
- كيف تنمو الشخصية من وجهة نظر «ماسلو»؟
- أين تلتقي وأين تختلف مع النظرية التحليلية؟

جامعة دمشق Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الفصل الرابع عشر

النظرية التحليلية الوجودية

Existential Analytic Theory

«رولو مي» Rollo May

أهداف الفصل وكلماته المفتاحية:

أن يعرف الدارس:

- طبيعة الشخصية من خلال
  - الحضور الوجودي
  - الوجود الدينامي
    - العالم من حولنا
    - مع العالم
    - العالم الخاص
  - القلق الوجودي
  - القصدية لعلاج الاغتراب عن الذات
- نمو الشخصية وتطورها.
- إسهامات النظرية

Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University



نبذة عن حياته:

- ولد بولاية أوهايو الأمريكية عام ١٩٠٩.
- حصل على درجة البكالوريوس في الأدب من كلية أوبرلين ١٩٣٠.
- زار العديد من المدن الأوروبية كمعلم وفنان.

- حصل على درجة اللاهوت من اتحاد البحث اللاهوتي في نيويورك عام ١٩٣٨ ولكن اهتمامه بعلم النفس تغلب على اهتمامه الديني، ثم تقدم لدراسة التحليل النفسي وتأثر بكل من فروم وسوليفان وحصل على الدكتوراه في علم النفس الإكلينيكي عام ١٩٤٩.
- خبرته الخاصة في التعامل مع مرضه (العضال) والشفاء منه، كانت من دوافعه المهمة للبحث عن الأسس الوجودية للشخصية.

طبيعة الشخصية:

• يتحدث «ماي» عن وجود الفرد في العالم أم ما يسميه الحضور الوجودي (Dasein) وينطوي هذا المصطلح على مقطعين da ويعني There ، أما Sein وتعني الوجود (أو الحضور الوجودي) فلكل منا حاجته الفطرية للعيش في عالمه ، وتحقيق إحساسه الشعوري أم (اللاشعوري) بنفسه ، كوحدة غريزية مستقلة ، وأنه كلما قوي وجودنا في هذا العالم كلما أصبحت شخصياتنا أكثر سواء ، وحياتنا ذات معنى.

والمهم مدى قناعة الشخص نفسه بالواقع ، أنا هو أنا ، وما أستطيع (ذاتي ، كينونتي) I is me I of I can (May, 1977).

• الحضور الوجودي عند «ماي» موضوع شخصي جداً (خاص بكل فرد) ، يكتشفه الفرد من خلال ← معايشة الخبرات الشخصية بنشاط وتلقائية في كل لحظة.

حريته في اختيار مساره في الحياة ومسؤوليته عن هذا الاختيار.

والحضور الوجودي عند «ماي» يشبه الخبرة عند «روجرز» من الصعب وصفها بكلمات (إلا من خلال الشخص ذاته). وأن معايشة هذه الخبرات هو الوجود في الواقع ، أم إنسانيتنا المتميزة الحقيقية. (May, 1969)

• الوجود الديناميي في الحياة عبارة عن ثلاثة نماذج متداخلة هي في الأدب الوجودي:

- العالم من حولنا (World around) وينطوي على كل الموضوعات

الداخلية والخارجية التي تشكل بيئتنا النفسية والعضوية (أي الظروف الواقعية التي نولد بها ولا نستطيع التحكم فيها عند القيام باختياراتنا الشخصية).

- مع العالم (With World) وهو عالم المجتمع، أم العالم الاجتماعي للآخرين، أم حاجة الفرد لتكوين علاقات شخصية تساعده على الإحساس بالمعنى أم الوجود.

- العالم الخاص (Own World) وهو العالم النفسي لعلاقة الفرد مع ذاته وقيمه وجهوده (الوعي بالذات وتقييم الخبرة الشخصية).

هذا ويرى «ماي» أن الإحساس بالاغتراب الذاتي Self-estrangement يعكس بعض الخلل في علاقة الإنسان بنفسه.

• يرى «ماي» أن القلق الوجودي ينجم عن وعي الإنسان بالنهاية الحتمية لكينونته (القلق حالة ذاتية يدرك فيها الفرد، أن وجوده يمكن أن يتحطم، وأنه يمكن أن يفقد نفسه وعالمه، وأنه سوف يصبح عدماً Nothing).(May, 1977)

وأن لا خلاص من القلق إلا بالإيمان بالأمر الإلهي، والأمل بالخير الإلهي.(٥)

وأنه دون هذا الوعي (بالعدم) والتسليم به سيكون الوجود عديم المعنى، ولكن مع تحدي اللا وجود (والعمل بهدف) سيصبح الوجود أكثر حيوية ووضوحاً.

---

(٥) يجب التنويه إلى أن «رولو ماي» من الوجوديين المؤمنين الذين استلهموا أفكارهم من المسيحية مع العلم بوجود شعبة ملحدة تعود في أصولها إلى نيتشه. للاستزادة يمكن العودة إلى مرجع محمد غلاب: الوجودية المؤمنة والملحدة، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥.

• يعزو «ماي» الشعور بالذنب إلى الأخطاء التي يرتكبها الفرد في التعامل مع النماذج الثلاثة للوجود في هذه الحياة. ويراه أنه المظهر الطبيعي والضروري للطبيعة البشرية (بعد القلق) وكما يحدث مع القلق، فإن الشيء المناسب هو أن نتقبله، وأن نستخدم شعورنا بالذنب لأهداف بناءة، وأن نعترف أن الخطأ أمر وارد عند البشر.

إن سر عظمة الإنسان تكمن في وقوعه بالخطأ لحكمة ربانية تكمن في الاستغفار والتوبة والعودة إلى الله.

• ينسب «ماي» أهمية كبيرة لكل من الوجود والإيمان بالقضاء والقدر وينتقد «فرويد» في تعميمه مفهوم الحتمية الثابتة التي تؤدي إلى العصاب، على كل الخبرات الإنسانية.

فالإحساس بوجود هدف، والمسؤولية والحرية في اختياره مهمة لفهم الشخص (إننا نستطيع فهم الطبيعة البشرية لشخص نعرفه عندما نتعرف أهدافه — ما الذي يتحرك نحوه — وما الذي حققه بالفعل).(May, 1969)

• يؤكد على وجود القصدية كوسيلة لعلاج الاغتراب عن الذات واللامبالاة. ويقول «لدى كل إنسان حاجة للشعور بأهميته، وإذا لم نجعل ذلك ممكناً أم حتى محتملاً في مجتمعنا فإنه سوف يحققها من خلال ممارسات مدمرة، إن التحدي الأساسي بالنسبة لنا أن نجد أساليباً صحيحة، يمكن من خلالها أن يحقق الناس شعورهم بالأهمية والتقدير، ولأن الإنسان لا يستطيع تحمل إحساسه المتزايد بالعجز فلن يقف مكتوف الأيدي (May, 1972).

هذا الكلام يؤكد رؤية «ماي» للعصاب عند الإنسان المعاصر، بأنه فقدان الغاية من السلوك، وعدم الإحساس بالمسؤولية، وعدم القدرة على تشكيل

الإرادة. وهذا العجز قد يدفع الفرد للتصرف بقسوة مع الآخرين، ليثبت أنه مازالت لديه القدرة على التأثير بالآخرين بشكل فعّال.

- يعتبر «ماي» الحب أحد الأساليب البناءة لتأكيد الحضور الوجودي، والحب (هو الإحساس بالسعادة، بوجود شخص آخر، والتأكيد على قيمته ونموه، بمقدار ما يرغبه الإنسان لذاته).(May, 1972)

وينطوي الحب عند «ماي» على أربعة مكونات هي:

- الالتقاء الجنسي وخفض الدافع (أو الجنس).

- الرغبة بالالتحام بالمحبوب (يشبه الحب العذري) والإحساس بالسعادة لمجرد التفكير بالمحبوب (ايروس eros). وينطوي على الإحساس بتقديم الرعاية للآخر.

- الانجذاب إلى الآخرين والقرب منهم. ويتضمن الصداقة والجاذبية للغير.

- الإخلاص تجاه الشخص الآخر.

كما يرى أن الحب تجربة غنية تتضمن النماذج الثلاثة لوجودنا في الحياة مثل الدوافع البيولوجية (في العالم الخاص)، والعلاقة بالغير (في عالم المجتمع)، والتعبير عن الذات والقيم الشخصية (في علاقة الإنسان بنفسه).

ويرى أن افتقاد الإنسان للإرادة، وللحضور الوجودي، يجعله عاجزاً عن تقديم الحب.

وإن إحساس الشخص بالعجز واللامبالاة، يحول دون وجود الحب العذري (ايروس) والتواصل العاطفي.

- من مؤشرات الصحة النفسية عند «ماي» تقبل الإنسان للصراع بين الخير والشر، وتحويله إلى المستوى الشعوري. لأن (عدم الوعي بالشر وكبته) تجعل الإنسان عرضة لارتكابه.

مكونات الشخصية:

تهتم المدرسة الوجودية بالمدخل التكاملي في النظر إلى الشخصية. فهي ترى أن الشخصية هي مجموع ما تحتويه من حضور وجودي، وقلق، وشعور بالذنب، وحب وغير ذلك.

كما يوافق «ماي» على أهمية العمليات اللاشعورية، وحيل الدفاع الأولية، التي يستخدمها الفرد لفهم شخصيته. ولكنه يعزو الكبت الذي يقوم به بنو البشر (للقلق والايروس وصراع الخير والشر) إلى الهروب من الحرية، وعدم تعرف الذات، وفقدان الحضور الوجودي، وليس إلى الصراع بين مكونات الشخصية كما هو عند «فرويد».

نمو الشخصية:

لم تهتم المدرسة الوجودية كثيراً بمراحل نمو الشخصية. إلا أن «ماي» كغيره من الذين تأثروا بالتحليل النفسي، تحدث عن عوامل التنشئة الأسرية الخاطئة، التي يمكن أن تعيق النمو السوي لشخصية الطفل، مثل عدم التقبل، أم الإهمال، أم الحماية الزائدة وغيرها من الأساليب.

وعلى الرغم من تأكيده (مثل ماسلو وأريكسون) على أهمية المعلومات التي تأتي من دراسة المرضى (لأنها تكشف دفاعات الشخص اليومية، وجوانب هامة في طبيعته الإنسانية)، إلا أنه لا يمكن الوصول إلى نظرية كاملة عن الشخصية الإنسانية من خلال دراسة الاضطرابات النفسية فقط.

- الشخص السوي هو الذي يؤكد حضوره الوجودي، ويتقبل النماذج الثلاثة لوجوده في العالم وبعيداً عن تهديد أي منها.

• أما **الأساس النظري** للعلاج النفسي عند «ماي» والوجوديين، فإنه يعتمد على مساعدة المرضى على استعادة حضورهم الوجودي المكبوت، وتكامل صراع الخير والشر لديهم في مستوى الشعور، واستعادة الإرادة المفقودة، وتحمل المسؤولية كاملة عن حياتهم الخاصة، ومساعدته على اختيار ما يساعده على تحقيق طاقاته الفطرية وإنجازها.

أما المعالج عند «ماي» فيجب أن يتصف بقدر من المرونة والقدرة على إقامة علاقة صادقة ومتعاطفة مع المرضى، بحيث يستفيد من لغة كل مريض ويتعامل معه كحالة مختلفة، ويحتوي إرادته وقدرته على الاختيار، للوصول إلى القصدية لديه.

أما الفنيات العلاجية التي تحدث عنها فليس فيها جديد عما استُخدم في المدرسة التحليلية أم الإنسانية أم غيرها من المدارس (كالمقابلة والملاحظة والتقدير الإيجابي غير المشروط والتداعي الحر والسؤال المباشر... الخ).

وقد يكون الجديد عند «ماي» وغيره من الوجوديين هو إضافة نوع جديد من أنواع الاضطراب إلى قائمة التشخيص وهو **العصاب الوجودي** الذي يرجع إلى شعور مزمن بالاغتراب واللا معنى أولاً. إضافة إلى بناء مقاييس للشخصية (مثل الفراغ الوجودي لكرومباخ Crumbaugh, 1968، ومقياس الأخلاق الوجودية والهوية لتورن وبيشكن Thorne & Pishkin) ثانياً.

كما انتقد السلوكيات غير الإنسانية التي تُمارسها بعض الشخصيات في المجتمع الأمريكي حيال الدول الأخرى كالحرب على فيتنام (ولعل فعل أتباعه ذلك حيال الحرب على أفغانستان والعراق وما يحصل في دول متفرقة من العالم)، والتأكيد على ضرورة إيجاد توزيع عادل للسلطة والمسؤولية يسهم في إعادة التوازن والسلام للعالم.

وتمثل آراء «ماي» أفكاراً هامة للمعالج النفسي المتصف بالرحمة وسعة الأفق والنظرة الثاقبة، والتي مهدت للإرشاد الديني بشكل أم بآخر.

وهكذا لم تكن أفكار «ماي» عن الشخصية الإنسانية، نظرية متكاملة تلبي فضول المتعرف على نظرية علمية تفسر كل ما يحيط بالإنسان، بل كغيرها من النظريات، تُعدُّ حلاً مؤقتاً لمشكلات إنسانية راهنة، ومصدراً لأبحاث علمية تجريبية لاحقة.

جامعة دمشق Damascus University

خلاصة:

- أكد «ماي» على الحضور الوجودي الشخصي والذي يكتشفه الفرد من خلال معايشته الخبرات الشخصية، وحريته في اختيار مسار حياته.

- ويرى أن الوجود الدينامي في الحياة ينطوي على العالم من حولنا، ومع العالم، والعالم الخاص.

- فسر «ماي» سبب القلق الوجودي، وأكد على القصدية كوسيلة لعلاج الاغتراب عن الذات، وعلى أهمية الإرادة وتحمل المسؤولية لعلاج بعض الاضطرابات العصابية.

- أكد على المدخل التكاملي في النظر إلى الشخصية، كما أكد على أهمية العمليات اللاشعورية وحيل الدفاع الأولية التي يستخدمها الفرد لفهم سلوك الشخص، بما فيها الكبت وإن اختلف عن «فرويد» في العوامل المؤدية له.

- رأى أن الشخص السوي هو الذي يحقق حضوره الوجودي، وأن الأساس النظري للعلاج النفسي، هو مساعدة المرضى على استعادة حضورهم الوجودي المكبوت والوعي بالصراع بين الخير والشر، واستعادة الإرادة المفقودة، وتحمل المسؤولية عن حياتهم الخاصة.

- كما حدد مواصفات المعالج الفعّال واستخدم معظم الفنيات العلاجية المستخدمة في المدرسة التحليلية والإنسانية.

الأنشطة والتقويم

- ما هي أهم المنطلقات النظرية لـ«رولو مي»؟
- أين يلتقي مع التحليلية وأين يختلف؟
- تحدث عن أسس العلاج النفسي عند «مي»؟
- ما هو الجديد في أفكار «مي»؟

Damascus University

الفصل الخامس عشر

نظرية التحليل التعاملي

Transactional Analysis

اريك بيرن Eric Berne

أهداف الفصل وكلماته المفتاحية:

أن يعرف الدارس :

- السياق التاريخي لتحليل التعامل من خلال تأثر بيرن بـ :



* المنطلقات النظرية :
  - صورة الإنسان.
  - الوجود الإنساني.
  - مستويات الأنا (بنيوياً ووظيفياً)
  - الصحة النفسية
  - الشذوذ النفسي
  - الدفعات المعنوية (الحريرات النفسية)
  - وضعيات الحياة
  - مستند الحياة (السكريبت)

* بنية الشخصية :
  - حالة الطفل.
  - حالة الراشد.
  - حالة الأنا.

* نمو الشخصية :
  - تلوث الأنا أو تداخلها
  - استبعاد إحدى حالات الأنا أو إطفاؤها

* ديناميات الشخصية والتفاعل بين :
  - الدفعات المعنوية (الحريرات النفسية)
  - شروط الاستخدام الجيد أو السيء لحالة الأنا
  - وضعيات الحياة

في تكوين السكريبت والطاقة

* إسهامات النظرية :
  - العلاج والتغيير
  - خصائص المعالج الفعال
  - بعض التقنيات المستخدمة



نبذة عن حياته:

- طيب نفسي كندي (١٩١٠-١٩٧٠)
- تأثر بالتحليل النفسي ومارسه.
- أكد على دور التجريب والملاحظة البصرية في التشخيص وخطة العلاج
- تأثر بكل من الظاهراتية، والوجودية، والإنسانية في نظريته عن الشخصية.

- استخدم أسلوب تحليل المعاملات لعلاج العديد من المواقف المنحرفة في السلوك البشري.
- استمد طرائقه في العلاج من خلال نظريته عن الشخصية، ومراحل تطور الطفل، ومن علم النفس المرضي.
- استخدم تحليل المعاملات كأسلوب جديد للعلاج النفسي مع الاعتماد على الألعاب والعلاج الجماعي من خلال تحليل المعاملات، وتدريس نموذج (الوالد، الراشد، الطفل) لمجموعات المرضى أو الدارسين كبداية لفهم الانحرافات، ووصولاً إلى السلوك الطبيعي للإنسان العادي.

- حدد أسس العلاقة العلاجية بين المعالج والمتعالج والقائمة على التغيير المستمر لتقنيات العلاج، وإعادة بناء شخصية المتعالج، أو إعادة تنظيمها بما يخدم العملية العلاجية.

- نظريته انتقائية توليفية من التحليلية والتفاعلية والمعرفية، وهي ذات لغة بسيطة يسهل فهمها لكل إنسان، تركز على توسيم الوعي بالمسؤولية والعفوية في العلاقة مع الذات والآخر.

جامعة دمشق Damascus University

السياق التاريخي للتحليل التعاملي:

يُعتبر أريك بيرن Eric Berne المؤسس الفعلي للتحليل التعاملي، وهو طبيب نفسي، مارس مهنة التحليل النفسي فترة طويلة، أما خلفيته الفكرية والفلسفية التي انبثقت منها نظريته عن الشخصية وعن التواصل وتحليل المجموعات والمنظمات، فتعود إلى:

أولا- مصادر شخصية:

١ - تأثره بالاتجاه التحليلي لـ(Paul Federn 1870-195) والذي اهتم بعلم نفس (الهو)، الذي أسس لمفهوم «بيرن» اللاحق عن دور الهو في الشخصية.

٢ - الاستفادة من العمل المهني، واستخدام التحليل التعاملي كنموذج لفهم التفكير المضطرب والتعامل معه لدى المرضى في المشافي النفسية والعقلية.

٣ - تأثره بالرؤية البناءة والمتتابعة للتطور الإنساني عند Erikson (1951) والتي أفادت TA(*) بـ(Life script) مستند الحياة.

٤ - تأثره بفكرة «أركسون» عن أن الشخصية يمكن أن تفهم من خلال سياق اجتماعي / نفسي.(Erikson, 1951-1968)

ثانيا- مصادر فلسفية:

١ - التجريب: على الرغم من تأثر «بيرن» بمدرسة التحليل النفسي، إلا

(*) TA اختصار لتحليل التعاملات وكل حرف يرمز إلى الحرف الأول من المصطلح بالإنكليزية.

أنه انتقد كثرة اعتمادها على التنظير، وهذا ما قاده لاستخدام التجريب واعتماد الملاحظة البصرية أساساً للعمل التحليلي الجيد. وقد رأى Mothersole. 2001 أن متطلبات العقد العلاجي المجدي في التحليل التعاملي يعكس التجريبية بوضوح، وهذا العقد السلوكي يمكن ملاحظته ويمكن إنهاءه.

أما (Stewart) فيشيد بالملاحظة المعتمدة في TA لأنها تجعل من النظرية:

- فعّالة كعلم نفس اجتماعي.
- أسهل نسبياً للتعلم المباشر.
- قابلة الاختبار.

٢ - **علم الظاهريات (المفهوم الفينومونولوجي)** الذي يؤكد على إمكانية فهم العالم بشكل جيد عن طريق الخبرة الشخصية المباشرة وهذا ما أشار إليه «بيرن» عند تشخيص حالة «الهو». وفي التحليل الوظيفي لحالات الأنا.

٣ - **الوجودية**: انطلق «بيرن» في تفكيره الوجودي من مسؤولية الفرد عن أعماله، وحتى المنطلقات الفلسفية الثلاث للـT.A تعكس تفكير «بيرن» الوجودي، هذه المنطلقات هي:

- الناس جيدون.
- لدى كل إنسان القدرة على التفكير وعلى تقرير مصيره.
- هذه القدرات يمكن أن تتغير.

وبناء على هذه النظرة الوجودية المتفائلة أضاف «بيرن» إلى مواقف Kleinian السابقة:

(I⁺ U⁻) أنا بخير وأنت لست بخير (موسوس)

(I⁻ U⁺) أنا لست بخير وأنت بخير (مكتئب)

(I⁻ U⁻) أنا لست بخير وأنت لست بخير.

موقف رابع (I⁺ U⁺) أنا بخير وأنت بخير وهذا دليل الصحة النفسية.

ثم وسع هذه المواقف الأربعة التي تنطوي على ثنائيات لتضم عنصراً ثالثاً فتصبح (I⁺ U⁺ They) (أنا بخير أنت بخير هم بخير).(٥)

٤ - **الإنسانية:** إن بعض المبادئ والخطوط الأساسية لنظرية التحليل التعاملي اشتقت من المدرسة الإنسانية (ولاسيما ما يتعلق بالتواصل والعلاج)، وكلاهما تاريخياً ساهما في ظهور القوة الثالثة في علم النفس الإنساني وتطوره.

هذا وقد تركزت المنطلقات الإنسانية لـTA حول:

- الاعتقاد بالقوى العلاجية الشافية لله والمبدأ القائل (أنا أعالج والله يشفي).

- التأكيد على مصداقية المعالج، وأهمية التبادلية بين المعالج والمتعالج في الطرق العلاجية ولاسيما في العقود العلاجية.

- الحوار المفتوح بين الطرفين وإمكانية الوصول (استعادة الموقف الحياتي أنا بخير أنت بخير هم بخير).

هذا وقد أضاف «بيرن» إلى علم النفس والعلاج النفسي بشكل عام فكرة الألعاب النفسية. وقد اعتبر كل من (Moiso & Novellino, 2000)، أن التحليل التعاملي هو الشكل الأكثر وعداً من العلاج النفسي والتحليل النفسي الجديد لأنه مبني على فهم النفس.

وهكذا يمكن اعتبار التحليل التعاملي نظام توليفي ينطوي على العديد من

---

(٥) لمزيد من المعلومات يمكن العودة إلى (Tudor, 1999).

التقاليد والمدارس المختلفة ويرسم نطاقاً واسعاً من التأثيرات المتمثلة بـ:

❖ T.A الكلاسيكي الديناميكي والذي يعتبر من أعمال «بيرن» المبكرة، وطوره «Carlo Moiso» و«Michele Novellino» وتأثر بنظرية علاقات الذات.

❖ تقليد المدرسة التي أوجدها Mary and Robert Goulding والمتأثرة بـ Fritz perls وعلاج Gestalt.

❖ مدرسة تركيز الطاقة النفسية التي أوجدها Jacqui Schiff وتطورت من خبرة Jacqui and Moschiff في العمل مع المرضى شديدي الاضطراب والذهانيين.

❖ الطب النفسي الاجتماعي الذي قدمه بالأصل Claude Steiner وآخرون معتمدين على نظرية التنافر والمتأثرين بالسياسيين الراديكاليين.

❖ التحليل التعاملي التكاملي الذي تأثر بمحاولة الغشتالت تكوين مفهوم عن الأنا وعلم نفس الذات.

❖ التحليل التعاملي السردي الذي تأثر بالبناء الاجتماعي والعلاج النفسي الحواري.

إن هذه النظرية تنطوي على منطلقات نظرية متباينة تعكس مدى تنوع أفكارها وتطبيقاتها.

منطلقات النظرية:

❖ صورة الإنسان:

تتمحور الأفكار الرئيسية لـT.A في فهم الإنسان، حول قدراته الفطرية والتي تنطوي على أن:

- الإنسان إيجابي وغير جدي في سلوكه.

- الناس جيدون ولديهم القدرة على حل مشكلاتهم، ويمكننا مساعدتهم في ذلك.

- الناس قادرون على التفكير.

- الناس الذين يعانون مشكلات انفعالية بشر أذكياء وقادرون على صنع قراراتهم وتقرير مصيرهم الخاص وهذه القرارات قابلة للتغيير.

❖ **الوجود الإنساني:**

يصف «بيرن» الوجود الإنساني كنظام من الطاقة متعدد المصادر يزود الشخص بدفع ديناميكي يساعده في الوصول لأهدافه وتحقيق طموحاته، والسعي إلى حالة من التوازن والهدوء تعكس علاقته مع ذاته، ومع الآخرين، ومع العالم من حوله.

❖ **المفهوم المركزي لنظرية TA فيما يتعلق بصورة الإنسان هو حالة الأنا.** (*)

- التي يراها بأنها «نظام متسق من المشاعر والأفكار، يتم تقديمه والتعبير عنه من خلال نماذج سلوكية محددة).(بركات، ٢٠٠٢)

(*) من الملاحظ استفادة «بيرن» من ملاحظات (Dr. Wilder Penfield) طبيب الأعصاب الذي توصل بأبحاثه المتلاحقة إلى أن المخ لا يسجل الأهداف الماضية فحسب، بل يسجل أيضاً الأحاسيس التي ارتبطت بتلك الأحداث، حيث قال: «ليست الذكرى المستثارة صورة فوتوغرافية أو صوتية مطابقة للأحداث أو الصور الماضية، بل هي صورة لما رآه المريض واستمع إليه وأحس به وفهمه». هذه الفكرة وأفكار «بنفيلد» الأخرى حول تسجيل أحداث الماضي، وإعادة استثارتها، نأمل أن تفيد المهتمين بهذه النظرية لفهم تطور مستويات الأنا من وجهة نظر TA.

- تفترض نظرية TA أن كل إنسان يمتلك على المستوى البنوي والوظيفي ثلاثة مستويات للأنا، تصنف فيها المعلومات الواردة تحت ثلاثة ملفات محفوظة باسم حالة الطفل، حالة الراشد، حالة الوالد[٥]. تسيطر على السلوك الفردي في أثناء عمليات التواصل الاجتماعي، بحيث تظهر مخرجات كل حالة (وفق ما تم تسجيله في المخ في أثناء عملية النمو) للتعبير عن الحالة الأقوى (العنصر الأقوى) الداخلة في بناء الشخصية، والتي ظهرت من خلال تفاعل الشخص (الذي أظهر هذه الحالة) والموقف الذي استثارها.

- كل حالة من حالات الأنا ضرورية لعمل شخصية الإنسان بشكل جيد، لأن لكل من هذه الحالات وظيفة مهمة غير قابلة للتعويض من قبل حالات الأنا الأخرى.

وعليه فليس هناك حالات سيئة للأنا، لكن هناك استخداماً خاطئاً. إذ يمكن استخدام كل حالة من هذه الحالات بطريقة إيجابية أو سلبية. مثال: في أثناء التواصل الاجتماعي قد يعطينا زيد من الناس مجموعة من شروط الاستخدام السيء، ويعطينا عمر مجموعة من شروط الاستخدام الجيد لحالات الأنا لدينا.(بركات، ٢٠٠٢)

- يمكن تصور الصحة النفسية للفرد من حالة الأنا المسيطرة في ذلك الموقف، وكلما كانت حالة الراشد هي الأقوى والمسيطرة، كلما كانت المعاملات طبيعية وبناءة.(هاريس، ١٩٩٢)

---

[٥] نؤكد هنا أن مسميات الطفل، الراشد، الوالد، هي مسميات لحالات الأنا في الشخصية وليست مسميات لمراحل عمرية، أو علاقات أسرية.

- يمكن تصور الشذوذ النفسي عندما تختل قدرة الفرد على:

١ - اتخاذ القرار (الحر والمريح) من حالة الأنا التي يعتقد أنها أكثر مناسبة من غيرها لموقف بعينه.

٢ - أو عندما يصبح الفرد عاجزاً عن الوصول إلى واحدة من حالات الأنا لديه (الانطفاء).

٣ - أو عندما تعمل حالة الراشد (مستندة أكثر من اللازم) على المحتويات التي توجد في حالة الوالد أو حالة الطفل، وهو ما يسمى بالتلوث أو التدخل.(بركات، ٢٠٠٢)

❖ الحريرات النفسية أو الدفعات المعنوية (Strokes):

يرى بيرن أن البشر لديهم حاجة أساسية لوجود صور متنوعة من الاتصال والاستجابة للآخرين والتفاعل معهم، وقد أطلق على هذه الحاجة (الجوع للمثير) ويتفرع عن هذه الحاجة الأساسية مجموعة من الحاجات الفرعية (جوع الملامسة، جوع الاعتراف والتقدير، وجوع البناء الذي يصل بتنظيم وشغل الوقت).

ويأخذ هذا المنطلق أهميته من تجسيد نظرية TA للحياة النفسية على أنها تبادل (خذ وهات)، ووحدة هذا التبادل هي الحريرات النفسية (Strokes) والتي هي إشارة إلى الانتباه والتعرف إلى شخص ما، وقد تمتلك هذه الوحدات إشارة سالبة أو موجبة، أو قد تكون مشروطة أو غير مشروطة(بركات، ٢٠٠٢). وهكذا يمكن اعتبار الدفعات المعنوية أو الحريرات النفسية أنشطة تحقق حاجات معنوية ونفسية وفسيولوجية للفرد، وهي مهمة لبقائه وحياته وتحقيق ذاته، فنحن في الأساس نعتمد على الآخرين لتأمين هذه (الحريرات)، وفيما بعد

نتعلم أن نعطيهم لأنفسنا من (والدنا) الذي نما وكبر، وفي الغالب قد نأخذ أو نعطي وخزات باردة أو دفعات سلبية تؤدي إلى وضع أقل مثالية.(Engler, 1992)

هذا وسنتم التفصيل عن هذا المفهوم عند الحديث عن ديناميات الشخصية.

❖ وضعيات الحياة:

يقترح «بيرن» وجود أربعة أوضاع أو (مواقف) للحياة تسيطر على الشخصية بالتدريج منذ الولادة النفسية للإنسان تبدأ بموقف:

١ - (أنا لست بخير، أنت بخير) (— +)[٥] نظراً لمشاعر النقص الذي يملكها، لتنتهي به إلى التوافق النفسي.

٢ - (أنا بخير، وأنت بخير) الذي هو أفضل وضع لضمان الصحة النفسية الجيدة لحاملها والتي تكون من خلال الدفعات المعنوية والثقة الذاتية.(Engler, 1992)

وبين هذين الوضعين وضعية

٣ - (أنا بخير وأنت لست بخير)[٥٥] وهي الوضعية الإسقاطية.

٤ - (أنا لست بخير، وأنت لست بخير)[٥٥٥] والتي هي أشد المواقف ضرراً، وتذكر بالسلوك الهدام ضد الذات والآخرين.

---

[٥] (- +) (بلغة تحليل التعامل هو وضع الاستقالة من جنس البشر) أو هو وضع الاكتئاب الذي يؤدي بالفرد إلى قطع نفسه عن الناس بطريقة ما، كدخول بصمة عقلية، أو الانتحار.

[٥٥] (+ -) وضع الاستياء أو عدم التقبل. وهو ما يميز المصلحين الاجتماعيين، الذين يشعرون بمرارة إزاء سلوك الآخرين، وهذا يعني الرغبة في التخلص من الأخطاء عند الناس ولكنه عند المرضى يؤدي إلى القتل أو حالات البارانويا..

[٥٥٥] (- -) موقف العبث واللا جدوى.

وهكذا يمكننا اعتبار موقف الحياة بأنه (تراكم نتيجة الخبرات النفسية وما تتأثر به من السكريبتات) تحدد موقف الفرد من نفسه ومن الآخرين، ولا يُشترط فيها أن تكون شاملة لكل مجالات الفرد (فقد تقتصر على مجالات محددة لحياة الفرد)، ولا يُشترط فيها أن تكون دائمة (فقد يكون الموقف مؤقتاً) والمهم أن الهدف الأعم للعلاج بطريقة T A هو استعادة، أو تشكيل وضعية (أنا بخير، أنت بخير)(بركات، ٢٠٠٢)

◆السكريبت (Script) أو مستند الحياة:

يمكن تصور السكريبت في تحليل التعامل كعملية نفسية مستمرة يُعطي فيها الشخص معنى محدداً لسيرورة أحداث الحياة، وآلية استجابته لهذه الأحداث وفق تفسيره الشخصي لها. بمعنى آخر هي حياة شخصية تستند إلى خريطة معرفية تم تكوينها عند الشخص عبر مراحل الطفولة المبكرة من خلال رسائل الوالدين أو الأشخاص المهمين في حياته والتي تنطوي على مجموعة من الأوامر والنواهي والبرامج التي يعتقدها الأهل مهمة في عملية التنشئة الاجتماعية والتواصل مع الطفل.

وحسب «بيرن»، فإن كل إنسان يولد مزوداً باستعداد يمكن أن يعطيه فرص النجاح، إلا أن ظروفه المحيطة التي ينمو فيها

- بما فيها نوعية الخبرات النفسية (الدفعات المعنوية) المتبادلة بينه وبين الآخرين
- وحالة الأنا التي تنطلق منها هذه الخبرات (ط، ر، و)
- ووضعية الحياة التي تصاحبها تؤثر على طريقته الخاصة في إدراك العالم من حوله ونمط السكريبت (السيناريو) أو المعتقد الذي سيتخذه خلال مسيرة حياته.

هذا وقد يكون السكريبت ذا صنعة تراجيدية، أو كوميدية، أو رومانسية أو... الخ. وقد يكون مرناً أو جامداً، مناسباً أو غير مناسب، ولكنه يدفع الإنسان لممارسة أدوار محددة ومتباينة في أثناء تعامله مع الآخرين.

هذا ويتحدث جماعة TA عن ثلاثة أنواع من الرسائل آتية من الوالدين في أثناء التنشئة الاجتماعية للطفل، تشكل أساس (السيناريو) وهي:

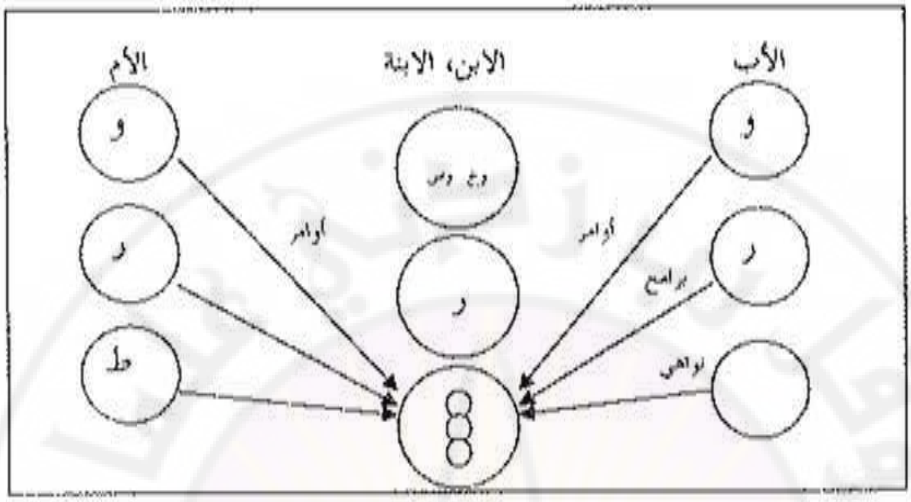
١ - **النواهي** من مثل (لا تأتو، لا تشعر، لا تفكر، لا تكن نفسك.... لا لا... الخ) وتتميز غالباً بطابع انفعالي غير لفظي، وكثيراً ما يتم التعبير عنها من خلال الحركات والإيماءات ونغمة الصوت للوالدين... وقد لا تتفق مع البنية الشعورية للوالدين... وأكثر هذه النواهي ذات طابع ضاغط على الطفل وحتى هدام يقابل هذه النواهي كنوع من الموازنة.

المسموحات من مثل (هذا تمام، هذا ممتاز لك، أعلم أن هذا يؤلمك، أفهم أنك جائع... الخ) والسكريبت الذي يتكون في هذه الحالات أقل تحديدا لحرية الطفل، وأقل إعاقة لحياته اللاحقة.

تأتي النواهي والمسموحات عادة من /ط/ الآباء إلى /ط١/ الطفل.

٢ - **الأوامر**: تأتي من /و/ الآباء إلى /و١/ الطفل.

٣ - **البرامج**: تصدر عن /ر/ الآباء إلى /ر١/ الطفل وهي عبارة عن وسائل تنطوي عما ينبغي على الفرد عمله، وكيف يعمله من أجل أن يكون على ما يرام. وتتم عملية تشكيل البرامج عادة عن طريق الملاحظة وتقليد سلوك الآباء ولاسيما من الجنس نفسه. مثال: (كي تتعلق بك البنات عليك أن تكون كريماً وشهماً كما فعل والدك حتى أحبته أمك).



أنواع الرسائل المكونة للسكريبت، وحالات الأنا في علاقة الطفل بوالديه

(عن بركات، ٢٠٠٢)

ط - لمعرفة الفرق بين ط وط١ يمكن قراءة حالة الطفل في بنية الشخصية.

ط - الطفل المترعرع والذي يستقبل النواهي والأوامر والبرامج من حالات الأنا للآباء

يقصد بـ ط.ع الطفل العفوي

ط.م الطفل المتمرد

ط.خ الطفل الخاضع

أما و.خ فهي الوالد الحنون، و.ص فهي الوالد الصارم.

هذا ويمكن أن نجد مفاهيماً مشابهة لهذا المفهوم عند Otto Rank و Carl Jung و Eric Erikson و Moursund وبالتحديد Alfred Adler ومفهومه عن «هدف الحياة Life goal».

بعد أن استعرضنا المنطلقات الأساسية لنظرية TA نبدأ بشرح توضيحي عن وجهة نظره في الشخصية من حيث البنية والديناميكية والنمو والإسهامات.

بنية الشخصية:

لقد ذكرنا أن المفهوم المركزي لنظرية TA فيما يتعلق بصورة الإنسان هو حالة الأنا، التي هي طرائق لوصف عمليات نفسية تعكس الوعي (بالمسؤولية والعفوية) في علاقة الشخصية بذات وبالآخرين.

كما تفترض هذه النظرية أن كل إنسان يمتلك على المستوى (البنيوي) ثلاثة مستويات للأنا هي حالة (الطفل، الراشد، الوالد) تقوم بوظائف أو أدوار يحددها كل من الأسلوب الحالي للفرد (هنا الآن) وعناصر التفاعل المحيطة به.

❖ **حالة الطفل (ط):** تعكس هذه الحالة علاقات الفرد الطفلية الباكرة مع العالم، كما تشكل مصدر الطاقة والعفوية والإبداعية والجنسية والعدوانية، حيث نشاهد في هذه الحالة مجموعة من المشاعر المتنوعة من الفرح والرضى، والقلق، والغضب، والإنزعاج. ويمكن أن تعبر عن نفسها في أي عمر من أعمار الإنسان.

مثلاً: يمكننا أن نرى لدى الإنسان الناضج (عندما يتصرف من حالة الطفل) أفكاراً ومشاعر وسلوكيات كما لو أنه طفل صغير مثل أوقات اللهو والألعاب الرياضية، أو عندما يعيش الفرد انفعالات قوية تنطوي على الألم أو الإحباط أو السرور أو غيره.

وتتضمن حالة الطفل هذه نموذجاً وظيفياً يرتبط بأساليب تنشئة الطفل وتكيفه مع المحيط من حوله، ويحتوي على الطفل الخاضع (ط. خ) والطفل المتمرد (ط. م) اللذين يظهران متأخرين تطورياً، لكن لهما طابعاً دافعياً، ويستمدان الطاقة عادة، من الطفل العفوي (ط. ع). ويكون ظهورهما نتيجة ظروف تحيط بالطفل تجعله يكيف (اندفاعاته الطبيعية) بما يتناسب وظروف الحياة من حوله. مثال: عندما يشعر الطفل أن تعبيره العفوي عن مشاعر الغضب أو الخوف، يمكن أن يحرمه من حب ورضا الأشخاص المهمين في حياته، فإنه يمكن أن يلجأ إلى أنماط سلوك تنطوي إما على:

- الخضوع (حاضر، نعم، أمرك) (ط. خ)
- التمرد (لا، لا أريد) (ط. م)

بحيث تصبح مع الوقت آلية.

إن الفرد (وبغض النظر عن عمره) حينما يكون في حالة الطفل العفوي (ط. ع) يعبر عن نفسه بشكل طبيعي، ودون أن يكون هناك توقعات معينة حيال الأشخاص المحيطين به (يتهلل فرحاً، يئن ألماً، يصرخ خوفاً، يلهو متسلياً... الخ)، وأما عندما ينطلق في تصرفه من حالة (ط. خ) أو (ظ. م) فإنه يتصرف بطريقة، تعتبر استجابة للتوقعات الآتية من مرحلة الطفولة الباكرة، حتى وإن كانت الظروف الخارجية مختلفة.(بركات، ٢٠٠٢)

❖ **حالة الراشد:** في هذه الحالة من حالات الأنا تسجيل موضوعي للواقع، تجمع المعلومات الواردة من الداخل (من بقية حالات الأنا) وكذلك تستقبل المعلومات الآتية من العالم الخارجي. وعند الحاجة فإن الراشد (وعلى ضوء ما يتوافر من معلومات) يقوم ببناء التوقعات، ويقيم مدى احتمال وقوع أحداث معينة.

يمكن مقارنة الراشد بنموذج الذاكرة بعيدة المدى أو (الحاسوب) فهو يستقبل المعلومات ويعالجها متبعاً قواعد منطقية، مستقلاً عن العواطف، وهذه الاستقلالية عن (الذاتية والعواطف) تشكل لدى جماعة TA شرطاً ضرورياً لمجرى الملاحظة الجيدة وتحليل المعلومات الداخلية والخارجية. ويعتقد جماعة TA أن التفكير المنطقي والقدرة على التفكير المجرد لا تتطور قبل بلوغ ١٢ عاماً، وعند ذلك فإن حالة الراشد تقوم بجميع وظائفها.(بركات، ٢٠٠٢)

يستخدم الشخص الذي ينطلق من حالة الراشد غالباً جملاً استفهامية لجمع المعلومات (ماذا، كيف، لماذا)، أو يستخدم عبارات تتحدث عن الوقائع والظواهر، ويكون صوته في هذه الحالة متوازناً، نمطياً، أما لغة الجسد لديه فتدل على الانتباه والحضور الكلي.

ويعتقد كثير من جماعة TA أن حالة الراشد (ر) ليست مستقلة عن حالات الأنا الأخرى، لكنها تعمل بتوافق وتناغم مع حالات الأنا الأخرى، وتستمد طاقتها بشكل أساسي منها.

❖ **حالة الوالد (و):** يُنظر إلى هذه الحالة من حالات الأنا، على أنها صورة طبق الأصل من أسلوب (إدراك، وتفكير، وتقييم، ومشاعر، وأنماط سلوك) الآباء أو من يقوم مقامهم في حياة الطفل.

ويتم تمثل (استدماج) حالة (و) من الخارج دون تعديلات كبيرة من الأشخاص الذين يمثلون سلطة على الطفل، وتشكل محتوياته:

١ - قيم ومعايير هامة من وجهة نظر العقل وخبراته.

٢ - ومن وجهة نظر الثقافة المحيطة.

وهكذا، فالشخص يدركه الطفل على أنه مهم ويشكل سلطة لديه، فإنه

يُحدث تسجيلات جديدة لديه في حالة الوالد المترعرع، في حين يتم تجاهل من لا يدرك أهميتهم.

ويؤكد (بعض رواد نظرية ١٢٨) أن بعض أوجه الوالد هي ذات أصول وراثية، على سبيل المثال، الاتجاه الطبيعي للرعاية والحماية تجاه الطفل. على الرغم من أن معظم التصرفات في (و) تكون متعلمة، ويتم تشكيلها في الطفولة الباكرة، يتحرك الوالد ويبدأ العمل خاصة عندما لا يكون لدى الطفل معلومات كافية، ويمكن أن تشكل حالة (و) أساساً هاماً للقرارات غير المناسبة التي يتخذها الفرد (خاصة في المواقف الصعبة) على الرغم من توفر معلومات كافية لدى راشده.

هذا وتنطوي حالة (و) على الوالد الحنون (و.ح) والوالد الصارم (و.ص) وهاتان الحالتان تختلفان بشكل أساسي من حيث الأفكار والمشاعر والسلوكيات المرافقة حيث يستعمل الشخص في حالة (و.ص) عبارات مثل (يجب عليك، ينبغي، لا أسمح لك، ممنوع... الخ) ويكون صوته حاداً وانتقادياً، كما يتميز اتجاهه نحو نفسه ونحو الآخرين بالتنظير والسلطوية والتقييم السلبي.

ويوضح الجدول رقم (١) بنية الشخصية لدى «بيرن» والتي يرى فيها أن هناك تشابه بنيوي بين الناس، فكل شخص يمتلك والداً وراشداً وطفلاً، لكن الاختلاف بينهم يكمن في:

١ - محتويات كل منها، وفق ما تم تسجيله من خلال تفاعل الفرد مع محيطه.

٢ - فاعلية وعمل كل من الوالد والراشد والطفل لديهم.

ويبدو أن هذه البنى تشبه إلى حد ما مكونات الشخصية لدى «فرويد»

(الأنا، الأنا الأعلى، الهو) ولكن هذه المكونات لدى «فرويد» مكونات فرضية، أما في نظرية TA فهي عبارة عن تجسيد واقعي للأنا، حيث تظهر جميع حالات الأنا في التصرفات الواقعية للفرد.

كما يؤكد جماعة TA أن كل حالة من حالات الأنا ضرورية لعمل شخصية الإنسان بشكل جيد، فلكل منها وظيفة مهمة غير قابلة للتعويض من قبل حالات الأنا الأخرى، بمعنى، ليس هناك حالات سيئة للأنا، لكن هناك فقط استخداماً خاطئاً، حيث يمكن استخدام كل حالة من هذه الحالات بطريقة إيجابية أو سلبية. هذا ولحالات الأنا أربع خصائص هي: القوة التنفيذية، والقابلية للتكيف، والمرونة البيولوجية والعقلية. ويتطلب التشخيص الكامل أن تؤخذ هذه الخصائص بعين الاعتبار، وأن يتم الربط – بينها – أما التشخيص السلوكي فيتم بناء على التصرفات والأصوات والكلام مع دراسة تاريخ الحالة.(الشناوي، ١٩٩٦)

بنية الشخصية حسب «بيرن»

حالة الأنا	الكلمات أو العبارات	الصوت	التعبيرات الحركية	الموقف من نفسه ومن الآخرين	شروط استخدام الفرد الجيد أو السيء (إيجابي، سلبي) لحالات الأنا
والد	يتعين عليك، لازم عليك، لا أسمح لك، بصير، ما بصير، أعرف بالتأكيد، دائماً، أبداً	حاد، قاسي، انتقادي، قاطع، ساخر، مستار، محتقر، لاذع	حواجب معقودة، تهديد بالإصبع، زور، تحديج، وضع اليد على الخصر، الساقان متباعدتان، حركات تهديد، عدم رضى، قرف	تقييمي، سلطوي، منتقد، منتقص من قيمة الآخرين	جيد (إيجابي) يعلن ويدافع عن قناعات ومعايير ويتم بحزم وكفاءة، وعندما يصوغ متطلباته فإنه لا يتهاون فيها (لا تفعل هذا – لا أسمح لك) سيء (سلبي) يقيم دائماً، ينظر دائماً، محتقراً أو ساخراً من الآخرين (إنك مزعج، سيء، غبي) أو يتستر أحياناً في ثوب الوالد الحنون قائلاً مثلاً (عز عليك أن تتصرف دائماً في هذا النحو)
حنون	يمكنك، أسمح لك، تستطيع، أنت بمكنك، سأساعدك، أنا معك، أن سأحميك، هنا أنت بيطلع بيدك	حنون، دافئ، لطيف، مهدئ	الوجه منبسط الأسارير، النظرة المهتمة، معانقة، اللمح على الآخر، تعبيرات عن الشفقة والمساعدة والحنو	متقبل، حامي (راعي) دافئ، مستفهم، معطف، مضح	جيد (إيجابي) يرعى بحب، ويساعد الآخرين عندما يطلبون ذلك أو يحتاجون إليه (أحبك، وأنا إلى جانبك) سيء (سلبي) يساعد ويقوم بأعمال كثيرة للآخرين حتى عندما لا يطلبون أو لا يحتاجون ذلك (يمكن لهم أن يفعلوا ما يقوم به بمفردهم، وفعل هذا عنهم يمكن أن يعرقل تطورهم) (انظر ماذا أفعل من أجلك
راشد	أعتقد، محتمل، أتوقع، من المفيد، من الضروري، منطقي، غير منطقي، كيف؟ ماذا؟ كم؟ لماذا؟	نمطي، هادئ، متزن، على نسق واحد	حركاته منتظمة، هادئة ثابتة، تعبيراته تدل على التركيز، والهدوء والاهتمام	عملي، منتبه ويقظ، محلل، يعطي صورة مطابقة للوقائع الموضوعية	تعمل حالة الراشد بتوافق مع حالات الأنا الأخرى وتأخذ الطاقة منها، وهو المكان الذي يستقر فيه الفعل، وفيه يسكن الأمل، وفيه أيضاً يمكن أن يحدث التغيير

طفل	عفوي	أريـــد، لا أريـــد، أرغـــب، أحـــب، أعشـــق، أكـــره، يحزنني، يا إلهي، يا ربي، ويلي هاهاها	صـاخب، حيـوي ملـيء بالدهشـة والانـــبهاج أو الخوف والحزن	العيون والشفاه مفتوحة باتساع، حاجبان مرفوعان، حركاته عفوية، وحيويـة حركـات بعيـدة المدى، تعبيرات من كل الانفعالات	فضـــولي، ســـريع التفـــسير، مثول	جيد (إيجابي): يظهر أفكاره ومشاعره بشكل عفوي، يتصرف بالدفاع وحيوية (شاهدها...) سيء (سلبي): يمكن أن يسيء للآخرين أو يؤذيهم أو يؤذي نفسه أيضاً خلال تعبيره عن مشاعره وأفكاره، وفي أثناء القيام بأي نشاط آخر، مثال (صراخ الأطفال في المرجوحة، تسابقهم وتدافعهم بنشوة وقوة)
	خاضع	سأحمل، لن أحمل، أخشى أن، آمل، أرجو، لا أستطيع، اسمح لي، سامحني، أيمكن، من فضلك، نعم، حاضر	منخفض، غير متأكد، متوسل، مرتجف، متعب، نفاق	خفض البصر والرأس، نظرات مستبرقة، نظرة متطلعة نحو الأعلى مع أكتاف منهدلة، اختباء الظهر، تعبيرات عن التوسل، السعادة الإجبارية، الطاعة، الموافقة	متخـوف، متحـــرج، منعـــزل، كابح لنفسه	جيد (إيجابي): يعمد بشكل آلي إلى التصرفات التي تتيح له أن يحرز ما يريد أو يحتاج إليها معبراً عن موقفه الخاضع تجاه الأشخاص الهامين له، مثل (نعم.. أتفق معك يا سيدي) سيئ (سلبي): يستغل هذه التصرفات التي تحقق له جلب المساعدة من الآخرين وعنايتهم له، وتسمح له أن يلقي بمسؤولياته على الآخرين، مسؤولياته نفسه أو تصرفاته، دون حتى خضوع واضح (ياويلي، يا تعجزي، يا نسيوه طلعي)
	متمرد	لا أريد، هات من إيدك، حل عني، اتركني، فمو، ايمه لأ!!!	شـايف حالـه، مـن فـوق، أزعـر، مهـين، مـاخر، متهكم	التحديق بطرف العين، التنبك بالقدمين عكس الأرض، التفسيخ علامة الاستياء، رفعة كتف (لا)، تعبيرات عن الغضب، التجاهل، الاحتقار	تجـــريبي، رافـــض، نكاية	

نمو الشخصية:

يرى أصحاب نظرية TA أنه في كل قرار يأخذه الإنسان ثلاث مجموعات من المعلومات التي يجب التعامل معها:

١ - معلومات توجد في الطفل.

٢ - معلومات توجد في الراشد.

٣ - معلومات توجد في الوالد.

فكيف تنمو وتتطور حالات الأنا المختلفة؟

لفهم إمكانيات استخدام النموذج البنيوي الثلاثي الذي تقدمه لنا نظرية TA في التشخيص والعلاج يمكننا الاستعانة بالدياغرام الذي يقدمه لنا «Wooliams» لطفل عمره ٨ سنوات.

- لحظة ولادة الطفل تنطلق كل فعاليته من حالة الطفل في (ط١) الذي هو منبع الطاقة، والمشاعر المولودة مع الإنسان. حيث تتم استثارة الطفل في الأيام الأولى لمشاعر (متنوعة) تجاه ما يجرى حوله وما يوجه إليه. وهذا يتفق مع رؤية «واطسن» السلوكية.(*)

(*) أثبت برنامج «واطسن» التجريبي الذي أجراه على أشراط الاستجابات الإنفعالية وإعادة أشراطها لدى الأطفال الرضع بهدف تحديد أنواع السلوك الفطري التي يمكن معاينتها بوضوح والتي يفترض أنها موروثة، حيث قام بدراسة تتبعية للحياة الإنفعالية لدى الوليد والطفل مستخدما تقنية وصف السلوك الكاملة الموضوعية على عينة كبيرة من الأطفال، وانتهى إلى تقرير وجود ثلاثة هيجانات أساسية لدى صغار الأطفال وهي الخوف وتثيره الأصوات العالية والفقدان المفاجئ للسند، والغضب وتثيره إعاقة الحركات الجسدية، والحب ويثيره الهز والدغدغة والربت على الجلد وتمسيده.(حمصي، ٢٠٠٢)

- في الشهر الثالث تقريباً يقوم الرضيع ببعض الارتكاسات التي تعكس لنا نوعاً من أنواع التفكير البسيط، والذي يعتبره جماعة TA نظاماً غير لفظي، يرتكز إلى الحدس أو ما يُسمى عادة البروفسور الصغير، وهو عبارة عن /ر١/ أي الراشد في الطفل (وهذا يتفق مع الطور الثاني والثالث في مرحلة التفكير الحسي – الحركي عند بياجيه)(*).

- رداً على تأثير الوالدين، والحوادث الخارجية فإن الطفل يعايش تدريجياً أكثر فأكثر مشاعر متنوعة وأفكاراً مختلفة، وبنتيجة هذه الخبرات فإنه يقوم باتخاذ عدد من القرارات التي تمس قبل كل شيء (إحساسه بكيفية إرضاء حاجاته عن طريق والديه، والذي يشعر بأنه تابع لهما لدرجة مطلقة).

- تصبح هذه القرارات فيما بعد بالتكرار أساساً لتخطيط نماذج من السلوكيات والأفكار والمشاعر بشكل أتوماتيكي.

- إن بنية هذه القرارات وآثارها يتم تسجيلها في حالة /و١/، هذا الجزء يعمل بشكل مستقل عن عمل /و/ في المستقبل لدى الطفل.

- يتم تشكيل الراشد /ر/ ببطء، وتصل غاية تطورها عندما يبلغ الطفل حوالي ١٢ عام ويصل إلى قابلية التفكير المجرد.

- يعتقد جماعة TA أن حالة الراشد /ر/ ليست حالة مستقلة عن حالات

(*) يشهد الطور الثاني عند بياجيه – بداية الشهر الثاني إلى نهاية الشهر الرابع – بداية تنسيق المخططات.

ويشهد الطور الثالث عند بياجيه – من الشهر ٤ وحتى العاشر – بداية الذكاء وممارسة الطفل لمخططاته الحسية – الحركية.(حمصي، ٢٠٠٢)

الأنا، لكنها على الأغلب تعمل بتوافق مع حالات الأنا الأخرى، وتستمد الطاقة من تلك الحالات.

- تحتوي حالة الوالد على تسجيلات آتية من /ر/، /و/، /ط/ الآباء، الأخوة الكبار والأشخاص الآخرين المهمين في حياة الطفل. وهذه التسجيلات تتعلق:

١ - بالخبرات الهامة من وجهة نظر الطفل.

٢ - من وجهة نظر الثقافة المحيطة.

هذا ويمكن تعديل هذه المحتويات أو الإضافة إليها عندما يمر الشخص أو يتفاعل مع سلطة أو حالة (معتبرة أو مهمة له).

وهذا يشير بالضبط إلى أن الطفل /ط/ هي حالة الأنا الحاسمة فيما يتعلق بما سيتم استدماجه في حالة الوالد /و/، لأن فعالية الاستدماج (التمثل) تتعلق بنقطتين:

١ - حساسية الفرد.

٢ - مقدار ما يمنحه الفرد نفسه للآخرين من قيمة وأهمية.

وهكذا فالشخص الذي يتم إدراكه (أنه هام، أو يشكل سلطة) يمكنه أن يؤدي إلى إيجاد تسجيلات جديدة في حالة الوالد، في حين يتم تجاهل من لا يمنحهم مثل هذه الأهمية.

إن التحليل المعقد لتشكل حالات الأنا عند الفرد يسمح لنا بأن نفهم ظاهرة استجابة الطفل لانفعالات ومشاعر وأفكار وتصرفات (وبالنتيجة بقرارات) عندما يتعرض لتأثير مشاعر وأفكار وتصرفات متنوعة يقوم بها الأفراد المهمون له.

أشكال استجابة الأم حسب حالات الأنا

من حالة الوالد		من حالة الراشد	من حالة الطفل	
/و/ الأم	ما أروع أن يكون لدينا طفل	يستخدم الفرد /و/ الأب المعلومات التي يمتلكها حول أمور رعاية الطفل، مثال: طريقة حمام الطفل أو غذائه أو رعايته... الخ	/و١/الأم	إنني مذعورة، وهذا ليس ذنبي، اتركني في حالي
/و/الأب	يمكن التمتع بمشاهدة الطفل لا الاستماع إلى صوته		/ر١/الأم	ربما لو غنيت له لهدأ قليلاً
/ر/الأم	هناك أشياء كثيرة ينبغي عملها للطفل وأنا أعرف كيف أفعل هذا!!!		/ط١/الأم	إنني متعبة ومرهقة
/ر/الأب	لدي معلومات كثيرة عما ينبغي عمله للطفل			
/ط/الأم	إن رعاية الطفل، عمل مرهق لا ينتهي			
/ط/الأب	من الممتع اللهو والتسلي بملاعبة الطفل			

مثال توضيحي (١): زوج يسأل زوجته أين ساعتي؟

استجابة الزوجة من حالة الراشد – أنا لم أرها – أو هي على الرف المقابل.

استجابة الزوجة من حالة الطفل – كيف يفترض فيني معرفة أين تكون؟

استجابة الزوجة من حالة الوالد – يجب عليك أن تهتم بأشيائك الخاصة وتوليها عناية فائقة أو يجب أن تحافظ على أغراضك الخاصة.

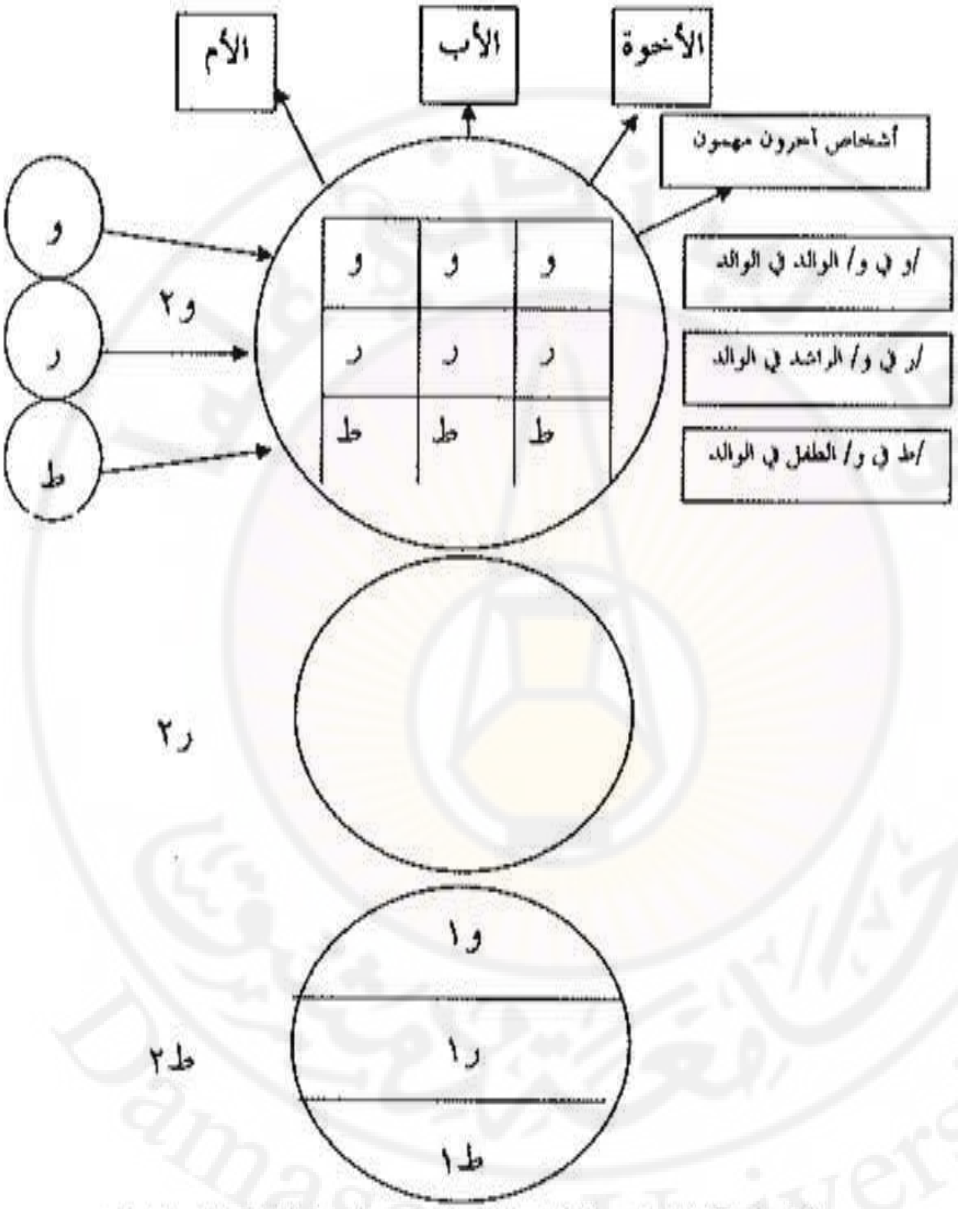
مثال توضيحي(٢): استجابة أو شابه لطفلها أو لحاجاته المختلفة حسب حالة الأنا المختلفة عندها.

- إذا كانت الأم تتصرف من /و/ فإنها تشغل (في هذا الموقف) السجلات الموجودة لديها من والدتها، أو والدها هي.

- عندما تنطلق من حالة الراشد لديها، فإنها تشغل المعلومات التي تكون قد قرأتها أو تعلمتها من مصادر محدودة عن العناية المناسبة للطفل.

- عندما تنطلق من /ط/ لديها فإنها (في هذا الموقف) تستخدم السجلات الموجودة لديها منذ طفولتها الخاصة. وهي سجلات آتية من ط١، و١، ر١، وهذه السجلات التي كانت بالأصل قد سُجلت بتأثير والديها.

- يقوم الطفل في أثناء التعامل مع الأم، في كل مرة بتسجيل ما يفعله الآخرون له من أشياء مهمة في /و/، ويسجل في /ط/ لديه، ما يشعر به الآن /ط١/، وما يفكر به /ر١/ أو البروفسور الصغير، ونتيجة لهذا، فإنه يقوم باتخاذ القرارات السكريبتية من /و١/. وعندما يكبر فإنه سيبدأ بالتصرف ليس فقط من حالة /ط/ و/و/، ولكن راشده الجديد سيبدأ بجمع المعلومات، وبناء التوقعات. من هنا فإن الانطلاق من واحد من حالات الأنا في موقف راهن ما، يتوقف على عوامل متعددة جداً.(بركات، ٢٠٠٢)



تخطيط بنية الشخصية لدى طفل في عمر ٨ سنوات، بتصرف عن (Woollamser, p.3) (كما ورد في بركات، ٢٠٠٢)

التشدد والجمود في حالات الأنا

لقد نوهنا سابقاً أن هذه النظرية تشبه التحليل النفسي في تأكيدها على أهمية الأحداث الطفولية والقوى اللاشعورية في تشكيل الشخصية، لكنها تركز أكثر على التفاعلات بين الناس وتقدم عناصر معرفية أكثر من ذي قبل. ثم إن حالات الأنا التي قال لها «بيرن» توازي عناصر تركيب الشخصية عند «فرويد» فالطفل = الهو، والوالد = الأنا الأعلى، والراشد = الأنا.

إن هذه المسميات عند «بيرن» هي مسميات لحالات الأنا في الشخصية وليست لمراحل عمرية، أو علاقات أسرية. فمن السهل علينا فهم كيف أننا كثيراً ما نلعب دور الطفل أو الوالد بدلاً من دور البالغ في علاقتنا الشخصية التبادلية بدلاً من التعمق في فهم تلك المفاهيم الفرويدية.

من أهم الشروط الضرورية لسير وظائف الفرد عند TA:

١ - هو القدرة على اتخاذ القرار (الحر المريح) من حالة الأنا التي يعتقد أنها أكثر مناسبة للموقف الذي هو بصدده.

٢ - أن تكون كل حالة من الحالات المستخدمة متميزة عن حالات الأنا الأخرى.

إذا كان جماعة TA يرون في ذلك معايير للصحة النفسية، فإنهم يرون إمكانية الشذوذ في الاحتمالات التالية:

١ - عندما تعمل حالة الراشد مستندة إلى البيانات الموجودة إما لدى الطفل، أو لدى الوالد أكثر من اللازم (سوء الوظيفة) وهذا ما يسمى بتلوث الأنا أو تداخلها.

٢ - عندما يصبح الفرد عاجزاً في أي لحظة عن الوصول إلى واحدة من

حالات الأنا لديه، وهو ما يسمى استبعاد الأنا، أو الإطفاء.

٣ - حالات الأنا التكاملية (الاعتمادية).

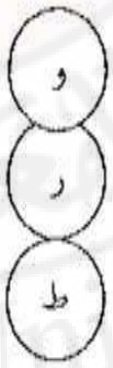
الشكل التالي يوضح حالة تلوث الأنا أو تداخلها.

١ - فالحالة الطبيعية أن تكون الحدود محفوظة بين الراشد والطفل والوالد كما يلي:



وهنا يقوم الراشد بوظائفه بشكل مناسب (يتفحص معلومات و، ط) على ضوء بياناته

٢ - قد يتداخل الراشد /ر/ مع الوالد /و/ على الشكل التالي:



هنا يفقد الراشد جزء من وظائفه المميزة له بحيث يتفحص معلومات الموقف الراهن، ويبني التوقعات مستنداً أكثر إلى بيانات الوالد حيث يقوم الفرد بصياغة قناعاته من /و/ (أكبر منك بيوم أعرف منك دوم، النساء أقل عقلاً من الرجال)

٣ - قد يتداخل الراشد مع الطفل.

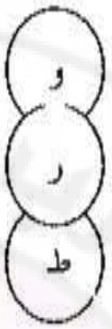


وهنا أيضاً تفقد حالة الراشد جزء من وظائفها بحيث يستند الراشد أكثر إلى بيانات الطفل لتفحص الموقف الراهن والحكم عليه مثل الظلام المخيف، «كيف بدي أعرف أفكر».

يحدث هذا النوع من التداخل عندما لا تسمح الخبرات الطفلية الراضة (بما فيها من مشاعر مؤلمة) التي تعرض لها الفرد بأن يختبر ويعايش المواقف الحالية بموضوعية دون أن تؤثر في مشاعره الحالية. فعندما يقول أحمد مثلاً إن الرجال خطرون، إنما يصف على الأغلب الأسلوب الذي كان يرى من خلاله الرجال عندما كان طفلاً.

والفتاة التي عاشت في قلق دائم نتيجة الصراع الدائم بين الوالدين في طفولتها، فإنها وعندما تصبح راشدة وفي (المواقف الضاغطة) فإنها يمكن أن تعيش نفس شدة القلق التي كانت تعيشها صغيرة. وبما أنها لا ترتبط حالياً بين قلقها الحالي وبين خبراتها الطفلية، فعليها في هذه الحالة أن تبحث عن تفسير منطقي لما تعيشه من انفعالات. فقد تظهر المخاوف أو غيرها من الأعراض... على الرغم من أن هذه العلاقة بين الأشخاص ليست علاقة سبب بنتيجة دائماً كما يراها جماعة TA.

٤ - قد يتدخل الراشد مع كل من الطفل والوالد.



في هذه الحالة يقوم الفرد بصياغة قناعاته من /و/ ويستجيب انفعالياً من /ط/:
لا يجوز لك أن ترد بوجه الكبار، لا يجوز وضع الحذاء على قفاه...

في مثل هذه الحالات يتعامل الفرد مع معطيات الموقف الحالية، على أنها حقيقة واقعة تمت صياغتها دون التأكد من صحتها، ودون إفساح المجال أمام الراشد /ر/ للتأكد منها. (ما حدا بهموا حدا، كل الناس مصلحجية، كل البائعون غشاشون، يا مأمنة بالرجال مثل الماء بالغربال، النساء عقلهم قليل... الخ). كل العبارات المستخدمة تدل على أحكام مسبقة دون التأكد من صحتها، بصيغة انفعالية طفلية.

- أما عن حالة الشذوذ الأخرى والتي تنطوي على استبعاد أحد حالات الأنا أو إطفائها.. فإنه من أكثر المؤشرات خطراً على نمو الفرد وتطوره، أن تقتصر فاعلية الفرد على الانطلاق من حالتين فقط من حالات الأنا، وإطفاء الحالة الثالثة.

وقد يعود قرار الإطفاء هذا إلى مرحلة الطفولة المبكرة (كأسلوب مناسب للتكيف في تلك المرحلة) بناء على نوع العلاقة بين الطفل ووالديه والأساليب التي اتبعها الأهل في تنشئته.

مثال: قد يطغى فلان في تعامله في الموقف الراهن الوالد /و/ ويتصرف بشكل غير مسؤول أو يتصرف انطلاقاً من محتويات /و/ و/ط/ بعيداً عن الموضوعية والصلة بالواقع وهكذا.

- يفسر جماعة TA أصول هذا الشذوذ في حالات الأنا لدى الفرد، بالعودة إلى نمط العلاقة بين الطفل ووالديه وأساليب الآباء في الاستجابة لاحتياجات الطفل.

يقول أحد علماء النفس (خير انفصال يتم من خير اتصال) — ويعني هنا أن حسن الاتصال الفيزيولوجي والنفسي بين الأم وطفلها سيؤدي إلى انفصال مناسب في مختلف مراحل العمر.

يؤكد في هذا السياق «شيفوني»: بأن إطفاء حالتين من حالات الأنا، يمكن أن يحدث في حالات خاصة، نتيجة العلاقة السيميبيوزية التي لم يتم فصمها بين الأم والطفل، والتي يتصرف فيها شخصان كما لو أنهما (معاً) يتمتعان بما مجموعه ٣ حالات للأنا فقط (بركات، ٢٠٠٢).

فإذا لم تستطع الأم، (على أساس قراراتها الطفلية الخاصة) أن تتعرف وأن ترضي حاجات طفلها الخائف، فإنها كثيراً ما تصبح مفرطة الحساسية تجاه حاجات وليدها، وفي مثل هذه الحالة فإن الأم تبدو كما لو كانت تنطلق في تصرفاتها من حالتين /الراشد والوالد/ وتقوم بإطفاء /الطفل/ لديها، وتعوض عنها من خلال /ط/ الموجود لدى ابنها.

هذه العلاقة تكون مفيدة جداً في مرحلة الطفولة المبكرة، لكنها إن طالت فإن الأم يمكن أن تقوم بعرقلة، بل وإيقاف نمو /ر/ و /و/ في وليدها.

الأشخاص الذين يتربون في مثل هذا النمط من العلاقات، عندما ينضجون

جسدياً، يمكنهم أن ينطلقوا في تصرفاتهم فقط من /ط/ لأن /ر/ و /و/ لم يتشكلا لديهم أصلاً، ويبقون في علاقة سيميبوزية مع أمهم، أو يوجهون كامل طاقتهم من أجل البحث عن علاقات مشابهة يستطيعون بفضلها أن يحققوا رغباتهم ويشبعوا حاجاتهم. في مثل هذه الحالات، يكون الفرد واعياً بما لديه من قوة وإمكانيات لإرضاء حاجاته بنفسه (بركات، ٢٠٠٢).

يفترض جماعة TA متأثرين بأصحاب نظرية التحليل النفسي (ولاسيما أدلر وهورني) أن الطفل الوليد يكون في حالة عجز وتبعية شديدة للآخرين، وأنه من خلال البكاء، يستطيع أن يعبر عن احتياجاته الأولية على الشكل التالي:

بكاء الطفل ⇐ سماع الوالدان لهذا البكاء ⇐ قيام أحد الوالدين بقضاء حاجة الطفل ⇐ شعور الطفل باللذة والارتياح.

فإذا كان الآباء في أية لحظة من لحظات هذا التسلسل المثالي بالنسبة للطفل (لا ينتبهان، أو لا يعطيان) أهمية لإشارات الطفل، فإنهم في هذه الحالة يتصرفان (لا انطلاقاً من اشارات الطفل)، بل من حالاتهم الداخلية، أو أوهامهم، وربما حتى من خلال أوهام الراشد /ر/ الملوث فيهم من قبل /و/ أو /ط/، عندها يمكن أن يبدأ الطفل في تشكيل علاقات غير سليمة مع العالم الخارجي والداخلي.

يميز «شيف وميلر» بين أربعة مستويات لعدم الانتباه أو إدراك إشارات الطفل من قبل والديه، ويعددان أيضاً النتائج التي يمكن أن تنتج عنها في تشكيل حالات الأنا لدى هذا الطفل، وبالتالي القرارات السكربتية التي يتخذها بناء على هذا.

المستوى الأول: عدم الانتباه أو عدم إدراك المثير (العمه)[*] مثال: (الطفل يبكي، الآباء يذهبون للنوم)، يتوقف الطفل عن البكاء وينام.

نجد في هذا المستوى تجاوزاً كلياً لحاجات الطفل ورغباته الآتية من حالة /ط ع/ فيه، وهذا يؤدي إلى أشد أشكال الاضطراب.

يسبب هذا لدى الطفل، إغلاق الوعي بحالة الاستثارة البسيطة لديه، وهذا يمنعه بالتالي من إمكانية تحديد أهمية الإثارة التي قد تكون لديه، وفي نفس الوقت في تحديد أهمية أي تصرف يقوم به انطلاقاً من شعوره بهذه الاستثارة.

إن إغلاق الوعي بالاستثارة، يمكن أن يمس حاجات متنوعة، وفي بعض الحالات المتطرفة يمكن أن يمس حتى الحاجات الطبيعية الأساسية كالجوع والعطش، حيث لا يستقبل الطفل في هذه الحالة، ولا يختبر الإشارات التي تدل بشكل طبيعي على حاجته للطعام. وفي المستقبل نجد أن الشخص الذي يأكل بهذه الطريقة يمكنه أن ينطلق على الأغلب من /ط ع/ أو من /و/ حين يأكل، وعندها سيكون لديه إما مشكلة زيادة طعام أو مشكلة نقص طعام (لأن المؤشر الداخلي مفقود)، وبالتالي سيتناول إما أكثر أو أقل مما يحتاج إليه جسده، لأنه لا يتواصل مع الإشارات التي يرسلها الجسد من أجل إرضاء حاجاته بشكل متوازن.

المستوى الثاني: عدم إدراك معنى المثير: (الطفل يبكي، يستمع الأهل إليه، لكنهم يؤكدون بأنه في هذا الوقت من اليوم معتاد على النقنقة قليلاً). ونسمع مثل هذه التأكيدات من الأمهات على شكل (ليبك قليلاً، لن يحصل له شيء).

---

[*] يشير مصطلح (العمه) هنا إلى التعطيل الوظيفي لا البنيوي. (تعطل وظيفة السمع، البصر... الخ) وليس البنية التشريحية لذلك الحواس.

مثل هؤلاء الأهل (يستقبلون المثير، ولكن لا يعطون لمعناه قيمة تامة، أو يخففون من قيمة معناه) يتصرفون من راشدهم /ر/ الملوث قليلاً بـ/و/.

أما ما يجري للطفل في هذه الحالة، فيمكن أن يكون واعياً بأن هناك شيئاً ما يحدث عنده، (ربما يعرف ما هي حاجاته) ولكنه لا يعاملها على أنها تستحق فعلاً أن يفعل شيئاً ما حيالها. **مثال:** قد يكون شاعراً بالجوع، لكنه لا يمكن أن يأكل وحده، أو يشعر بأنه غاضب أو غير مسرور، لكن إن يكن هناك مبرر خارجي يجعل لمشاعره أهمية إضافية (وقت الغداء، وقت الراحة، سماع الآخرين أو جوع الأطفال، مشاعر: تمت معاملتي بشكل ظالم)، غالباً لا يأخذ الطفل زمام المبادرة في إرضاء حاجاته إلا إذا كان المنطلق /و/ لديه. الأشخاص من هذا النوع عليهم تقدير أهمية مشاعرهم وحاجاتهم أولاً، ويحصل هذا فقط عندما يتم إعطاء هذه الأهمية من الخارج، وحينئذ يعملون من أجل حل الصعوبة، أو مواجهة الحاجة الموجودة لديهم.

المستوى الثالث: عدم رؤية إمكانية تغيير الموقف: مثال الطفل يبكي، والأهل يستمعون إليه، ويؤكدون أنه ليس هناك من طريقة لإرضاء هذا الطفل، (ليس هناك ما يمكن عمله) في هذه الحالة الآباء يعلمون حاجات الطفل، ويعتبرونها هامة، لكنهم لا يؤمنون ولا يعلمون بوجود طريقة ما، لإرضاء حاجته.

عندما لا يتم البحث في موقف معين عن بدائل إضافية لحل المشكلة، يتعلّم الطفل أن لا يدرك الإمكانيات المختلفة لإشباع حاجاته. ويتصرف هكذا حيال حاجاته ومشاعره والصعوبات التي تواجهه أو تواجه غيره، فنراه يردد كثيراً (لا يمكن تغيير هذا...).

المستوى الرابع: عدم إدراك الإمكانيات الفردية الخاصة (الشخصية)، أو

إمكانيات تغيير الموقف الخارجي، مثال: الطفل يبكي (يعرف الأهل أهمية هذا الشيء)، و(أنه من الممكن عمل شيء من أجل ذلك)، و(يعتقدون بأن غيرهم من الآباء ربما سيواجه الموقف كما يجب)، ولكنهم يدركون أنفسهم على أنهم بالذات غير قادرين على مواجهة هذا الموقف كما يجب.

إن هذا يؤثر على تقييمهم السلبي إمكانياتهم في هذا المجال.

إن طفل هؤلاء الآباء في المستقبل سيدرك حاجاته ورغباته الآتية من طفله العفوي، ويقر بأهمية إشباعها، ويقتنع بأن غيره ممن هم في مثل موقفه سيرضي حاجاته، أما هو فيعتقد بعجزه الشخصي.

يكبر وفي أثناء نموه يستخدم أكثر فأكثر كلمات من نوع: هذا ليس لي، لا أستطيع فعل هذا، هذا لا يليق بي، ... ينطلق هذا كله من /ط.خ/ فيه.(بركات، ٢٠٠٢)

يعتقد جماعة TA أن لكل مستوى من هذه المستويات الأربعة، معنى خاص، فيما يتعلق بقرارات الطفل السكريتية، التي يمكن أن تؤدي إلى إطفاء حالة /ط.ع/ أو إطفاء أجزاء هامة منه على الأقل.

قبل نهاية الحديث عن حالات شذوذ الأنا، ولاسيما فيما يتعلق بحالة الطفل /ط/ لابد من التنويه إلى مصطلح، كان قد تكرر عند جماعة TA واستخدمه «بيرن»، لوصف المشاعر الجديدة التي يمكن أن يشكلها الأطفال (رداً على أنواع مختلفة من ضغوط الأهل تجاه المشاعر والتصرفات الطبيعية للأطفال). يسمي «بيرن» هذا المصطلح (الصواريخ) الراكيت.

مثال: طفل يعايش مشاعر الحسد والغيرة (نتيجة اهتمام الأهل بولادة الأخ الأصغر له) إذا هدده والديه (بحرمانه من الحب، أو اشترطوا لمنحه الرعاية، أن

يظهر سلوكاً إيجابياً تجاه أخيه ومقبولاً لهم) سيكون قرار هذا الطفل، كبت مشاعر الغيرة. إن هذا التعويض عن المشاعر الطبيعية الآنية من الطفل /ط/ بمشاعر أخرى بديلة أو طفلية وحتى تصرفات طفلية (مقبولة من الآخرين) تتدخل مع الوقت في صياغة القرارات السكريبتية.(أريكسون وموسند، ٨٨)

يشير مصطلح (الراكيت) عند جماعة TA إلى نوع من النماذج العاطفية التي يخلقها الناس عادة ليحافظوا على الشعور الهوية والذي كانوا قد شكلوه من خلال (السكريبت).

لقد تحدث (Karpman, 1968) عن نظريته في السيكودراما وأشار إلى ضرورة احترام الفرد لانفعالاته، وإدارتها بشكل صحيح عندما يتواصل مع الآخرين. بحيث يتعلم الفرد الدخول في آلام الآخرين دون أن ينتقل إليهم الألم بالعدوى، ويحتكوا بالتشاؤم، دون أن يفقدوا تفاؤلهم.

بمعنى أن التواصل مع الآخرين والتعاطف معهم لا يستنزف طاقتهم الكاملة فعليهم أن يقوموا بمختلف الأدوار الحياتية بفاعلية.(Tudar, 1999)

في هذا السياق حدد «بيرن» ثلاثة أدوار يمكن أن يتعرض لها الفرد في أثناء تفاعله مع الآخرين، وتقديم المساعدة لهم وهي دور المنقذ (الشهم)، والضحية (المسكينة العاجزة) والجلاد (المتعقب) تتجسد بالمثلث الدراماتيكي.

وقد حدد «بيرن» أربعة أسئلة يمكن للفرد الإجابة عليه بشفافية عندما ينخرط في دور المساعدة، للتأكد فيما إذا سيتورط في الوقوع في فخ هذا المثلث أو لا.

١ - هل تريد حقاً أن تساعد هذا الشخص؟ بمعنى هل نيتك بالمساعدة من أجل المساعدة أو تساعد لاعتبارات أخرى (هروب من الملل، الشهرة والسمعة الحسنة، الحصول على مكاسب معينة.. الخ).

٢ - هل لديك المؤهلات والكفاءات اللازمة لتقديم هذه المساعدة؟

٣ - هل يطلب منك هذا الشخص المساعدة؟ أو هل يتقبل على الأقل ما تعرضه عليه؟ فقد تعطيه ما تعتقد أنه مساعدة له وهو ليس بحاجة إليه (أي قد تضع جهدك في غير مكانه).

٤ - هل تقوم بدورك كمساعد، بتقديم قدر معين من الجهد لتلبية احتياجات من تساعده، وتترك له أن يكمل إرضاء هذه الحاجات.

إذا كانت الإجابة على هذه الأسئلة كلها نعم، فهذا يعني أن مساعدتك للشخص الآخر هي مساعدة سليمة، وأنها لن تدفعه نحو دور الضحية، كما لن تدفعك نحو دور المنقذ.[٥]

---

[٥] مثال: قد تقوم الأم (التي تساعد ولدها في أداء واجباته) بدور المنقذ نظراً لإهماله أو تقصيره في المدرسة، وحرصها على تفوقه، فيأخذ الولد دور الضحية.. ويستمر الولد والأم في لعب هذه الأدوار لدرجة تنهك الأم فيما بعد نظراً لتعدد مسؤولياتها، وتعقيد مستوى المنهاج وأمور أخرى (فتتحول من منقذ إلى ضحية)، ولا تستطيع الفكاك من هذا الدور الضعيف.

أما الضحية (الولد الذي كان يرى نفسه عاجزاً ومستمراً في الاعتماد على قدرات أمه فإنه يرفع من متطلبات احتياجاته وربما يستنفذ طاقات أمه)، (بمعنى أنا غبي وأنت ذكي، أنا عاجز وأنت قوي، أنا فقير وأنت غني) فإنه يتحول إلى جلاد (عندما تتعب الأم) ويبدأ بمهاجمة أمه المنقذة القوية، بعد أن انقلبت الأدوار، وكأن لسان حاله يقول لها (أنت السبب فيما أنا فيه -- أنت ما علمتيني أعتمد على حالي... الخ من مثل هذه العبارات).

رسم توضيحي للمثلث الدراماتيكي (عن بركات، ٢٠٠٧)



ولهذا أدركت مختلف نظريات التنشئة الاجتماعية، وحتى الديانات السماوية ضرورة الحفاظ على منظومة الحق والواجب على المستوى الفردي أو الجماعي، داخل الأسرة وخارجها..

وهذا ما نرى صداه في تحليل مضامين بعض الأمثال الشعبية مثل: اتق شر من أحسنت إليه، خيراً تعمل شراً تلاق، ... الخ من هذه الأقوال التي تنطبق فعلاً على متورطي اللعب في أدوار المثلث الدراماتيكي، فيعبرون عن خبراتهم الخاصة.

لكن هذا الأمر لا ينطبق على (أصحاب الإجابات الأربعة بنعم ومقدمي الخدمات النفسية).

ديناميات الشخصية:

إذا كان الاهتمام بموضوع الدوافع المحركة للشخصية الإنسانية سؤالاً أساسياً تجدر الإجابة عليه في أية نظرية للشخصية، ومعياراً أساسياً للمقارنة بين هذه النظريات، فإن نظرية TA لا تأخذ بعين الاعتبار أثر الدوافع البيولوجية والروحية على التفاعل الإنساني.

وإذا بحثنا عن أكثر الدوافع المحركة للشخصية في النظريات الأخرى وسلمنا بأهمية كل من السمة عند «ألبورت»، والحاجة عن «موراي»، والغريزة عند «فرويد»، والعاطفة عند «ماكدوجال»، والاهتمام الاجتماعي عند «آدلر»، يمكننا الحديث عن السكريبت (السيناريو) عند «بيرن».

إن التفاعل بين:

- الحريرات النفسية (الدفعات المعنوية) حسب نوعيتها الإيجابية أو السلبية وحسب كونها مشروطة أو غير مشروطة والتي هي واحدة من الحاجات الإنسانية الأساسية والتي يسميها «ابرتهام ماسلو» (الإنعاش الأمثل).

- شروط الاستخدام الجيد أو السيئ لحالة الأنا التي يرسل منها الفرد حريراته النفسية (ط، ر، و).

- وضعيات الحياة الأربعة (++، -+، + -، - -) أو الوضعيات الوجودية المصاحبة.

كل هذا يكون في النهاية حكم حياة، أو وسائل حياتية تشكل بدورها أساساً للسكريبت الذي يشكل (مصدر الطاقة الفعالة) في أثناء التعامل مع الآخرين والذي يكون استجابة للتفسير الشخصي للوقائع الخارجية. إنه يمثل خطة تماماً مثلها مثل السيناريو المكتوب سلفاً، تنطوي على صبغة محددة، قد تكون

تراجيدية، أو كوميدية، أو رومانسية... الخ. حبكة تنقسم إلى مشاهد، وأحداث، منها أدوار موزعة ونقاط محرقية، وخاتمة، تشكل في مجموعها ربحاً أو خسارة محددة للفرد اللاعب (البطل).(بركات، ٢٠٠٢)

ويرى «بيرن» أن كل إنسان يولد ولديه احتياطي (استعداد) يعطيه الفرصة في النجاح، لكن الظروف التي ينمو فيها الطفل، ومقدار ما يتلقاه من دفع معنوي (حريرات)، تسهم في إدراك الطفل الخاص للأحداث والعالم من حوله الأمر الذي يجعله يتخذ قرارات تتفاوت في مدى مرونتها ومناسبتها للموقف الراهن وهذا ما يفسر الفروق الفردية بين الناس تجاه نفس الموقف.

على الرغم من أن محتويات السكريبت تنطوي على النواهي والمسموحات، والأوامر، والبرامج التي تأتي من (ط، و، ر) الآباء، فإن تأثير هذه الرسائل على تشكيل السكريبتات عند الطفل يبقى مرهوناً بـ ← طريقة استقباله لها (فقدراته المنطقية متواضعة، ونظرته الموضوعية للأمور محدودة، وقدرته على تغيير ظروفه الحياتية شبه معدومة). ولا يستند إلى النية الحقيقية (الشعورية أو اللاشعورية) عند الآباء ولا إلى المحتوى الحقيقي لرسائلهم.

ثم إن السكريبت الفردي الذي يمكن أن يتخذه الطفل، يتأثر عادة بالبيئة الثقافية والاجتماعية التي يعيش فيها الطفل والتي يتم التعرف عليها من خلال استخدام أسرته كنوع محدد من الجمل مثل (نحن الشرفاء، هم التجار)، (نحن المحافظون، هم المتحللون)... الخ، أو قد تظهر السكريبتات الأسرية أكثر وضوحاً مثل «نحن بيت فلان لها»... «بيت فلان من طول عمرهم كرماء»، «ها العيلة من طول عمرها أوائل».. وهكذا.

وعلى الرغم من أن جماعة TA يتحدثون عن عملية تسلسل صياغة القرار السكريبتي كالآتي:

ط١ يستجيب انفعالياً، ويتوافق مع ما يرسله له الآخرون.

ر١ يقوم بعمل برامج تهدف للحصول إما على حريرات إيجابية، أو تجنب خطر ما.

و١ يتخذ القرار السكريبتي.

إلا أنهم لم يجيبوا حتى الآن بعلمية ووضوح حول السؤال: «لماذا يتخذ الطفل هذه الرسالة أو تلك لتشكيل السيناريو الخاص به؟». استنادا إلى العلاقة بين الدوافع الفطرية والنفسية وطرائق خفض الدافع والتي تؤثر بشكل كبير على التفاعل الإنساني.

إسهامات النظرية:

استخدم جماعة TA تحليل المعاملات كأسلوب حديث للعلاج النفسي، بالإضافة إلى الاعتماد على الألعاب، والعلاج الجماعي من خلال تحليل المعاملات، وتدريس نموذج (الوالد، الراشد، الطفل) لمجموعات المرضى أو الدارسين كبداية لفهم الانحرافات، ووصولاً إلى السلوك للإنسان الطبيعي.

فما هو تحليل التعامل؟

يشير مصطلح تحليل التعامل من (الناحية الفنية) إلى أن المعاملة تتكون من (م شخص١ ← س شخص٢) وتصبح س شخص٢ بدورها مثيراً جديداً للشخص الأول لكي يستجيب لها.

والغرض من التحليل هو اكتشاف حالة الأنا (الوالد أو الراشد أو الطفل) وراء كل مثير واستجابة.

إن منطلقات نظرية TA حول صورة الإنسان، والوجود الإنساني (والتي تم

الحديث عنها في بداية هذا الفصل) تؤكد إمكانية التغيير والتبدل عند الناس وبغض النظر عن رغبتهم بذلك (عن طريق الإرشاد والعلاج).

ينطوي الهدف العام للإرشاد في هذه النظرية على مساعدة الفرد على اكتساب الاستقلالية في تسيير أموره من خلال (الوعي بالذات، والعفوية، والحميمية).

أما الأهداف الأخرى فتنطوي على:

- تحرير حالة الأنا الراشدة عند المسترشدين من (التشوش) والتأثير السلبي من حالات الأنا الطفلية والوالدية.
- مساعدة المسترشد على أن يكون حراً في إجراء اختيارات بعيداً عن التأثير الوالدي، وتتطلب هذه الحرية وجود حالة أنا راشدة خالية من التشوش، وتفهماً لأهمية حالات الأنا الوالدية والطفلية في الأداء اليومي للفرد.
- مساعدة المسترشد على استخدام حالات الأنا الثلاث بشكل مناسب.
- مساعدة المسترشد على تغيير تلك القرارات التي أدت إلى وضع (الخاسر) في الحياة، بحيث يصبح المسترشد في وضع (الكاسب) عندما يقلع عن وضعه القديم في الحياة، ليحل محله الوضع الصحي «أنا بخير — أنت بخير».

هذا وتتطلب عملية الإرشاد (العلاج):

- إعادة البناء (عن طريق توضيح وتحديد حدود الأنا من خلال عمليات مثل التقنية والتخلص من التشوش تشخيصياً).
- إعادة التنظيم (بإعادة توزيع

النشـاط النفسـي عـن طريـق التنشـيط المخطـط والانتقـائي لحالات معينة للأنا، من أجل إعادة سيطرة حالة الأنا الراشدة من خلال الضبط الاجتماعي).

كمـا تشـمل إعـادة التنظـيم أيضـاً، أقلمـة حالـة الأنـا الطفلية وتصحيح حالة الأنا الوالدية.

أمـا عـن خطـوات الإرشـاد أو العـلاج فهـي: التحليـل البنـائي – تحليـل التعـاملات – تحليـل المسـليات والألعـاب – تحليـل المخططـات (السـكريبتات) – تحليل العلاقات.

ويتم الإرشاد بـ:

- تعرف، وتحديد، وتسمية أصول السلوك في صورة حالات الأنا أو مدى تشوشها، وإزالة هذا التشوش عن طريق التحليل البنائي.
- تعرف، وتحديد، وتسمية التحويلات، والمسليات، والمخططات عن طريق تحليل التعاملات، وذلك من خلال التعلم، الذي ينطوي على التمييز بين استجابات كل حالة من حالات الأنا الوالدية والراشدة والطفلية، بالإضافة إلى تعليم المسترشد مفاهيم النظرية في المقابلات الأولى.

ويتشارك المعالج والمتعالج (المرشد والمسترشد) في صياغة العقد العلاجي (الإرشادي) وحتى في خطة العلاج التي تهدف إلى استقلالية المتعالج (المسترشد) كما أشرنا.

وللمعالج النفسي الفعّال في نظرية TA صفات يجب أن يتحلى بها من هذه الصفات:

- احترام الذات والآخرين.
- الإيمان بالمسؤولية الشخصية والاستقلالية.
- التواضع الحقيقي (وليس المزيف) والموثوقية (كمعالج) في مناقشة متطلبات المجموعة العلاجية.
- القدرة على استخدام الحواس الخمس في التشخيص، وتخطيط خطة العلاج (مهارات الملاحظة، إدراك الظواهر بشكل موضوعي، القدرة على تحليل التعامل... الخ).
- القدرة على فصل المعتقدات الفكرية الخاصة للمتعالج (ذات الصلة بهويته الثقافية أو العرقية أو الاجتماعية).. بمعنى آخر الموضوعية.
- القدرة على التوحيد بين الجانب النظري والتطبيقي للنظرية.
- القدرة على التأمل الذاتي.

ومن المهم هنا التنويه إلى أن جماعة TA لا يفضلون في أثناء التشخيص أو العلاج، استخدام مصطلحات تُفشل تحقيق الاتصال مثل: (انفصام مزيف، اعتماد سلبي، قلق عصابي... الخ) لأن مثل هذه التشخيصات لن تفيد المتعالج في شيء، سوى توقع طول فترة العلاج، أو صدمة وصحة المرضى.

ويوافق «كارل مينجر» على ذلك قائلاً: «لا يأتي المرضى إلينا لكي يدفعوا

بصحة المرض، ولكنهم يأتون ليتلقوا المساعدة، ويستطيع الناس أن يشفوا من أعراض المرض العقلي، ولكنهم لا يشفون من صدمة وصفهم بهذه الصفة».(توماس، ١٩٩٢)

أما عن التقنيات التي يمكن أن يستخدمها جماعة TA لتسهيل التغيير العلاجي، فقد عرف «Bern» ثمانية تقنيات مستخدمة هي:

التساؤل – التمديد – المواجهة – التفسير – التصوير – التأكيد – التأويل – البلورة، بالإضافة إلى تقنية تحليل النكوص.

وعلى الرغم من وجود نوعين من العلاج (الفردي والجماعي) إلا أن العلاج أكثر استخداماً وفعالية، ليس فقط، من الناحية الاقتصادية (أقل كلفة، متاح لأكبر عدد من الأفراد)، وإنما لاعتبار آخر هو، أن تحليل المعاملات في المجموعات ييسر على أي عضو فيها التعرف على الطرق المتعددة والخفية التي يكتشف بها كل فرد حالات الأنا لديه، وخصائص كل من (الطفل والراشد والوالد) لدى الآخرين أيضاً.

إن هذا الوسط الطبيعي (الجماعي) يسهم في التحرك السريع لأعضاء المجموعة نحو الشفاء.

أما عن مبدأ العلاج فيكون في تحرير الراشد (كل عضو بالمجموعة) من التأثيرات الضاغطة، ومطالب (الوالد) و(الطفل). ويتحقق ذلك بتعليم كل عضو بالمجموعة، كيف يعرف ويحدد ويصف (الوالد)، و(الراشد)، و(الطفل) كما يبدو كل منهم له من خلال المعاملات داخل المجموعة. وحيث إن السمة الأساسية للمجموعة تتركز في التعليم والتعلم والتحليل، فإن فاعلية المحلل النفسي تقوم على حماسه وقدرته كمعلم واستعداده لمجاراة كل اتصال أو إشارة

صادرة عن المجموعة، سواء كانت لفظية أم بطرائق أخرى.

وعند تنظيم المجموعة يمكن أن يظهر الوالد بأشكال مثل (هز إصبع السبابة، رفع الحاجب، زم الشفتين، أو بعض العبارات مثل ألا توافق، كل شخص يعرف أن... سأعرف الحقيقة ولن تستطيع خداعي... الخ).

ويظهر **الطفل** بوسائل يسهل التعرف عليها مثل (البكاء، الضحك، الحياء، قضم الأظافر، العض، الانسحاب، التكشير...) بالإضافة إلى مجموعة ألعاب (الطفل) مثل (أنا مسكين) (عدنا لهذا من جديد).

ويساند أعضاء المجموعة إحساس (الطفل) بأنه ليس على ما يرام، الكامن في زميلهم، ونادراً ما يعمدون إلى تقريعه مثلما يفعل (الوالد). ويمكن للمعالج أن يقوم بتمهيد تشجيعي مثل أستطيع رؤية طفل مختار، فما سبب ذلك؟ أو هل تستطيع أن تذكر لي ما الذي استثار (طفلك)؟..

بهذه الطريقة يبدأ المرضى أو (أفراد المجموعة) سريعاً في استكمال المعلومات الخاصة (بالوالد) و(الراشد) و(الطفل) — في كل منهم — من خلال العديد من المعاملات، وهذا هو تقييم المجموعة، ليس بالنسبة للمعلومات المدفونة لديهم (طويلاً)، ولكن بالنسبة للبيانات التي تتكشف أمام أعينهم، هنا والآن، في المعاملات التي يدخل فيها كل منهم.

وتشمل مجموعة العلاج وفق TA كافة مستويات التشخيص، الأمر الذي يسمح لأعضاء المجموعة بالتعاون والانفتاح والاستفادة من خبراتهم المختلفة.

وتمثل معرفة وجود وضعية (ليس على ما يرام) لدى طفل الفرد أول وأهم الخطوات في معرفة أساس السلوك، وهذا يبين بداية التقييم الموضوعي لبناء شخصية الفرد. إن فهم هذا أكاديمياً شيء، أما الشيء الآخر، فهو التعرف على

هذه الحقيقة في الفرد. إن (الطفل) الذي ليس على ما يرام قد يصبح فكرة طريفة ومثيرة في عين المريض الذي يتباهى بأن (طفله) الذي ليس على ما يرام – حقيقة واقعة.(هاريس، ٩٢)

وغالباً ما يتصل مضمون معاملات المجموعة بمشاكل الأعضاء في الحاضر. إذ تدور النقاشات حول ما حدث بالأمس أو منذ أسابيع، لا حول ما حدث منذ زمن طويل. ويتعلم الأعضاء كيف يتعرفون على (والدهم)، و(راشدهم) و(طفلهم) عند ظهورهم في معاملات الحاضر، وخاصة المعاملات التي تحدث في نطاق المجموعة نفسها.

وهكذا يمكن للتغيير (من خلال العلاج التعاملي) أن يحتل مكاناً هاماً في العلاقة التفاعلية بين الوكيل والمعالج، بحيث يتمكن الوكيل، أن يجعل لتجارب ماضيه معنى، ويدمجها في حالة الأنا /الراشد/ المتطورة خلال العلاج، الأمر الذي يسمح بتطور شخص مرن واستقلالي، ويستطيع أن يكون فعالاً ومرتبطاً بعالمه.(Tudor & hobbes, 99)

وهذا ويرى كل من «Tudor & hobbes» أن عملية التغيير هذه تتضمن عمليات متداخلة تنطوي على:

- بناء اتحاد تعاملي، حيث الاهتمام بأسس العلاقة العلاجية بما فيها العقد المشترك بين المعالج والوكيل حول أهداف ومهمات العلاج.

- إعادة بناء الشخصية، والذي يظهر من خلال تطوير الوكيل لإدراكه الخاص (بفهم تجاربه واستجاباته الخاصة وحالات الأنا لديه) من جهة وإدراكه المتعلق بتطوير ألعابه وسيناريوهاته، من جهة أخرى.

- إعادة التنظيم والتي تظهر من خلال دمج مكونات حالة الأنا (للطفل

والوالد) مع حالة الأنا (للراشد) لدى أعضاء المجموعة.

ولتحقيق هذه العمليات يستخدم المحللون التعامليون تقنيات متعددة[*] منها ما هو خاص بـ TA كتقنية تطهير وتقوية حالة الأنا عند الراشد الملوث من الطفل أو الوالد، أو تقنية الراكيت (الصواريخ) وغيرها مما تم ذكره هنا.

والنوع الآخر من هذه التقنيات مستعار من مدارس أخرى (كالكرسي الفارغ، إغلاق خطوط الهرب... وغيرها).

وفي الختام نؤكد على أن ما تم عرضه عن إسهام هذه النظرية في العلاج (بشكل مختصر) لا يكفي لتزويد القارئ، أو المتخصص بمعلومات كافية عن استراتيجيات العلاج ومفاتيحه وتقنياته، فهذا ليس هدفنا، وإنما المهم هو عرض هذه المعلومات بنفس السياق الذي تم عرضه في نظريات أخرى. ونتمنى أن يكون هذا مفيداً.

---

[*] لمزيد من التفاصيل يمكن العودة إلى Stewort, Joine.

خلاصة:

❖ يُعتبر «أريك بيرن» المؤسس الفعلي للتحليل التعاملي. وقد تأثر بالاتجاه التحليلي التقليدي، والاتجاه التحليلي الاجتماعي، واستفاد من العمل المهني مستخدماً التحليل التعاملي كأسلوب جديد للعلاج النفسي إضافة لذلك فقد استخدم التجريب والملاحظة أساساً لعمله التحليلي الجديد. أما لمنطلقاته الفلسفية لنظريته فتعكس تأثره بالمدرسة الفينومينولوجية والوجودية والإنسانية.

❖ تحدث في منطلقاته النظرية عن صورة الإنسان، والوجود الإنساني، ومستويات حالة الأنا ووظائفها، إضافة إلى مفهوم الصحة النفسية والشذوذ النفسي. وأدخل مصطلحات ومفردات جديدة بسطت تصور العلاقات الإنسانية مثل الدفعات المعنوية، ومضمنيات الحياة، والسكريبت وكانت بمثابة منطلقات أخرى للنظرية.

❖ تفترض هذه النظرية أن كل إنسان يمتلك على المستوى البنيوي والوظيفي ثلاثة مستويات للأنا، تصنف فيها المعلومات الواردة تحت ثلاثة ملفات محفوظة باسم حالة الطفل، وحالة الراشد، وحالة الوالد، تسيطر على السلوك الفردي في أثناء عمليات التواصل الاجتماعي، بحيث تظهر مخرجات كل حالة (وفق ما تم تسجيله في المخ في أثناء عملية النمو) للتعبير عن الحالة الأقوى (التي هي من مكونات الشخصية) والتي تظهر من خلال تفاعل الشخص بالمواقف المحيطة.

❖ إن التفاعل بين الدفعات المعنوية (الحريرات النفسية) أو الإيجابية أو السلبية منها، وشروط الاستخدام الجيد أو السيء لحالة الأنا، ووضعيات الحياة الأربعة، يشكل في النهاية رسائل حياتية، هي بدورها تشكل أساساً للسكريبت الذي هو مصدر الطاقة الفعالة في أثناء التعامل.

❖ استُخدم تحليل التعامل كأسلوب حديث للعلاج النفسي الفردي والجماعي، بالإضافة إلى الاعتماد على الألعاب وتدريس نموذج (الوالد، الراشد، الطفل) لمجموعات العلاج أو الدارسين كبداية لفهم الاضطرابات، ووصولاً إلى السلوك الطبيعية للإنسان الطبيعي.

❖ حُددت صفات المعالج الفعال وأهم التقنيات المستخدمة في تحليل التعامل.

الباب السابع

على ضوء القاعدة التي تقول: ليس هناك نظرية صحيحة وأخرى خاطئة بل ثمة نظرية مثمرة وأخرى عقيمة. ما هي أوجه التشابه والاختلاف بين هذه النظريات؟.. وإلى أي حد أسهمت كل نظرية في رفد علم النفس، بالدراسات العلمية وتزويد المختصين بالإرشاد والعلاج النفسي بأسس علمية وفنيات تطبيقية لممارسة مهنتهم.

هذا ما ننشده من هذا الباب.

Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الفصل السادس عشر

أوجه التشابه والاختلاف

أهداف الفصل وكلماته المفتاحية:

أن يعرف الدارس:

- إجراء بعض المقارنات بين نظريات الشخصية التي عُرضت في هذا الكتاب فيما يتعلق ببعض القضايا العلمية والفلسفية والأدبية التي تناولها صاحب النظرية من حيث:
  - طبيعة الإنسان
  - ديناميات الشخصية
  - التركيب البنائي للشخصية
  - نمو الشخصية
- اقتراح وجهة نظر مستقبلية عن الشخصية على ضوء ثقافتنا.

Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

وتركز على التجارب والملاحظات المتأنية والدقيقة. يظهر ذلك في تأكيد «دولارد» و«ميلر» على البحوث التجريبية، في محاولاتهما لمزج مفاهيم النظرية التحليلية النفسية مع المفاهيم الأخرى في المدرسة السلوكية. ويستمر التأكيد على انتهاج الأساليب العلمية في البحث عند «سكنر» و«باندورا» و«روتر»...

وتُظهر نظرية السمات أيضاً التزاماً عميقاً بالمناهج العلمية والشواهد الصادقة كما هو الحال عند «كاتل» و«ألبورت» وغيرهم. وإن ظهر على النظرية ككل، مظاهر التأثير الفلسفية والأدبية.

عدا عن أصحاب نظرية الشخصية الذين حاولوا استخدام الأسلوب التوافقي في الطرق العلمية، فقد ميّز «روجرز» بدقة ووضوح بين الافتراضات الفلسفية وفرضياته العلمية، مؤكداً الحاجة إلى وجهة نظر متوازنة.

إذن، فالنظريات بصورة عامة مزيج من الأدب والفلسفة والعلم، **وإن تميزت أو تفوقت سمات أحد هذه الجوانب الثلاثة على غيرها في هذه النظرية أو تلك.** وقد يكون هذا الأمر من الأسباب التي دفعت لوضع نبذة عن حياة صاحب أي نظرية والخلفية العلمية والثقافية له عند بدء الحديث عن نظريته.

بعد هذا التوضيح، قد يكون من المفيد أن نستخلص المحاور الأساسية التي تناولتها هذه النظريات (وفق ما تم عرضه في فصول هذا الكتاب) وأوجه الاختلاف والاتفاق بينها تاركين للدارس أو المتخصص عملية التقويم على ضوء:

- رغبته في اختيار النظرية (أو النظريات) التي تبحث في موضوع يشغل باله وتساعده في الوصول إلى أهدافه.
- الكفاءة العلمية للنظرية وقدرتها على تنشيط البحث العلمي.
- الوصول إلى فهم أوسع للسلوك الإنساني.

أولاً- طبيعة الإنسان:

١- من حيث دوافع الخير والشر الفطرية التي يحملها بنو البشر:

	المتفاؤلون	المعتدلون	المتشائمون
أصحاب النظرية	روجرز، ماسلو، هورني، فردم، أدلر	يونغ، ألبورت، موراي، ماي، كاتل	فرويد
معتقداتهم	تفترض روجرز وهورني أن دوافع بني البشر الفطرية إيجابية، ولا تحتاج إلى تعديلها من خلال التسامي. فروم وماسلو، أدلر، على الرغم من الطبيعة الفطرية الإيجابية للبشر إلا أنها سريعة التأثر بالعوامل البيئية المرضية.	قد يسلك الناس بطريق الغي أو الرشد وقد يتصرفون بطريقة طيبة أو شريرة. وذلك نتابع من طبيعتهم الفطرية.	نظراً لسلبية الدوافع الفطرية لدى بني البشر عليهم التسامي برغباتهم إلى منافذ أقل إشباعاً، ولكنها أكثر قبولاً في المجتمع. يجب أن يحدث الصراع مع المجتمع وداخل الفرد

إن هذه الاختلافات النظرية، وصعوبة القياس الفعلي التجريبي لنوعية الطبيعة البشرية (خيرة أو شريرة)، أثرت على فروض ونتائج هذه النظريات.

وعلى الرغم من كل هذه الاختلافات، لم نستطع أن نشكل قاعدة بيانات مقنعة يمكن تعميمها حول الطبيعة البشرية. فما الذي يفسر الدوافع الغيرية وحب العطاء اللا متناهي عند بعض الناس، في الوقت الذي تستمر فيه الحروب

والجريمة والتجاوزات البشرية. قد يكون الاعتدال في الحكم على هذه الطبيعة أقرب للصواب وهذا ما سلكه من اتخذ موقفاً وسطاً في هذه القضية.

٢- ديناميات الطبيعة الإنسانية:

أ - خفض الدافع:

يعتقد «فرويد» و«كاتل» (علماً أنهما من مدرستين مختلفتين) أن الهدف الأساسي للسلوك هو خفض الدوافع المختلفة، واستبعاد التوترات المصاحبة لها، وتحقيق حالة من الإتزان الداخلي، بينما يعترض غيرهم، أمثال «ماسلو» و«ألبورت» على ذلك التأكيد المبالغ فيه ويرون أنه من الواجب تفسير سلوكنا في ضوء الأنشطة السارة المدعمة للتوتر، أو التي تزيده من مثل (حب الاستطلاع واكتساب مهارة مرغوبة شخصياً واجتماعياً، أو مستوى من الكفاءة، وزيادة فهم الفرد لنفسه أو للآخرين).

وعلى الرغم من تأييد وجهة النظر الثانية فإن «موراي» يؤكد على تحذيرين في هذا المجال:

- بعض السلوكيات التي تبدو في الواقع وكأنها مخفّضة للدوافع، يمكن تصميمها بشكل مبدئي لتحقيق (اللذة) المصاحبة (الطعام أو الجنس) أكثر من بعض حالات الأهداف البنائية التي لا يوجد فيها دوافع نشطة.

- بعض السلوكيات التي تبدو وكأنها دوافع تزيد التوتر، يمكن أن تثبت بالاختبار والتمحيص، أنها تنسجم مع قواعد اللذة – مثال (الشخص الذي يجد ويكدح دائماً، ليس بهدف الاستمتاع بمشاعر الكفاءة الذاتية، وإنما ليكتسب أموالاً إضافية)، تُستخدم في إشباع حاجاته الأساسية.

ب - حرية الفرد مقابل الحتمية:

يرى كل من «فرويد» وبعض السلوكيين مثل «دولارد» و«ميلر» أن سلوك الفرد حتمي ومحدد، وإن اختلفا في مسببات هذه الحتمية. فالفرد عن «فرويد» مدفوع بقوى داخلية لا يعيها، في حين يرى كل من «دولارد» و«ميلر» أن الفرد تشكل شخصيته، قوى داخل البيئة التي يعيش فيها.

ويختلف أصحاب النظريات أيضاً في مدى توظيف نظرياتهم لتهذيب ورعاية الحرية في الطبيعة الإنسانية أو ممارسة السيطرة عليها (استناداً إلى هذا التصور) مثال: ينشد السلوكيون تطوير تقنية، تستطيع التحكم في السلوك الإنساني وإصلاحه، بينما يحاول «روجرز» أن يزيد إحساس العميل بالحرية والمسؤولية.

ج - الدافعية اللاشعورية:

يتفق معظم المنظرين على أهمية الدوافع اللاشعورية، ويرون أن المعرفة الحقيقية للذات هدفاً، ليس بالسهل. ويمكننا أن نستنتج بوضوح، أن الجوانب الجوهرية المؤثرة في شخصياتنا يتم إخفاؤها بطريقة أو أخرى (تجاهل اختياري، كبت... الخ) ولا يمكن استدعاؤها إلى العقل، حتى لو رغب الفرد بذلك (واعياً).

وهكذا يمكن أن نخمّن أن الناس الأكثر صحة، ربما يكونون أقل تأثراً بالعمليات اللاشعورية (مع الاعتراف بوجود القلائل الذين يعون شخصياتهم تمام الوعي وبكل المواقف). ومن المحتمل أن مكونات الخبرة اللاشعورية، هي كل ما يدركه الفرد على أنه يتضمن تهديداً خطيراً لجوانب أساسية من شخصية أو أسلوب توافقه (فرويد، أدلر، هورني... الخ) أو التي تثير قلقاً شديداً (فرويد، هورني، ماي) أو التي تدرك بطريقة مشوهة (يونج، روجرز) أو التي تحدث في سن مبكرة جداً ويصعب تسميتها بطريقة صحيحة (دولارد وميلر، بيرن).

د - عدد الدوافع البشرية :

يختلف المنظرون كما رأينا حول عدد الدوافع البشرية وطبيعة هذه الدوافع. فبعضهم يركزون على دافع واحد أو اثنين من الدوافع المسيطرة، بينما يركز الآخرون على عدد كبير.

الذين يركزون على عدد قليل		الذين يركزون على عدد كبير	
فرويد	الجنس، العدوان	يونغ	الجوع، العطش، الجنس، الطموح، النوم، خفض القلق، الحنو على الذرية
أدلر	الكفاح من أجل التفوق، الاهتمام الاجتماعي	دولارد وميلر	الجوع، العطش، تجنب الألم، الدوافع المكتسبة مثل (القلق، الشعور بالذنب، القوة والحزم...الخ)
كيلي	توقع المستقبل	كاتل	الجوع، الزواج، الاجتماعية ومخالطة الآخرين، الحماية الأبوية، حب الاستطلاع، الأمن، تأكيد الذات، النرجسية، المشاكسة، الطمع، الراحة، الإبداع، احتقار الذات، الاشمئزاز، الضحك
روجرز	الواقعية، الاهتمامات الإيجابية		
ماي	أن يعيش الفرد في العالم الذي ولد فيه		

أما «ألبورت» فهو الأكثر تطرفاً والذي يرى أن الدوافع البشرية فريدة في نوعها في كل فرد، وهي كثيرة جداً.

أما من لم يضع قائمة بالدوافع من المنظرين، فهو لا يشك بأن وجود الدوافع من الأمور البديهية عند الإنسان. ولكن الاختلاف يكمن حول الدوافع

الرئيسية المحركة للسلوك الإنساني. وقوة هذه الدوافع، والظروف التي تعمل في ظلها.

ثانياً- ١- التركيب البنائي للشخصية:

كما لاحظنا عند استعراض فصول الكتاب، سعى بعض المنظرين لوصف الجوانب المعقدة والمتناقضة للشخصية، من خلال تقديم مكونات بنائية مناسبة، في حين لم يرَ بعضهم الآخر ذلك ضرورياً، بل وجدوا أن مثل هذه المكونات خادعة ومضللة. وكذلك الأمر بالنسبة للصراعات النفسية فمنهم من أعطاها أهمية ومنهم من أهملها. ويمكن تقسيم المنظرين وفق الاهتمام بالتركيب البنائي والصراعات إلى ٤ مجموعات.[٥]

- **التركيب البنائي + الصراعات النفسية الداخلية مهمة.**

استخدم «فرويد» (الهو – الأنا – الأنا الأعلى) وهي أفضل طريقة لوصف الصراعات الداخلية.

استخدم «موراي» مثل هذه المكونات ولكنه عرفها بطريقة مختلفة تنطوي على أن الناس يمتلكون كل غرائز الخير والشر على حد سواء.

أما «يونغ» فقد استخدم عند شرحه للصراعات الداخلية مكونات مثل الذات، الظل، القناع، الاتجاهات، الوظائف.

بينما ركز «روجرز» على الذات معتبراً إياها أنسب تركيب بنائي لتفسير

---

[٥] سيتم ذكر أسماء أصحاب نظريات الشخصية التي تم استعراضها فقط في فصول هذا الكتاب.

الصراعات الداخلية للنفس البشرية. واستخدم «كاتل» مفهوم السمات المصدرية لتوضيح المؤشرات التي يمكن من خلالها قياس صراعاتنا الداخلية كمياً.

- **الصراعات النفسية الداخلية مهمة في حين أن التركيبات البنائية غير مهمة.**

يحذر كل من «كارين هورني» و«ماسلو» و«ماي» و«دولارد» و«ميلر»، من الاستخدام المستمر لمثل هذه المكونات الافتراضية (والذي ربما يؤدي إلى اعتقاد، بأن الهو والأنا والأنا الأعلى مخبأة في مكان ما من الشخصية. ولكنهم يولون اهتماماً كبيراً للصراعات الداخلية في النفس البشرية.

قد يكون في تسمية «بيرن» لحالات الأنا في الشخصية (الطفل، الوالد، الراشد) خروجاً من هذا الحصار الذي أشار إليه التحليليون الجدد. وتسهيلاً لفهم هذه المصطلحات.

- **التركيبات البنائية مهمة، أما الصراعات الداخلية ليست مهمة.**

أمثال «ألبورت» و«كيلي» الذين أولوا اهتماماً باستخدام التركيبات البنائية وأهمية أقل لتلك الصراعات.

- **عدم الاهتمام بأي من التركيبات البنائية أو الصراعات الداخلية.**

أمثال «أدلر» و«باندورا» لاعتقادهم بأن النفس الإنسانية موحدة وغير مقسمة، وهي ليست في صراع مع نفسها.

٢ـ القلق وميكانزمات الدفاع.

لقد كان فهمنا للقلق من أهم إسهامات نظريات الشخصية. وعلى الرغم من تفاوت اهتمام علماء الشخصية بالقلق إلا أن أحداً لا ينكر أهمية فهمه ودوره في سلوك الفرد.

أما عن القلق وميكانزمات الدفاع الأولية كما وردت في نظرية «فرويد» فقد

أصبحت مقبولة ومتكررة في معظم نظريات الشخصية الأخرى مع بعض التغيير في المصطلح (لفظاً أو تفسيراً). وهي تفسر لنا بعض السلوكيات الخاصة بالناس في المواقف المختلفة. وعلى الرغم من أن الأسوياء أقل استخداماً لميكانزمات الدفاع، إلا أن معظم الناس لا يشكون في أنهم استخدموا معظمها، أو كلها في وقت ما من حياتهم. وهذا إسهام آخر قدمته لنا نظريات الشخصية.

ثالثاً- نمو الشخصية:

لم يكن هناك تحديد واضح ولا حتى اتفاق من قبل أصحاب نظريات الشخصية حول مراحل النمو. (وإذا كان «فرويد» قد حدد خمس مراحل للنمو، يُفترض اكتمال نمو الشخصية فعلياً من خلالها قبل الخامسة، وكان «سوليفان» قد افترض سبع مراحل تمتد من المهد إلى الرشد، وحدد «أريكسون» ثمان مراحل تمتد من المهد حتى الشيخوخة) فهذه الأفكار حول النمو قُبلت بشكل عام، ولا توجد مجموعة محددة من المراحل كانت قد اتفقت عليها هذه النظريات واعتبرتها صحيحة تماماً. إلا أن معظم المنظرين يرون أن نمو الشخصية مستمر خلال الطفولة والمراهقة وحتى الرشد. والسؤال الذي يطرح نفسه: أليس من الصعب (ليس مستحيلاً) تغيير شخصية فرد متقدم في السن يفتقد إلى الحساسية النفسية أو الاجتماعية؟

على الرغم من عدم اتفاق المنظرين على هذه المراحل، إلا أنهم يتفقون جميعاً على أن تعاقب الأحداث خلال مرحلتي المهد والطفولة المبكرة يعتبر محدداً في غاية الأهمية بالنسبة للشخصية (مع أنه ليس المحدد الوحيد).

فمن الإسهامات الرئيسية الأخرى التي قدمتها نظريات الشخصية، تعرف أثر أساليب التنشئة الأسرية على شخصية الفرد ودور التعلم والعادة والتقليد في

تكوين الاتجاهات العصابية أو السوية لدى الناس.

وقد يكون «ألبورت» الوحيد الذي لم يعطِ أهمية تُذكر لأحداث المهد والطفولة المبكرة في شخصية الفرد. أما «فرويد» و«هورني» و«مورفي» و«أدلر» و«موراي» و«روجرز» و«دولارد» و«ميلر» و«بيرن» فقد أكدوا على هذه الأهمية (بينما أكد «ليفين» على دور الخبرات المعاصرة).

- وعن أهمية التعزيز كمعزز للسلوك فقد تراوحت النظرة بين إعطائه أهمية رئيسية أو إخضاعه لمبادئ أخرى..

فقد أكد «فرويد» على (مبدأ اللذة)، و«مورفي» على (التقنية) و«دولارد» و«ميلر» على (التعزيز)، وتقبّل كل من «كاتل» و«موراي» قانون الأثر كشرط للتعلم ولكن بتحفظات معنية.

أما «روجرز» و«ليفين» و«ألبورت» فلم يهتموا كثيراً بدور الثواب.

وعن الاهتمام بتفصيلات عملية التعلم، فقد تراوح بين الاهتمام الكامل (دولارد وميلر) وعدم الاهتمام (روجرز ويونغ). أما (ألبورت وكاتل) فكانت أفكارهما توفيقية لغيرهم من المنظرين في مجال التعلم.

أما بالنسبة للاهتمام بنتاج التعلم (مكتسبات الشخصية) لإبراز بناء الشخصية فقد كان واضحاً عند (ألبورت، كاتل، فرويد، يونغ، موراي، شيلدون، بيرن... الخ) وصاحب النظرية الجيدة في الشخصية عليه أن يتناول عملية التعلم ونواتجها معاً.

ولكن الكل اهتموا بالنظر إلى الارتقاء في ضوء أسس شاملة (كالنضج، والتفرد، والتعيين، وتحقيق الذات) أكثر من الاهتمام بتفصيلات عملية التعلم (كما عمل دولارد وميلر).

- كل المنظرين أولوا أهمية للموقف الذي يحصل فيه السلوك.

- استُخدم مفهوم الذات في معظم النظريات باعتباره عنصراً مركزياً فكل من (أدلر، ألبورت، فرويد، يونغ، مورفي، موراي) استخدم هذا المفهوم بطريقةٍ أو بأخرى (الأنا أو الذات) ولم يقتصر على نظرية الذات (روجرز). إلا أن (دولارد وميلر وشيلدون) لم يوليه أي اهتمام.

- معظم النظريات أكدت على الكلية في فهم السلوك فقد وجد (ألبورت، وموراي، وروجرز، وشيلدون) أنه لا يمكن فهم عنصر من السلوك بمعزل عن بقية الشخص الفعال، بما في ذلك بنائه الجسدي. بينما شكك «دولارد» في أهمية دراسة الفرد الكلي. وأبرز «ليفين» و«مورفي» أهمية المجال وحللوه على أساس مجموعة من المتغيرات.

- أما عن الاهتمام بالسياق الاجتماعي الحضاري، فقد سادت عضوية الجماعة في النظريات التي تأثرت بعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا (دولارد وميلر، موراي، أدلر، هورني، ليفين).

وظهر واضحاً أيضاً المزج بين المفاهيم السيكولوجية وبين نتائج ومفاهيم العلوم البيولوجية عند (ألبورت، فرويد، يونغ، مورفي، هورني، بيرن).

وهناك معايير أخرى يمكن في ضوئها المقارنة بين نظريات الشخصية مثل مفهوم الصحة النفسية، وفاعلية الطرائق العلاجية وغيرها، وهي متروكة للمتخصص، الذي يُعنى بالاهتمام بنظرية دون سواها، أو بأكثر من نظرية ليؤسس عليها برنامجه الإرشادي أو (العلاجي) وتقنياته التي يمكن أن يستخدمها في الإرشاد أو العلاج.

وهكذا بعد هذا العرض البانورامي لمختلف النظريات قد لا نجد نظرية كاملة

متكاملة تكشف وتحل هذا اللغز المحير (الإنسان).

وأي نظرية مستقبلية في الشخصية سوف تبنى على هذه النظريات، ولكنها لن تكون نسخة طبق الأصل من أي نظرية قائمة بالفعل. وأن أي مؤسس لنظرية في الشخصية مستقبلاً عليه أن يضمن نظريته الإجابة عن الاستفسارات التالية:

- ما هي الطبيعة الاجتماعية للإنسان؟
- ما الذي يجعل كل إنسان كائناً متفرداً بذاته؟
- كيف تنمو الشخصية عبر مراحل العمر المتعاقبة؟
- ما هي الدوافع التي تحرك الشخصية؟
- كيف يتعرف الإنسان على ذاته وعلى البيئة التي يحيا بها؟
- ما هي خصائص الشخص المتمتع بالصحة النفسية، أو الذي يبتعد عنها؟
- كيف نفسر الفروق الفردية بين الناس في التوافق والكفاءة الشخصية؟
- ما الذي يمكن أن تسهم به النظرية في مجال العلاج أو الإرشاد أو التربية أو البحث العلمي؟

إن الإجابة على هذه التساؤلات ليس بالأمر السهل... وإن التعبير النهائي أو المطلق للشخصية لا يوجد في مفاهيم العلم أو الفلسفة فحسب، بل نجده ظاهراً في أدب الحياة.

مقارنة بين أبعاد نظريات الشخصية

أبعاد النظرية / اسم العالم	غرضية السلوك	المحددات اللاشعورية	الثواب ومكتسبات الشخصية	عملية التعلم	بناء الشخصية	الوراثة كمحدد للسلوك	التفرد	مفهوم الذات	تعدد الدوافع	التأكيد على دعائم من علوم أخرى
فرويد	√	√	=	•	√	√	=	=	=	=البيولوجية
يونغ	√	√	=	•	√	√	=	=	=	√اجتماعية
أدلر	√	=	•	•	=	√	√	√	•	√اجتماعية وبيولوجية
هورني	√	√	=	=	=	•	=	√	=	√اجتماعية
موراي	√	√	=	•	√	=	=	=	√	√اجتماعية وبيولوجية
شيلدون	•	=	•	•	√	√	√	•	•	√اجتماعية
كاتل	=	=	√	√	√	√	=	=	√	√اجتماعية
ألبورت	√	•	•	=	√	=	√	√	√	√اجتماعية
دولارد وميللر	•	=	√	√	•	•	•	•	=	√اجتماعية وبيولوجية
كيلي	=المستقبل محرك السلوك	•	=	√	•	•	√	•	•	•

أبعاد النظرية / اسم العالم	غرضية السلوك	المحددات اللاشعورية	الثواب ومكتسبات الشخصية	عملية التعلم	بناء الشخصية	الوراثة كمحدد للسلوك	التفرد	مفهوم الذات	تعدد الدوافع	التأكيد على دعائم من علوم أخرى
باندورا	=الحتمية التبادلية	•	√	√	•	•	•	=الفاعلية الذاتية	•	√اجتماعية
ليفين	√	•	=	=	•	•	√	=	√	√ بيولوجية
مورفي	√	•	√	√	√	√	=	=	√	√بيولوجية اجتماعية
رولومي	√	=	•	•	•	•	•	√	=	•
روجرز	√	•	•	=	•	•	•	√	•	√الظاهراتية
ماسلو	√	•	•	=	•	•	•	√	√	•
بيرن	√	=	=	=	√	•	•	√	•	√اجتماعية

√ : دلالة التقدير العالي للبعد

= تقدير متوسط البعد

• تقدير منخفض للبعد أو لم يأخذ بالحسبان

خلاصة:

- يمكن مقارنة نظريات الشخصية فيما يتعلق بتركيزها على الفلسفة والعلم والأدب.
- كما يمكن مقارنتها على ضوء موقفها من القضايا الفلسفية الأساسية مثل الحرية مقابل الحتمية، التكوينية مقابل الموقفية، التفرد مقابل الشمولية، التفاؤلية مقابل التشاؤمية.
- ويمكن مقارنتها على ضوء المنهجية العلمية المتبعة.
- وعلى ضوء الإسهامات التطبيقية للنظرية.

جامعة دمشق Damascus University

الباب الثامن

إذا كانت هذه التفسيرات لسلوك الإنسان من الإنسان نفسه متمثلة (بعلماء استعانوا بعلومهم وتجاربهم العلمية والإكلينيكية، وخبراتهم في الحياة) ولم تأت نظرية شاملة وكاملة تفسر هذا السلوك بكل تناقضاته وجوانبه.

فما الذي سنجده لو عدنا إلى القرآن الكريم لنتلمس ما جاء به خالق الإنسان من سور وآيات حول هذا الإنسان...

من هنا أتت فكرة الفصل الأخير.

Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الفصل السابع عشر

ملامح نظرية حول الشخصية في القرآن

في الوقت التي تسعى إليه مناهج التربية على اختلاف زمانها ومكانها إلى إعداد المواطن الصالح، فإن الإسلام قد سعى إلى إعداد الإنسان الصالح بمعناه الشامل (الإنسان الأتقى) الذي يتبع منهج الله في سلوكه، ويرتقي إلى الدرجة التي تؤهله لخلافة الأرض وإعمارها ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(البقرة، الآية: ٣٠)، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾(النور، الآية: ٥٥)، وتحمل أمانة التكليف بكل مقوماته، لأنه المختص بالعلم والبيان والعقل والتمييز.

قام الإسلام بذلك مكملاً ما بدأت به الديانات السماوية الأخرى التي دعت إلى التوحيد الذي بعث به الله تعالى جميع الرسل إلى قومهم ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾(الأنبياء، الآية: ٢٥) ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾(المائدة، الآية: ٧٢) ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾(العنكبوت، الآية: ١٦). وقد لا يجد المتتبع للقرآن الكريم

نظرية نفسية خالصة تسمى نظرية الشخصية في الإسلام. ولكن كل ما ورد في القرآن من آيات كونية، وطرائق التفكر بها، ثم ما جاء في سنة النبي محمد ﷺ، وما أفاض به التشريع الإسلامي، وما استنبطه العلماء المسلمون، وضّح الكثير عن مكونات النفس الإنسانية في استوائها وانحرافها، في صحتها ومرضها، وعن أحوال النفس في اتصالها بالله خالق الإنسان في أحسن تقويم وانقطاعها عنه.

فما هو معنى الإنسان؟ وما هي بنيته التكوينية؟ وما هي خصائصه؟ ما هي طبيعته وما هي محددات شخصيته وكيف تنمو؟ وما هي الدوافع المحركة لها، ولماذا يختلف الأفراد في توافقهم وقدراتهم الشخصية؟ وما هي طبيعة الحياة الاجتماعية للإنسان؟ وما الذي يمكن أن تضيفه هذه الأفكار إلى النظريات الأخرى في مجال العلاج والإرشاد والتربية... هذه التساؤلات التي أوردناها في فصل المقارنة بين النظريات والتي هي ضرورية للوصول إلى نظرية متكاملة حول الشخصية، سنحاول الإجابة على بعضها في هذا الفصل معتمدين بالدرجة الأولى على الأدلة من القرآن الكريم، وعلى آراء العلماء في هذا المجال.

وللإجابة على هذه الأسئلة، ومحاولة تلمس ملامح نظرية للشخصية في القرآن، سيتم الارتكاز إلى بعض المنطلقات الأساسية التالية في النظر إلى الإنسان (كما عملنا في فصول أخرى):

١ - خُلق الإنسان في أحسن تقويم ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين، الآية: ٤).

٢ - وحدة المنشأ والمشاعر الإنسانية المتكاملة ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ (الأنعام، الآية: ٩٨).

٣ - الإنسان أهل للكمال والنقص بما فطر عليه من استعداد لكل منهما.

٤ - المسؤولية عن العمل فرداً وجماعة ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (النحل، الآية: ١١١)، وانتفاء مسؤولية الإنسان عن عمل غيره ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (الأنعام، الآية: ١٦٤).

٥ - عمل الإنسان مشروط بما كلف به وحسبما يمتلك من طاقات ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (المؤمنون، الآية: ٦٢).

٦ - الصراع ضرورة بشرية لإيجاد التوازن.

٧ - إعداد الإنسان الصالح (الأتقى) الذي يتبع منهج الله، ويفي بشروط الخلافة.

أولاً- فما هو الإنسان وما هي مكوناته وخصائصه:

الدلالة اللغوية للفظ الإنسان والألفاظ الأخرى ذات الصلة.

ورد في القرآن الكريم لفظ بشر (اسم جنس) في خمسة وثلاثين آية، للدلالة على أن البشرية هي الآدمية التي تقوم بكل ما يقوم به بني البشر من أعمال منها [٢٥ آية] في بشرية الرسل والأنبياء.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف، الآية: ١١٠).

وتكرر لفظ الناس في النص القرآني [٢٤٠] مرة للدلالة على اسم الجنس للسلالة الآدمية ومنها:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجرات، الآية: ١٣)

أما لفظ الأنس فيأتي مع الجن على وجه التقابل. حيث ترد الأنسية بمعنى عدم التوحش وهو المفهوم صراحة من مقابلتها «بالجن» في دلالتها أصلاً على الخفاء، الذي هو قرين التوحش ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات، الآية: ٥٦).

ويتميز الجنس البشري بهذه الأنسية عن أجناس أخرى خفية مجهولة لا تنتمي إلينا ولا تحيا حياتنا ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ (الرحمن، الآية: ١٤-١٥).

وعليه فإنسانية الإنسان لا تأتي من مجرد انتمائه إلى جنس الأنس، وليس لأنه بشر يقوم بأعماله ليتمكن من الاستمرار والبقاء، وإنما هي ارتقاء إلى الدرجة التي تؤهله للخلافة في الأرض، وتحمّل الأمانة ومشقات التكليف، لأنه المختص بالعلم والبيان والعقل مع ما يخالط ذلك كله من:

- تعرضه للابتلاء بالخير والشر ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (البقرة، الآية: ١٥٥).
- فتنة الغرور بطاقته وقوته.
- شعوره بمكانته بتكريمه وتمييزه عن بقية الكائنات ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء، الآية: ٧٠).

هذا الإنسان مكون من نفس هي ذاته، وجسم هو وعاؤه، وروح هي قوته المحركة.(النابلسي، ٢٠٠٥) وفيه قلب يدل على العنصر الواعي والعاطفي في الإنسان ويشير إلى تقلب النفس، وفيه عقل يوجه السلوك، تتكامل وتتسق هذه المكونات لتكون بنية الشخص. فما هي الدلالات اللفظية لهذه المكونات.

١ - ورد **مفهوم النفس في القرآن الكريم** بدلالات عدة، أولها الدلالة على الذات الإنسانية في قوله تعالى:

﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ (البقرة، الآية: ٤٨)

﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة، الآية: ٢٣٣)

- وللدلالة على أشخاص محددين كالأنبياء مثل قوله تعالى:

﴿فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ﴾ (الكهف، الآية: ٦)

﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾ (يوسف، الآية: ٢٦)

- كما استخدمت للدلالة على مكونات الإنسان وجوهره كما في قوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَـٰلِحِينَ﴾ (الإسراء، الآية: ٢٥)

- كما دلت أحياناً على الأصل الواحد للبشرية كقوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ (النساء، الآية: ١) ووردت بمعنى الروح.

﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (الفجر، الآية: ٢٧ -٢٨).

٢ - **مفهوم الروح**: ورد في [٢٢] آية للدلالة على:

- إفاضة الحياة من الله على الإنسان كما في قوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ﴾ (الحجر، الآية: ٢٩).

• مضافة إلى الله وسر من أسراره، مثل قوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء، الآية: ٨٥).

• للدلالة على خلق عيسى عليه السلام في قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (مريم، الآية: ١٧).

• للدلالة على الوحي والملك الذي ينزل به مثل قوله: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ (غافر، الآية: ١٥).

وكل هذه الدلالات تشير إلى الطاقة التي تمد الإنسان بالحركة وهي مستمدة من روح الله.

٣ - **مفهوم القلب:** وردت لفظة القلب في القرآن الكريم في [١٣٢] آية تدور معانيها حول الجانب العاطفي في الإنسان. وفيه تتمركز العواطف السلبية مثل (النفاق، القسوة، الرعب، الوَجل، الغيظ، الريبة، الإنكار، اللهو، التشتت، الغفلة... الخ)، والإيجابية مثل (الإيمان، الاعتقاد، الإرادة بدرجة العزيمة، التقوى، الخشوع، الطمأنينة، الثبات على الحق، الشجاعة، الصدق، الوفاء، الطاعة) لدى الإنسان.

كما يدل القلب على موضع الفطرة السليمة وهذا ما ورد في قوله ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء: الآية: ٨٩).

ويشير القلب إلى العواطف النبيلة الطيبة أو المضادة المخالفة كما في قوله:

﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ (الحديد، الآية: ٢٧).

﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ (آل عمران، الآية: ١٥١).

هذا وقد يُستعمل الفؤاد في القرآن الكريم بمعنى القلب كما في قوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ﴾ (الأنعام، الآية: ١١٠).

٤ - **العقل:** وردت لفظة العقل على شكل فعل لا مصدر، في ٤٩ آية كلها تدل على التفكير عند الإنسان.

مثل ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ (البقرة، الآية: ٧٥).

وقد وصف القرآن الكريم العقل بأوصاف مختلفة منها اللب، النهى، الحلم، كما في الآيات التالية:

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (الرعد، الآية: ١٩).

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ (طه، الآية: ٥٤).

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ (الطور، الآية: ٣٢).

لقد استعرضنا الدلالات اللفظية لمكونات البناء النفسي للإنسان وتبين أن النفس من أوسع هذه المكونات، وهي تمثل الكل المكون من الجسد والروح، وهي ما يُطلق عليه في علم النفس المعاصر «الذات» Self أو «الأنا» Ego. (الطويل، ١٩٨٢)

وبما أن الجسد والروح متلازمان، فمن الضروري توضيح سمات الروح في اتصالها بالجسد.

والروح في العلوم النفسية تعني الروح المعنوية Spirit «وهي الحالة النفسية التي تدفع الفرد للإقدام أو الإحجام من أجل تحقيق أهدافه والوصول إلى حالة الرضا الذاتي.

وهي تختلف عن الروح في المفهوم الإسلامي (التي هي سر من أسرار الخالق، وأودعها مخلوقاته، وهي أساس الحياة والوجود).

والنفس في القرآن الكريم تمثل مجموع سمات الجسد والروح معاً، وتختلف

عن الجسد وعن الروح، لأن صفات الكل شيء وصفات الأجزاء المكون من هذا الكل شيء آخر.[٥]

وإذا عدنا إلى تقسيم فرويد للجهاز النفسي: اللاشعور – والشعور – والأنا العليا، فنجد ما يقابله في القرآن الكريم: النفس الأمارة بالسوء – النفس المطمئنة (تقابل الأنا العليا) – النفس اللوامة (تقابل الشعور).

إن دل هذا على شيء فإن القرآن الكريم وصف النفس الإنسانية بشمولية من حيث علاقة الجسد (الفاني) بالروح (الخالدة) من جانب، والعقل (المدرك الموجه للسلوك) والقلب من جانب آخر، وهذا ما أكده بعض علماء الغرب أمثال فيكتور هوجو، وكميل فلاماريون، وغوته. (عزت وآخرون، ١٩٥٠).

حيث أشارت دراسات فلاماريون التي تواصلت نصف قرن أن الروح توجد في صورة حقيقية منفصلة عن الجسد، وأن لها خصائص لم يكتشفها العلم بعد، وأنها تستمر بعد الجسم المادي. (المرجع السابق)

ثم إن العلاقة بين الجسد والروح تظهر في بعض الاضطرابات السيكوسوماتية (البدنية ذات المنشأ النفسي)، وهذا يؤكد أن أساس الذات الإنسانية هو الروح.

نخلص إلى أن بنية الإنسان في الإسلام تتكون من الجانب المادي (الجسد) والجانب النفسي (العقل والروح) كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا

[٥] هذا ما أشارت إليه نظرية الغشتالت فيما بعد حول مفهوم الكل والصفات المكونة له.

ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ (المؤمنون، الآية: ١٢ -١٤).

يتفاعل هذين المكونين ليشكلا وحدة متكاملة، تمثل الكيان الكلي للشخصية. فالمكون المادي يؤثر في المكون الروحي ويتأثر به، وكذا الحال بالنسبة إلى المكون الروحي. كما أكد الإسلام ضرورة الاعتدال والتوازن في إشباع كل من هذه المكونات، فمعظم العادات لا تتحقق إلا بالجهد الجسدي والنفسي معاً.

وبالروح والعقل والتفكر في آيات الخلق واستخدام القدرات البيانية والرمزية يفي الإنسان بشرط التكليف وإعمار الكون.

فما هي خصائص هذا الإنسان الذي سيؤدي هذه الأمانة الصعبة؟

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب: ٧٢).

خلق الإنسان في أحسن تقويم وهذا يشمل حسن الصورة الجسدية من جهة، وحسن القيام بالعمليات العقلية العليا (تذكر – ملاحظة، تفكير، ترميز، تساؤل) من جهة ثانية بما وهبه الله من عقل مدرك، وبما خصه من قدرة بيانية ورمزية ولغوية كما في قوله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ (الرحمن، الآية: ١ -٤)، وبميله الفطري إلى البحث المستمر عما يرضي حاجاته الجسدية والنفسية وينزعته التساؤلية..

ومع كل هذه المزايا التي حباها الله للإنسان لجسده وعقله، فقد وردت خصائص النفس الإنسانية في بعض الآيات القرآنية. هذه الخصائص شرحها د. محمد راتب النابلسي في كتابه «مقومات التكليف، ٢٠٠٥» ويراها نقاط ضعف إعجازية لحكمة إلهية تنطوي على ضمان سلامة الإنسان، إذا طبق أوامر الله بما يرضيه.

- **الإنسان هلوع:**

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ (المعارج، الآية: ١٩ -٢٢).

خلق الإنسان هلوعاً، وهذا من نقاط الضعف من أصل خلقه ليحمله على التوبة والطاعة والتقرب من الله.

- **الإنسان منوع:**

إن طبع الإنسان يقتضي إشباع الحاجات (المادية والنفسية) بما فيه النزعة أو الحاجة(الميل للتملك)[*] ولكن التكليف يتناقض مع هذا الطبع ويأمره بالإنفاق. ومن هنا، كان ثمن الجنة، تناقض الطبع مع التكليف.(النابلسي، ٢٠٠٥)

- **الإنسان عجول:**

كما ورد في قوله تعالى ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ (الإسراء، الآية: ١١) نظراً لأن طبع الإنسان يقتضي إشباع الحاجات، ولأنه فُطر على الوصول إلى ما

---

[*] قسم الإمام الغزالي العواطف الناجمة عن الانفعالات إلى:

- الغضب الذي يتولد عنه (الحقد والحسد، الحلم والرفق).
- حب التملك الذي يتولد عنه (البخل والطمع، الحرص والسخاء).
- حب الذات الذي يتولد عنه (حب الجاه، الرياء، الكبر).

والواضح أن هذه الانفعالات يتولد عنها عواطف إيجابية (حلم، رفق، سخاء) تكون من سمات القلوب السليمة، بينما توجد عواطف سلبية (رياء، كبر...) تكون من سمات القلوب المريضة. (لمزيد من المعلومات راجع إحياء علوم الدين، الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المجلد الأول، ١٩٨٣، بيروت، دار المعرفة).

يتناغم مع شهواته ونزعاته، ويريد ما هو محسوس وقريب منه، وينصرف عما هو بعيد المنال عنه وغيبي (الآخرة)، فكانت نقطة الضعف الإعجازية هذه ضرورة إلهية لقياس قدرة الإنسان على الاختيار بين دنيا فانية وآخرة خالدة.

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى، ٤ -٥].

- **الإنسان ضعيف:**

﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء، الآية: ٢٨]

خلق الله الإنسان ضعيفاً حفاظاً عليه من العصيان والميل إلى المعصية.

لننظر ما جاء في سورة العلق أول ما نزل من كتاب الله:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ۝ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ [العلق، الآية ١ -٨]. وقد يكون هذا الضعف الإعجازي، مصدر قوة للإنسان، من خلال توظيف الخبرات التي تعلمها في مواقف سابقة (تنطوي على معصية) والاستفادة منها لاحقاً.

في هذه السورة وفي مواضع أخرى كثيرة من القرآن الكريم توجيه كل لفظ وآية إلى الهداية والاعتبار، وتذكير الإنسان بضعفه وأصل خلقه، حتى لا ينمادى به الطغيان والغرور إلى حد الكفر بخالقه والوقوف منه (سبحانه) موقف خصيم مبين.

﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [النحل، الآية: ٤].

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [مريم، الآية: ٦٧]

ومن ضعف الإنسان أنه ينسى ربه في حال النعمة والقوة، ويذكر خالقه إذا مسه الضر.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ﴾ [يونس، الآية: ١٢]

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء، الآية: ٦٧]

ولكن هذا الإنسان ذو المتناقضات الإعجازية:

يختص بالعلم ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق، الآية: ٥]

ويختص بالبيان ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن، الآية ١ -٤]

ويمتلك وسائل التعقل والتبصر والتمييز بين الخير والشر ليحمل الأمانة ويحتمل تبعات التكليف ومسؤولية الثواب والعقاب.

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾ [النجم، الآية: ٣٩ -٤١]

كما أنه يحتمل هموم المكابدة واقتحام العقبات لتحقيق وجوده الإنساني وأداء مسؤوليته الاجتماعية ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ۝٤ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۝١٠ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ [البلد، الآية: ٤ -١٢].

كما أن الإنسان هو الذي يتعرض لتجربة الابتلاء ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن

نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان، الآية: ٢ -٣).

يقول د. النابلسي في كتابه «مقومات التكليف، ص١٢٢»:

«حينما نفهم أن أوامر الدين ضمان لسلامتنا، وليست حداً لحريتنا، نكون قد وصلنا إلى الحقيقة».

وإذا كانت هذه الخصائص الإنسانية التي حباها الله لبني البشر إعجازية للحفاظ عليهم، أدركنا سر التناقضات والصراعات التي تدور في خلد الإنسان.

طبيعة الإنسان، محدداته، نموه:

ينظر الإسلام إلى الإنسان على أنه يحب الخير، عقلاني، مكرم، سخر له الله تعالى ما في الكون لخدمته، لتمكينه من أداء رسالته في الحياة من عمارة وخلافة لتحقيق الغاية المرجوة من وجوده وهي عبادة الله سبحانه، كما في قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات، الآية: ٥٦).

وهو مخلوق على الفطرة القويمة، كما في قوله تعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٣٠).

بمعنى أن الإنسان مبرمج ومولف على حب الخير والعدل والرحمة والكمال، وأي مخالفة لهذه الفطرة القويمة توقع الإنسان في الاضطراب وسوء التوازن (هذا ما ورد عند بعض العلماء الإنسانيين والوجوديين الذين ورد ذكرهم في هذا الكتاب).

والنفس البشرية التي فطرها الله عز وجل متطابقة تطابقاً تاماً مع منهج الله،

لذلك فمن الطبيعي أن تكون الراحة النفسية، والسكينة، والسعادة هي النتيجة الحتمية لمن أطاع ربه، وانسجم مع فطرته.(النابلسي، ٢٠٠٥)

وعليه يمكن أن نقول أن الفطرة السليمة هي المقياس النفسي الضابط لسلوك الإنسان وصمام الأمان، والتي تساعده على التمييز بين طريق التقوى أو الانحراف ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ (الشمس، الآية: ٨).

الفطرة والصبغة:

فطر الله الناس جميعاً على حب الخير والرحمة والعدل وسائر القيم التي من شأنها أن تسمو بالإنسان للمكانة التي أهله الله لها، كما ساوى بينهم في هذه الفطرة.

ولكن أن يصبح الإنسان خيراً وعادلاً ورحيماً بسلوكه فهذا صبغة ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ (البقرة، الآية: ١٣٨).(النابلسي، ٢٠٠٥) فإذا كان الإنسان محباً للتعاون (فطرة) ويميل بسلوكه إلى التعاون في مختلف المواقف والأنشطة الاجتماعية (صبغة) تصبح هذه الصبغة سمة يتميز بها هذا الإنسان عمن سواه ويعرف بها، وهذا ما أتت به نظرية السمات التي تعرف الشخصية بعدد السمات المستقرة التي تكشف ميل الفرد إلى الاستجابة بطريقة متسقة في المواقف المختلفة. (Kossly&Rosonberg 2004)

وهذه السمات قد تكون إيجابية أو سلبية فيقال: أعدل من عمر، أشجع من خالد بن الوليد، أحمق من هبنقة، وهكذا...

الإنسان مخير بما كلف به:

كما كرم الله الإنسان بالعقل والتشريع والفطرة القويمة فقد كرمه بالاختيار

كما في قوله تعالى ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان، الآية: ٣).

وفي قوله ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة، الآية: ١٤٨).

وحرية الاختيار التي أعطاها الله لبني البشر مكرمة إلهية لتثمين أعمالهم، الصالح منها والسيئ.

وفي بناء الشخصية الإنسانية تمثل الإرادة حاضر الفرد بكل قواه العضلية والجسدية والسلوكية، على أساس أن الفعل الإرادي يصبغ الشخصية بطابعها. وقد ميز الإمام الغزالي بين أنماط من الشخصيات وفق الأعمال الإرادية، حيث رأى أن الفعل الإرادي ينطوي على أحكام خلقية تقويمية، وأن القيم الاجتماعية والدينية والخلقية تمثل معايير هامة للتمييز بين الناس والحكم على قيمة الأشخاص. وترتبط الإرادة في علم النفس المعاصر «بالقدرة التي تتمثل في نشاط الإنسان الحيوي والنفسي معاً يجتمعان لتنفيذ الإرادة».

وهذه القدرة على اتباع المعايير الأخلاقية قد تنعدم عند بعض الأشخاص فيتمثل سلوكهم مع ما ورد في الذكر الحكيم ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الفرقان، الآية: ٤٤).

ونظراً لتفاوت الناس في أفعالهم الإرادية وطاقاتهم المختلفة تتنوع نماذج البشر بين الظالم لنفسه والمتهور والمتزن والحكيم وغيره.

يرتبط بحرية الاختيار هذه مسؤولية الإنسان عن عمله فرداً وجماعة. كما في قوله ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (الطور، الآية: ٢١).

ولذلك ينفرد وصفه في كتاب الله العزيز بين المخلوقات بصفات سلبية (مثل

الكفر، الطغيان، الفجور... الخ) وبصفات إيجابية (العدل، الرحمة، الصدق، الاستقامة، التواضع، العفاف... الخ).

ثم إن عمل هذا الإنسان مشروط بالتكليف الذي تؤهله له طاقته كما في قوله تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة، الآية: ٢٨٦].

وهكذا فالإرادة في الإسلام مناط التكليف والمسؤولية والثواب والعقاب في الدنيا والآخرة، حيث ينتفي التكليف والمسؤولية إذا فقدت الإرادة (بالإكراه، أو الموت، أو بأي شيء آخر) فلا يحق «للسفيه» أن يتصرف بأمواله، ولا يؤخذ بشهادة الواقع تحت تأثير منوم أو مخدر، وقد لا يحاسب «المختل عقلياً» عن جرم قد ارتكبه وهكذا.

الإنسان بين الميل إلى الاستقلالية والرغبة في التماسك الاجتماعي

يرى الإسلام أن الإنسان المكلف بإعمار الأرض، وبما يمتلكه من مقومات لهذا التكليف (كون مسخر لتعرف الله، وعقل كأداة لتعرف الله، وفطرة متوافقة مع أحكام الدين وشهوات مُحركة دافعة، واختيار مثمّن للعمل، وتشريع ضابط، سيعمل بفاعلية وإيجابية وعمر للقيام بالعمل وظرف لإنجاز مهمة العبادة). [النابلسي، ٢٠٠٥]

وبما أن كيان الإنسان كفرد مستقل، وكيانه كعضو في جماعة أصيلان في نفس الإنسان من جهة، وبحكم التفاعل بين مكوناته المادية والروحية، والتفاعل بين مكوناته الوراثية والبيئية من جهة ثانية، فإن سلوكه سينزع إلى الاستقلالية. فإدراكه لذاته، وشعوره بكيانه وأهميته (القائم على الإيمان بالله) في الحياة يوجه سلوكه في الحياة.

إلا أن هذه الاستقلالية والتفرد لا تمنعه من التواصل والترابط مع الآخرين

المستمد من الصلة بالله كما في قوله ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ (المائدة، الآية: ٢).

ولهذه التفاعلات الاجتماعية في الإسلام شروط أهمها الحس المرهف في التفاعل من حيث أدب الاستئذان وحسن التواصل، التعاون، والأمر بالمعروف، والعفو، وأداء الأمانة، والتراجع عن الأخطاء وغيرها...).

يقول الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النور، الآية: ٢٧).

ويقول من حيث الأمانة في التعامل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ (النساء، الآية: ٥٨).

ومن حيث التراجع عن الأخطاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة، الآية: ٢٢٢).

والطهارة بمعناها الواسع في الإسلام هي طهارة الجسم والعقل والروح خلال العبادات (التعبدية والتعاملية).

ففي المحافظة على الصلاة نظافة للجسم، وفي الخشوع فيها نقاء للفكر. والإعراض عن اللغو، نظافة للفكر قبل اللسان، وفي الزكاة تطهير للنفس من شح المال، وفي إشباع الدوافع بما يرضى الله ترفع عن الشهوات وفي تحمل الشدائد والصبر على الناس تهذيب للطبع..

تجتمع هذه الأفعال السلوكية عند الإنسان المؤمن المتوازن الصحيح نفسياً فيعيش بأقصى طاقاته واستعداداته ويبذل جهده في تحقيق ذاته الواقعية وتحقيق ذاته المثالية في الوقت ذاته (وهذه سمات المؤمنين). إن هذا التناغم بين الذات

الواقعية والمثالية من أكثر معايير الصحة النفسية التي وردت عند منظري الشخصية فيما بعد.(هورني، أصحاب نظريات الذات)

وإذا كانت معظم نظريات الشخصية قد أهملت مفهوم نمو الشخصية بعد مرحلة الطفولة (ما عدا أريكسون)، وأثر الخبرات اللاحقة في نمو الإنسان، فإن القرآن أكد على مفهوم النمو مدى الحياة.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾(الروم، الآية: ٥٤).

هذا وتتحدد الشخصية في الإسلام، بعاملي الوراثة والبيئة والتفاعل بينهما.

ويتضح دور الوراثة في قوله تعالى ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ (الإنسان، الآية: ٢).

كما يتضح دور البيئة في حديث رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» (رواه مسلم – كتاب القدر – باب معنى كل مولود).

ديناميات الشخصية (محركات السلوك):

تمثل الدافعية في علم النفس عاملاً حيوياً في تحديد السلوك وتنشيطه وتوجيهه نحو هدف محدد، كما يُستخدم مفهوم الدافعية:

١ – لتفسير التباين في السلوك لدى الفرد ذاته من وقت لآخر، أو من نشاط لآخر.

٢ – ولتفسير الاختلاف بين شخصين في عمل ما، رغم تشابه ظروف العمل أو تساوي القدرات.

وقد تحدث ماكدوكال (ق١٨) عن الغريزة كمحرك للسلوك، وفسر فرويد

(ق١٩) الواقعية على أساس الغرائز وتحدث عن غريزتي الحياة والموت، وتحدث ماسلو (ق٢٠) عن الحاجات الأولية والحاجات النفسية والحاجات العليا كمحركات للسلوك، ثم واصل كل من أتكنسون – ماكليلاند وفينر ورينور وروبن دراستهم عن دوافع المعرفة والإنجاز في (ق٢٠).

ولكن الأمانة العلمية تقتضي أن نذكر إسهامات بعض الفلاسفة العرب والمسلمين حول مفهوم الدافعية.

فقد تحدث **الغزالي** عن البواعث الخارجية والداخلية (الخواطر) للسلوك، كما رتب ظهور الدوافع عند الإنسان حسب التسلسل التالي (القوة الشهوية (الطعام، الشراب، الجنس، اللعب، الراحة)، ثم قوة الحمية (الغضب) ثم قوة الفكر والنطق والتمييز).

ولم يكتف الغزالي بالتأكيد على أهمية الدوافع الأولية، فقد أكد أيضاً على أهمية الدوافع الثانوية (المكتسبة)، وصنف الدوافع على أساس:

- طبيعة الإنسان الخلقية (ميول غريزية، ميول غضبية، ميول شيطانية، ميول ربوبية).
- حب البقاء (ميول فردية، وميول اجتماعية، وميول عالية كحب الخير والجمال والإيمان).
- الغرض والمقصد: ← دوافع الدين: (تبعث على الطاعة والحياة الصالحة.
  ↓ دوافع الهوى: (الشهوة والغضب).

كما تحدث عن طرائق تعديل هذه الدوافع وإعلائها.[1]

(أحمد منصور وآخرون، ٢٠٠٢)

يؤكد الإسلام تفاعل النفس الإنسانية (بما فيها من دوافع) مع البيئة (بما فيها من زينة) لتشكيل أنماط الشخصية.

ففي الوقت الذي أودع الله في النساء والمال والبنين، شهوات حببها إلى النفس الإنسانية وزينها كما قال تعالى ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾. [آل عمران، ١٤]

فإنه قد علمه تهذيبها وتصريفها وتنظيمها وفق منهج الله والثمن لقاء الله باطمئنان «فما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا وجعل لها قناة نظيفة تسري خلالها، فلو سارت هذه الشهوة في القناة النظيفة لأنت آكلها ضعفين». (النابلسي، ٢٠٠٥)

تكون عملية الضبط والتنظيم هذه، وفق منهج الله، بما يحقق التوافق في حياة الإنسان، ثم يأتي التعزيز نتيجة لقدرة هذا الإنسان على الضبط والتنظيم. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات، ٤٠ -٤١]

---

[1] لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع يمكن العودة إلى كتاب «السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر»، أحمد منصور وآخرون، ٢٠٠٢، مكتبة الأنجلو المصرية.

الصراع ضرورة بشرية لتحريك السلوك:

والصراع لدى الإنسان يتجلى:

- بين مطالب الجسد ومطالب العقل ومطالب الروح المتعارضة.
- بين رغبات الإنسان (الجسدية والعقلية والروحية) وطاقاته المحدودة التي قد لا تستطيع تلبية هذه الحاجات.
- بين حب الفرد لذاته (كفرد مستقل) وحبه للآخرين (كعضو في جماعة).

هذه الأشكال من الصراع على مستوى النفس الواحدة.

فكيف يكون الأمر عندما نخرج إلى النفوس المتعددة، ونجد تناقضاً بين الناس في المصالح والاتجاهات.

إن حل الصراع على مستوى الفرد والجماعة والعودة إلى التوازن ومنع الفساد، ضرورة بشرية. وعلى هذا النحو نفهم الآية الكريمة ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ (البقرة، ٢٥١). أي لغلب الشر وأصبح هو المسيطر في الأرض.

وبما أن الصراع ضرورة بشرية (لدرء الفساد في الأرض، وإيجاد التوازن في الحياة البشرية) فقد زود الله البشر بالقدرة على الصراع على مستوى الفرد والجماعة. كما زودهم بمعيار آمن من (الفطرة السوية) يرجع إليها الإنسان ليضبط الشطط الذي يمكن أن يحدث في سلوكه.

فالفطرة السليمة السوية تقوم بمهمتين:

١ - الصمام الذي يحدد للإنسان حد الإكتفاء ويمنع الانحراف والدمار في سلوكه ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا

تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٣٠)، كونها المقابل الواعي لعمل الغريزة في الحيوان. (قطب، ١٩٨٢)

٢ - توجيه الطاقة الحيوية عند الإنسان إلى مستويات أعلى من مجرد الاستجابة المباشرة للدوافع الفطرية.

ونظراً لأن طاقة الإنسان طاقة (فائضة) عن الضرورة (وليست كقوة الحيوان في حدود الضرورة) فإن الفطرة السليمة توجه هذا الفائض وترفعه إلى المستوى الأعلى (القيام بالعمل أو بالإنتاج، الإنشاء والتعمير، التغيير والتطوير)... بمعنى آخر القيام بمهمة الخلافة في الأرض والإعمار.

إن هذا الفائض (الموجه والمضبوط) هو الذي يبني به الإنسان الحضارات، ويكافح به في سبيل العقائد والمثل، وينتج به الاختراعات والاكتشافات والفنون والعلوم. وهو مجد الإنسان في الأرض، الذي سخره الله للإنسان. هذا الفائض ينشأ من الدوافع والضوابط معاً في حياة الإنسان.

والضبط في الإسلام لا يشبه الكبت في نظرية التحليل النفسي، وإنما هو عملية عقلية وإرادية واعية، يقوم بها الإنسان العاقل المسؤول بما يملكه من عقل واختيار. (خليل، ١٩٨٧)

حيث يقوم العقل بعملية الضبط ويستعين من الداخل بالنفس اللوامة (بما فطرت عليه من كراهية الشر) وتساعده من الخارج الشرائع والتربية السليمة.

ومن ضوابط السلوك الإنساني في الإسلام نذكر:

❖ النية: وتسمى بعلم النفس العزم أو الغرض أو الباعث **Intention or incentive**:

ويستمد الإنسان المسلم ضرورة النية لكل الأعمال، ووجوب إصلاحها من

قوله تعالى ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾. (البينة، ٥)

والنية هي الباعث على العمل والمحرك إليه، من قوله ﷺ: «من همّ بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة».

غير أن النية إذا كانت سيئة تقلب المباح حراماً، والجائز ممنوعاً.

والنية في الإسلام ليست مجرد لفظ باللسان (نويت كذا) ولا هي تأمل باطني وحديث نفسي داخلي فحسب بل هي إرادة متوجهة نحو الفعل المراد تحقيقه ابتغاء مرضاة الله.

❖ **الأدب مع النفس أو ضبط الذات Self-control**: والذي يمثل أحد الأهداف البعيدة لعلم النفس. وقد تحدث «باندورا» عن أسلوب ضبط الذات لإحداث تغيرات تدريجية في سلوك الفرد بالاتجاه المرغوب، وعن خطوات ضبط الذات المتمثلة بـ(ملاحظة الذات)، والتخطيط البيئي وبرمجة السلوك. ويتفق مضمون هذه الخطوات تماماً مع وسائل ضبط الذات في الإسلام.[٥]

حيث يُحدث التوافق النفسي مع الذات ومع الآخرين.

وتتمثل وسائل ضبط الذات في الإسلام بـ:

١ - التوبة: وتمثل الكف عن ممارسة عادة سلوكية غير مقبولة، واستبدالها بعادة مرغوبة يثاب عليها الإنسان إذا كانت نيته خالصة في أدائها ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾(المائدة، الآية: ٣٩).

٢ - المراقبة: وهي الوعي التام ببواعث السلوك (الداخلية والخارجية) لدى الإنسان.

---

[٥] راجع الفصل المتعلق بنظرية الحتمية التبادلية لـ«باندورا».

٣ - المحاسبة في الإسلام تتوافق مع نقد الذات Self criticism : بهدف إصلاح الذات وتأديبها وتزكيتها وتطهيرها.

٤ - المجاهدة (برمجة السلوك) : والتي تعني التغيير المنظم لنتائج السلوك بدلاً من تغيير مسبباته. وهي مجاهدة الفرد لنفسه وتطهيرها وإصلاحها في التعلم والعمل والسلوك، وجهاد النفس عبادة في حد ذاته، لأن كل صور العبادات تنطوي على المجاهدة.

ولابد من الإشارة إلى أن النفس في الإسلام لها ثلاثة مستويات.

فعندما ينساق الإنسان وراء أهوائه وشهواته ولا يستخدم عقله الذي ميزه به الله تعالى على الحيوان، يكون غير ناضج الشخصية ولا يهمه إلا إشباع حاجاته ورغباته، فيصبح خاضعاً لتوجيه مستوى (نفسه الأمارة بالسوء) قال تعالى ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. (يوسف، ٥٣)

وعندما يصبح الإنسان في مرتبة أعلى من النضج والكمال، يبدأ ضميره في الصحو فيبدأ بالاستنكار من ضعف إرادته، ومن انسياقه وراء أهوائه، مما يوقعه في الخطيئة والمعصية، فيشعر بالذنب، ويلوم نفسه على ما فعل ويتجه إلى الله تائباً مستغفراً، ويصبح في هذه الحالة تحت تأثير «النفس اللوامة». قال تعالى ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ (القيامة، ١ -٢)، فإذا أخلص الإنسان بعد ذلك في توبته، وفي تقربه لله بالعبادات والأعمال الصالحة، وتحكم في أهوائه ووجهها لتحقيق الإشباع وفق شريعة الله، فحقق التوازن التام بين مطالبه البدنية ومطالبه الروحية، فإنه يصل إلى أعلى مستوى من النضج والكمال الإنساني. وفي هذا المستوى تكون نفس الإنسان في حالة اطمئنان

وسكينة (النفس المطمئنة) والتي نزل فيها قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾. (الفجر، ٢٧ -٣٠) على أنها حالات تتصف بها شخصية الإنسان في مستويات مختلفة من النضج، التي تمر بها في أثناء صراعها الداخلي بين الجانبين المادي والروحي من طبيعة تكوينها.(*)

وتتقلب النفس من حال إلى آخر، ولكنها نفس واحدة كما في قوله تعالى ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ (لقمان، ٢٨).

وتختلف أحوال النفس في غاياتها ونياتها وأفعالها.

ويصف ابن القيم في كتابه «الروح» الصراع بين حالي النفس (الأمارة بالسوء والمطمئنة) بصورة دينامية فيقول:

«وقد انتصبت الأمّارة في مقابل المطمئنة. فكلما جاءت به تلك من خير ضاهتها هذه وجاءت من الشر بما يقابله حتى تفسده عليها، فإذا جاءت بالإيمان والتوحيد جاءت هذه بما يقدح في الإيمان من الشك والنفاق وما يقدح في التوحيد من الشرك ومحبة غير الله وخوفه ورجائه... فتقوم الحرب بين هاتين النفسين، والمنصور من نصره الله، وهذا حال أكثر هذا الخلق».

(ابن قيم الجوزية، ١٩٨٦، ص٣٠٨ -٣٠٩)

ولهذا كانت مجاهدة النفس عبادة.

(*) هذا ويرى (ميقري، ١٩٩٧) أن للنفس سبع مراتب هي الأمارة بالسوء – اللوامة – المطمئنة – الملهمة – الراضية – المرضية – الكاملة. (يمكن العودة لكتابه النفس بين العلم والدين).

أنماط الشخصية:

صنف القرآن الكريم الناس على أساس العقيدة إلى ثلاثة أنماط هي: المؤمنون والكافرون والمنافقون. ولكل نمط سماته التي تميزه عن النمطين الآخرين، وتوجه سلوكه.[٥]

وتصنيف القرآن للناس على أساس العقيدة، يتوافق مع أهداف القرآن من حيث هو كتاب عقيدة وهداية، من جهة، كما يشير هذا التصنيف إلى أهمية العقيدة في تكوين شخصية الإنسان وتحديد سماته المميزة له وتوجيه سلوكه من جهة أخرى.

وعندما عرض القرآن الكريم النماذج المختلفة للإنسان في مطلع سورة البقرة، ذكر المؤمنين في أربع آيات، والكفار في آيتين، بينما خص الفئة التي فقدت إنسانيتها في ثلاث عشرة آية، كشفت تناقض هذا النمط من الناس مع نفسه ومجتمعه وسمي بالمنافقين.

وقد أفرد القرآن الكريم كل نموذج بسورة سماها باسمها، فهناك سورة المؤمنون وسورة الكافرون وسورة المنافقون.

---

(٥) يمكن أن نجد ما يشبه هذا التصنيف للأنماط عند فروم (مع العلم أننا لم نعرض نظريته في هذا الكتاب) عندما نتحدث عن توجهات الشخصية الخمسة.

فالتوجه المعطاء (الإنتاجي) يشبه الإنسان المؤمن بسماته.

والتوجه المطوق (السياجي) يشبه الكافر.

أما التوجه التسويقي (التجاري) فيشبه المنافق ويصفه فروم بأنه أسوأ التوجيهات لأنهم يتشكلون وينقلبون وفق رغبات الآخرين أو السوق.

وقد توصل (نجاتي ١٩٨٧) إلى وجود تسع مجموعات من السمات تميز الأنماط الثلاث للبشر وهي :

١ - سمات تتعلق بالعقيدة (الإيمان بالله ورسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر والغيب والقدر).

٢ - سمات تتعلق بالعبادات التعبدية (الصلاة والصوم والزكاة والحج... الخ).

٣ - سمات تتعلق بالعلاقات الاجتماعية.

٤ - سمات تتعلق بالعلاقات الأسرية (تكوين الأسرة، العلاقات الزوجية، الطلاق، التبني).

٥ - سمات خلقية (كالصبر والحلم والصدق والعدل والأمانة).

٦ - سمات انفعالية وعاطفية (كمحبة الله والخوف من عذابه والأمل في رحمته وحب الناس وكظم الغيظ والتحكم بانفعال الغضب).

٧ - سمات عقلية ومعرفية، (التفكر في الكون وطلب المعرفة والعلم وحرية الفكر والعقيدة).

٨ - سمات تتعلق بالحياة العملية مثل (الإخلاص في العمل وإتقانه والسعي بنشاط لكسب الرزق).

٩ - سمات بدنية مثل (القوة والصحة والنظافة والطهارة). (نجاتي ١٩٨٧)

ولسنا بصدد عرض جميع الآيات التي تدل على هذه السمات عند النماذج الثلاثة، فقد وردت في مواضع عديدة وسور كثيرة في القرآن الكريم.

ونكتفي بعرض عدد من الآيات التي تدل على بعض سمات هؤلاء.

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ

وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة، ٢٨٥]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة، ٦ -٧]

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة، ٦٧]

ويرى د. النابلسي أن المنافق في الدرك الأسفل من النار لأنه أخذ من سمات النموذجين (النابلسي، ٢٠٠٥).

إضافة إلى هذه النماذج، فقد وردت في القرآن أوصاف للناس، تفسر سلوكهم على أساس العقيدة (مثل الضالون، والمكذبون، والظالمون، والسفهاء، والمفلحون، والمنفقون، والتائبون) وتضع لكل منهم مرتبة إيمانية بناء على سلوكه.

مظاهر سوء التوافق (التكيف) في القرآن:

١ - **الصراع النفسي:** وقد تحدثنا عنه كضرورة بشرية (في فقرة ديناميكية الشخصية) نظراً لتعارض (المطالب الجسدية والروحية، وبين حاجاته الخاصة ومطالب المجتمع). ولكن الله حبا الإنسان بعقل يميز به بين الخير والشر، وبين الحق والباطل وبين الترغيب والترهيب، ومده بحرية الإرادة ليحسم هذا الصراع... فيغلّب أحد مستويات النفس على المستويات الأخرى، وذلك

حسب درجة نضجه الأخلاقي واتباعه منهج الله(*).

٢ - **الحيل الدفاعية**: الحيل الدفاعية هي وسائل دفاع أولية يلجأ إليها الإنسان لوقاية نفسه من الشعور بالقلق إذا تمت معرفة دوافعه الحقيقية الكامنة في نفسه، والتي يحاول إخفاؤها.

وقد ظهرت هذه الحيل الدفاعية عند المنافقين الذين اتصفوا في القرآن الكريم (بالشك والتردد وضعف الثقة بالنفس والخوف من افتضاح أمرهم) فلجؤوا إليها كسلوك دفاعي أمام النموذجين الآخرين.

وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض أنواع الحيل العقلية، كان المنافقون (على حد علم الباحثة) يقومون بها منها:

❖ **الإسقاط**: حيث كان المنافقون يضمرون العداء للمسلمين ويخفون حقدهم ويسقطون شعورهم العدائي عليهم فيظنون أن المسلمين يريدون قتلهم.

قال تعالى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون، ٤]

❖ **التبرير**: (التسويغ) حيلة دفاعية يحاول بها الشخص تسويغ دوافعه وأفعاله غير المقبولة ويفسرها تفسيراً مقبولاً.

وقد وصف القرآن التسويغ الذي يقوم به المنافقون بقوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة، ١١ -١٢]

(*) لمجد ما يشبه هذا الأمر في حديث «بيرن» عن حالات الأنا في نظرية تحليل التعامل.

وقول ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ إنما يشير إلى عدم وعيهم بأن ما يفعلونه إنما هو إفساد وليس إصلاحاً، لأن من يقوم بالتسويغ لا يدرك أنه يسوغ، فالعملية (لا شعورية).

❖ **تكوين رد الفعل:** هو حيلة دفاعية يتخذ فيها الفرد سلوكاً يكون مضاداً لسلوك آخر يريد إخفاءه.

فقد يظهر فلان المجاملة والأدب والاهتمام في معاملة شخص معين كوسيلة دفاعية ليخفي بها كراهيته له وشعوره العدائي نحوه.

وقد كان المنافقون يلجؤون إلى هذه الحيلة الدفاعية ليخفوا ما تضمره نفوسهم من كراهية وعداء. قال تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ (البقرة ٢٠٤ -٢٠٥)

وقد نجد صورة إيجابية لكظم الغيظ في قوله تعالى ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ ... ﴾.

ودرجة أعمق من الكظم في قوله عن سيدنا يعقوب ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾، وهذا إشارة إلى تعطل الوظيفة البصرية نتيجة شدة الانفعال.(*)

(*) يسمى تعطل الوظيفة الحسية (سمعية – بصرية – لمسية – حركية... الخ) في علم النفس العصبي الحسي، بمعنى أن الخلل يطال الوظيفة، لا البنية التشريحية.

العلاج النفسي في القرآن:

تتفق كل نظريات الإرشاد والعلاج النفسي الحديثة على أن الهدف الأساسي للعلاج أو الإرشاد هو التخلص من القلق وبث الشعور بالأمن في نفس الإنسان والوصول به إلى حد التبصر بذاته ليتوافق معها ومع الآخرين.

وتمدنا دراستنا لتاريخ الأديان، وخاصة الدين الإسلامي، بأدلة عن نجاح الإيمان بالله في شفاء النفس من أمراضها وتحقيق الشعور بالأمن (فالشعور بالإيمان) سلوكاً يكسب الإنسان مناعة ووقاية من الأمراض النفسية ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الأنعام، ٨٢)

هذا وقد اقترنت في القرآن كلمتان هما الخوف والحزن.

والخوف دائماً هو مقدمة للحزن فإذا انتفى الخوف عن المؤمنين انتفى عنهم بالضرورة الحزن ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (المائدة، الآية: ٦٩).

إن تحليل مضمون حالتي الخوف والحزن التي وردت في القرآن يشبه ما يسمى بعلم النفس القلق والاكتئاب، والتي أصبحت من السمات الأساسية التي تميز القرن الحادي والعشرين.

بتعبير علم النفس فإن الصراع النفسي الذي لم يُحل (والذي يعيشه الإنسان دائماً مع ذاته وبيئته ومجتمعه) يولد معظم الشدات النفسية (الاضطرابات السلوكية) بما فيها القلق والاكتئاب. وأن تفهم الإنسان لذاته وتوافقه معها، ومع المجتمع الذي يعيش فيه هو مفتاح الخروج من هذه الاضطرابات، وهو هدف العلاج النفسي في مختلف المداخل العلاجية (الإنسانية، التحليلية، المعرفية،

الانتقائية)، وإن تفاوتت التقنيات والأساليب المستخدمة في العلاج.

وإذا كان تفهم الإنسان لذاته هدفاً علاجياً في معظم هذه المداخل، فإنه في القرآن كان هدفاً وقائياً قبل أن يكون علاجياً، من خلال عقيدة الإيمان التي تجنب الإنسان أمراض القلوب.(*)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس، الآية: ٥٧).

هذا وقد بدأت تظهر حديثاً بعض الاتجاهات التي تنادي بأهمية (الإيمان بالله) كقوة خارقة تمد الإنسان (المتدين) بطاقة روحية تعينه على تحمل ضغوط الحياة، وتجنبه القلق، في عصر تزايدت فيه مسببات القلق، وافتقر إلى الأمن الروحي.

فقال «وليم جيمس» (W. Jemes) أحد مؤسسي علم النفس: «أن أعظم علاج للقلق هو الإيمان».(**)

أما «يونغ» من رواد المدرسة التحليلية في علم النفس فقد عزى معظم الاضطرابات التي وجدها في الحالات التي عالجها إلى فقدان النظرة الدينية لديها،

(*) أمراض القلوب: مصطلح تكرر عند العلماء المسلمين في تفسيرهم للعواطف والاتجاهات مثل الغزالي، وابن سينا، والرازي... والمقصود بها مختلف العيوب والسمات السلبية التي تعيق التوافق النفسي للإنسان.

(**) وأضاف: «إن بيننا وبين الله رابطة لا تنفصم، فإذا نحن أخضعنا أنفسنا لإشرافه، تحققت كل أمانينا وآمالنا. والمتدين حقاً، عصي على القلق، محتفظ باتزانه أبداً، مستعد دائماً لمواجهة ما يمكن أن تأتي به الأيام من ظروف. (كارينجي، دع القلق وابدأ الحياة، ترجمة عبد المنعم الزيادي، القاهرة).

وأنه لم يتم شفاء معظمها إلا بعد استعادة نظرتها الدينية في الحياة.[*]

ويشير المؤرخ (Arnold Taynbi) إلى أن الأزمة التي يعاني منها الأوربيون في العصر الحديث إنما ترجع في أساسها إلى الفقر الروحي، وأن العلاج لهذا التمزق الذي نعاني منه، هو الرجوع إلى الدين(منصور وآخرون، ٢٠٠٠) نجد صدى لهذه الدعوة عند ماي وفرانكل وغيرهم...[**]

وفي القرآن الكريم طاقة روحية هائلة ذات تأثير بالغ في نفس الإنسان إذا أحسن تدبره والتفكر بكل آياته ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء، ٩]

من أساليب القرآن في الإرشاد والعلاج النفسي:

نظراً لتأثر سلوك الإنسان بدرجة كبيرة بأفكاره (حسب النظريات المعرفية الحديثة) فعلينا أن نستهدف أفكاره بالتغيير أولاً (ومن الداخل) حتى يتغير سلوكه. وقد قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد، ١١].

وقد استطاع القرآن تغيير حياة العرب وإعادة تنظيم المجتمع ووضع أسس لنظام علاقات إنسانية جديدة من خلال:

---

[*] يقول يونغ: «استشارني خلال الأعوام الماضية، أشخاص من مختلف شعوب العالم المتحضرة، وعالجت مئات كثيرة من المرضى، فلم أجد مريضاً واحداً من مرضاي الذين تجاوزوا سن الخامسة والثلاثين، من لم تكن مشكلته في أساسها هي افتقاره إلى وجهة دينية في الحياة.

[**] رولو مي، اتجاهه وجودي إنساني وأسس لفرانكل اتجاه الإرشاد النفسي بالمعنى، يمكن العودة إلى الفصل الخاص بـ«رولو مي» من هذا الكتاب.

• الإيمان بعقيدة التوحيد:

فالقرآن يولد في الإنسان طاقة روحية كبيرة تغير مفهومه عن ذاته، وعن الناس والحياة، وتمده بمعنى جديد للحياة ولرسالته فيها.

قال تعالى ﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس، ٦١]

• التقوى:

والتي توجه الإنسان نحو السلوك الأفضل، ونحو نمو الذات ورقيها، وتجنب السلوك السيء، وهي من عوامل نضج الشخصية وارتقائها.

قال تعالى ﴿... وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق، ٤]

• العبادات:

- التعبدية بين العبد وربه.
- التعاملية بين العبد وغيره.

وأثرها على حسن توافق الفرد مع ذاته ومع الآخرين.

• الصبر:

لما فيه فائدة عظيمة في تربية النفس، وتقوية الشخصية وتجديد الطاقة لمواجهة مشكلات الحياة وأعبائها. قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة، ١٥٣]

وهذه الأساليب المتبعة تشبه ما يُستخدم في العلاج التدعيمي المستخدم في معظم المداخل الإرشادية والعلاجية ولكن بمسميات أخرى..

• الذكر:

لما فيه من تزكية النفس وشعورها بالأمن والطمأنينة. شريطة تمثله ومعايشته خبره، لا مجرد للتكرار اللفظي للكلمات التي تشكل مضمون (التسابيح والتهاليل والحمد والصلاة) وهذا ما يسمى بعلم النفس «المسكنات اللغوية».

قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ (الرعد، ٢٨)

• التوبة:

للتخلص من الشعور بالذنب، والبدء بإصلاح الذات وتقويمها مما يساعد على زيادة تقدير الإنسان لذاته، وثقته بها وبالتالي الشعور بالأمن النفسي.

خلاصة:

- يسعى الإسلام إلى إعداد الإنسان الصالح المتبع لشريعة الله والذي يفي بشرط الخلافة في الأرض.

- تتكامل في الإنسان مكوناته المادية والروحية لتمثل وحدة من الصفات الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية، وتظهر في سلوكه وعلاقاته الاجتماعية والتي تميزه بصورة واضحة عن غيره من الكائنات الأخرى.

- فامتلاكه العقل يمكنه من القيام بالعمليات العقلية العليا والترميز والإبداع.

- وعلى الرغم من تفرده وحبه لذاته وبحثه عنها وتحقيقها، فإن ميله الفطري للانتماء إلى الجماعة وبناء علاقات اجتماعية مع الآخرين من أجل صنع الثقافة وبناء الحضارة موجود جنباً إلى جنب مع تفرده.

- هذا الإنسان يميل إلى حب الخير والتخلق بالأخلاق الفاضلة والإرادة الموجهة إلى الخير وذلك بفطرته السليمة التي تجعله أهلاً للكمال أو النقص بما فطر عليه من استعداد لكل منهما.

- يستخدم الإنسان الأتقى طاقته من دوافعه الداخلية والخارجية التي شرع الله لها مسالك نظيفة لاشباعها، من خلال النية السليمة، والحل المتوازن للصراع بين كل من أحوال النفس من جهة وبين الخير والشر من جهة أخرى، وبين الذات والآخرين من جهة ثالثة، مسترشداً بعقله وبفطرته السليمة.

- وعلى الرغم من أن النفس واحدة في الإسلام فلها مستويات مختلفة من النضج، تمر بها أثناء صراعها الداخلي بين المكونين المادي والروحي. وهي الأمارة بالسوء، واللوامة والمطمئنة.

- صنف القرآن الكريم الناس على أساس العقيدة إلى ثلاثة نماذج هي المؤمنون والكافرون والمنافقون على ضوء السمات الخاصة التي يتميز بها كل نموذج.

- ومن مظاهر سوء التوافق التي وردت في القرآن عدم القدرة على حل الصراع واستخدام الحيل الدفاعية.

- يتبع القرآن في الإرشاد والعلاج النفسي منهجاً وقائياً (الإيمان) ومنهجاً إرشادياً وعلاجياً يقوم أيضاً على الإيمان بعقيدة التوحيد والتقوى والصبر والذكر والتوبة.

جامعة دمشق Damascus University

أنشطة وتقويم

- إن تكامل بنية الشخصية يقوم على حفظ التوازن بين مكوناتها. وضح ذلك؟
- ما هي أهم الصفات التي وصف بها القرآن الكريم الإنسان؟ وما هي أهم الصفات التي تنطبق عليك؟..
- هل تجد علاقة بين العقل والنظرة السليمة؟ وضح ذلك.
- يتسم الإنسان بالنزعة الإنسانية في أكمل مستوياتها. اشرح ذلك.
- ما هو الجديد في هذه النظرية مقارنة مع النظريات الأخرى؟
- هل يلتقي أسلوب الإرشاد والعلاج النفسي في الإسلام مع النظرية المعرفية؟ وضح ذلك.

Damascus University

المختصر Glossary

A

- **Ablity Traits سمات القدرة:** أحد مفاهيم نظرية كاتل التي تحدد مستوى قدرة الشخص على تحقيق هدفه بفاعلية.
- **Acceptance القبول:** اعتراف مطلق بالذات، والآخرين، والعالم.
- **Active Imagination التخيل الحيوي:** وهي طريقة يستخدمها يونج في العلاج النفسي للاتصال بالأنماط البدائية.
- **Adult البالغ:** حالة الأنا في التحليل التعاملي أو التحولي التي تسعى إلى تقييم واتخاذ خيارات واقعية من بين البدائل الموجودة أمام الفرد، حسب مفهوم «بيرن».
- **Alienation الاغتراب:** ورد هذا المفهوم في نظرية هورني، وهو يمثل حالة تكون فيها الذات الواقعية والذات المثالية في وضع منفصل.
- **Anima أنيما:** مصطلح ورد في نظرية يونج، يمثل نمطاً بدائياً للجانب الأنثوي لدى الرجل.
- **Animus أنيموس:** مصطلح ورد في نظرية يونج يمثل نمطاً بدائياً للجانب الذكري لدى الأنثى.
- **Anxiety القلق:** حالة انفعالية تتميز بخوف غامض، أو إحساس داخلي بأن شيئاً غير مرغوب فيه قد يحدث. والقلق من وجهة نظر فرويد يعني وضعاً أو

عيشاً تحت ضغط معين عند الولادة بسبب الخطر الواقعي انطلاقاً من فكرة أن حاجاتنا «كرضع عاجزين» سوف لن يتم إشباعها. في حين ولو مي يعتبر القلق، فهم الشخص لوجود تهديد لبعض القيم التي يقدسها ويراها أساسية لوجوده كشخص.

- **Archetype النمط البدائي:** مفهوم ورد في نظرية يونج، ويعني معتقداً عالمياً يتشكل بغية إدارك العالم بطرق معينة.
- **Attitude الاتجاه:** شعور إيجابي أو سلبي تجاه الشيء. ويمثل في نظرية يونج النمط النفسي الأساسي، وفي نظرية كاتل السمة الديناميكية الظاهرة.

B

- **Basic Anxiety القلق الأساسي:** مصطلح ورد في نظرية هورني، ويعني شعور بعدم الأمان إذ تصبح البيئة ككل مرعبة عندما ينظر لها الفرد على أنها غير واقعية وخطيرة وظالمة وغير مقدرة.
- **Basic orientations التوجيهات الأساسية:** مفهوم ورد في نظرية هورني، وهي عبارة عن طرق رئيسية للتفاعل مع العالم.
- **Behavior السلوك:** نشاط الكائن، ويعرّف في نظرية التعلم على أنه استجابة لمثيرات، بينما يعرفه روجرز على أنه محاولة غرضية موجهة من الكائن لتحقيق حاجاته كما يتسنى له إدراكها وفهمها.
- **Behavior modification تعديل السلوك:** شكل من العلاج، يطبق مبادئ من التعلم لتحقيق تغيرات في السلوك.

- **behavior therapy العلاج السلوكي:** نوع من العلاج، يهدف إلى إزالة أعراض المرض من خلال تعلم استجابات جديدة.

C

- **Cardinal disposition النزعة أو المزاج:** مفهوم ورد في نظرية إلبورت، ويعني النزوع الإنفعالي الشخصي الذي يمكن الاستدلال عليه في سلوكات الفرد المختلفة.
- **Centeral Disposition المزاج المركزي:** مصطلح ورد في نظرية إلبورت، ويُعتبر الميل المركزي الذي يطبع شخصية الفرد.
- **Child الطفل:** مفهوم ورد في نظرية التحليل التعاملي أو التحويلي لبيرن، تُعني حالة الأنا التي تسجل تلك المشاعر والخبرات التي مر بها كطفل.
- **Client-Centered Psychotherapy العلاج النفسي الممركز حول العميل:** أسلوب علاجي طوره روجرز، ويركز على الاهتمام بالشخص الباحث عن المساعدة.
- **Closed System النسق المغلق:** مفهوم في الشخصية، يعني مقاومة تأثير أي شيء جديد من خارج الكائن في الشخصية.
- **Cognitive theories النظريات المعرفية:** هي نظريات الشخصية التي تركز على العمليات المعرفية، مثل التذكر والتفكير والحكم على الأشياء... الخ.
- **Collective unconscious اللاشعور الجمعي:** مصطلح ورد في نظرية يونج، وهو لا شعور شخصي تبادلي مشترك يتكون من طرق محتملة أو ممكنة للكائن البشري.

- **Common Traits السمات المألوفة أو المشتركة:** مصطلح ورد في نظرية إلبورت، وهي السمات الافتراضية التي تسمح لنا بالمقارنة بين الأفراد بناء على أبعاد مشتركة معينة.
- **Compensation التعويض:** تعويض شيء ما، أو التغلب على ضعف معين.
- **Compensatory Mechanisms ميكانيزمات تعويضية:** مفهوم ورد في نظرة أدلر، وتعني النزعات الرادعة لمشاعر النقص.
- **Complex المركب:** مصطلح ورد في نظرية يونج، وهو عبارة عن مجموعة متفاعلة من الاعتقادات والمشاعر والذكريات حول مفهوم معين.
- **Conditional Positive Rogard الاحترام الإيجابي المشروط:** مفهوم ورد في نظرية روجرز، يعني الاحترام الإيجابي الذي يحدث تحت ظروف معينة.
- **Conditioned Response الاستجابة المشروطة:** هي الاستجابة المرتبطة بمثير عن طريق التعلم.
- **Conditions of worth شروط الأهمية أو القيمة:** وردت في في نظرية روجرز، تُعد شروطاً يفرضها الآخرون، كما تشير إلى الوقت والمناسبة التي سيعطى فيها الفرد احتراماً معيناً.
- **Conflict الصراع:** أ - يقصد به في نظرية فرويد التنافر الأساسي الذي يظهر بين الهو والأنا والأنا الأعلى والعالم الخارجي. ب - وفي نظرية دولارد وميلر يعني الإحباط الذي يظهر نتيجة موقف ما، حيث تظهر الاستجابات المتنافرة في نفس الوقت.
- **Congruence الانسجام:** مفهوم ورد في نظرية روجرز، ويمثل حالة من

التناغم التي تظهر عندما تعكس الخبرات الرمزية للشخصية الخبرات الفعلية للجسم أو الكيان.

- **Conscious الشعور:** يعني في نظرية فرويد المعتقدات والمشاعر والرغبات التي يعيها ويدركها الشخص في لحظة معينة.
- **Conscience الضمير:** مصطلح ورد في نظرية فرويد، ويمثل النظام الفرعي للأنا الأعلى الذي ينسب إلى الاستعداد للتقييم الذاتي والانتقاد والتأنيب.
- **Constitutional traits السمات التكوينية:** مفهوم ورد في نظرية كاتل، ويعني تلك السمات التي تعود أصولها إلى الوراثة أو الطبيعة الفسيولوجية للكائن.
- **Constructive alterativism البدائلية البنيوية:** تعني في نظرية كلي الافتراض بأن أي حدث قابل لعدد من التأويلات.
- **Creative self الذات الإبداعية (الخلاقة):** وتعني في نظرية أدلر، الشخص التي تفسر الخبرات وتجعلها مفيدة للكائن، وتكون أسلوب الحياة.
- **Cue المؤشر:** مصطلح ورد في نظرية دولارد وميلر، وهو يدل ويخبر الكائن متى وأين وكيف يستجيب؟

D

- **Degense Mechamisms ميكانيزمات الدفاع:** مفهوم ورد في نظرية فرويد وهو عبارة عن إجراءات تمنع ظهور القلق وتحمي إدراكه الواعي.
- **Displacement الإزاحة:** مفهوم ورد في نظرية فرويد وهو إحدى ميكانيزمات الدفاع، حيث يفشل الفرد في إشباع الدافع أو الشيء الأصلي أو

تحقيقه، ويضطر إلى استبدال ذلك بشيء آخر يحقق له ولو بعض الرضا والإشباع.

- **D-needs حاجات (د):** مصطلح استخدمه ماسلو وينسب إلى حاجات العجز التي تنشأ من النقص أو الشح.
- **Dreams analysis تحليل الأحلام:** أسلوب استخدمه فرويد وغيره من المحللين للكشف عن العمليات اللاشعورية.
- **Drive الحافز:** الارتباط النفسي للحاجة أو المثير الذي يسيّر الكائن ويدفعه إلى التصرف. أ - في نظرية فرويد، هو تمثيل نفسي لمصادر الإثارة الجسدية الداخلية، والتي تتميز بهدفيتها وقوتها الدافعة. ب - في نظرية دولارد وميلر يعني الدافع الرئيسي للسلوك.
- **Drive reduction خفض الحافز:** مفهوم صاغه هول، ويتلخص في فكرة: «أن التعلم يظهر فقط إذا تلى استجابة الكائن خفض لبعض الحاجات أو الحوافز».
- **Dynamic Lattice الشبكة الديناميكية:** مصطلح ورد في نظرية كاتل، ويقصد به شبكة تترابط بواسطتها السمات الديناميكية.
- **Dynamic traits السمات الديناميكية:** مصطلح ورد في نظرية كاتل، ويعني السمات التي تدفع الفرد نحو هدف ما.

E

- **Ego الأنا:** حالة تمثل في نظرية فرويد، إحدى وظائف الشخصية الثلاث،

والتي تتبع مبادئ الواقعية وتعمل بناء على عمليات ثانوية واختبار واقعي. أما في نظرية يونج فهي تمثل إدراكنا الواعي للذات.

- **Ego-ideal الأنا المثالية:** حسب فرويد هي عبارة عن نظام فرعي، لنظام الأنا الأعلى يحتوي على صورة للأنا المثالية.
- **Empathy التعاطف:** القدرة على إدراك ومعرفة وفهم مشاعر الشخص الآخر.
- **Empirical تجريبي أو اختباري:**
- **Empiricism مذهب التجربة والاختبار العملي والميداني:** ويمثل وجهة نظر فلسفية ترى أن المعارف الإنسانية، تظهر ببطء خلال التجربة مروراً بالملاحظة والخبرات المتعلقة بها.
- **Endomorphy النمط الحشوي البدين:** عنصر جسماني في نظرية شيلدون يشير إلى سيطرة اللحوم على مختلف أجزاء الجسم.
- **Evaluative Responsr الاستجابة التقييمية:** يقصد بها في نظرية روجرز الحكم (الذاتي) على الاعتقادات والمشاعر والرغبات أو السلوك للشخص الآخر.
- **Existentiatism الوجودية:** حركة فلسفية تدرس معنى الوجود.
- **Expressive behavior السلوك التعبيري:** حسب ألبورت، هو طريقة الفرد في الأداء.
- **Extroversion الانبساط:** اتجاه توسعي منطوي على توجه النفس نحو العالم الخارجي.

F

- **Factor Analysis التحليل العاملي:** تكنيك وظفه كاتل للربط بين عدد من العلاقات في وقت واحد، وتحدد أبعاداً مألوفة تشكل البناء التحتي لها.
- **Finalism الغائية:** أحد مفاهيم أدلر، ويعني المبدأ الذي يعكس مفهوم التوجه الغرضي.
- **Fixation التثبيت:** أحد مكانيزمات الدفاع في نظرية فرويد حيث نرى توقفاً للنمو، وحاجات مفرطة تميز مرحلة مبكرة تم إشباعها بطريقة مفرطة أو مرت بإحباط ما.
- **Functional Autonomy الاستقلالية الوظيفية:** أحد مفاهيم نظرية ألبورت، حيث إن الدوافع الراهنة لا ترتبط بالضرورة بالماضي، لكن يمكن أن تكون متحررة من الدوافع المبكرة.

G

- **Goal of Superiority هدف التفوق:** أحد مفاهيم نظرية أدلر، حيث نرى أن الغائية التخيلية المطلقة والتي تنطوي على الرغبة في أن نكون مؤهلين وفعالين للقيام بأي شيء بحيث نجاهد ونناضل من أجل عمله مستثمرين جميع الطاقات الفردية.

H

- **Habit العادة:** وتمثل البناء الأساسي للشخصية في نظرية دولارد وميلر، وهي ارتباط بين المثير والاستجابة.

I

- **Id الهو أو الهي:** الوظيفة الأقدم والأصل في الشخصية حسب مفهوم فرويد، وتتضمن استعدادات انعكاسية ومجموعة من الغرائز والحوافز.
- **Idealized self الذات المثالية:** أحد مفاهيم هورني، والتي تمثل اعتقاد الفرد حول ما يجب أن يكون عليه.
- **Identification التقمص:** ١ - أحد ميكانيزمات الدفاع في نظرية فرويد والتي يستخدمها الشخص لخفض القلق بمحاكاة، أو تقليد، أو صياغة سلوكه بعد مشاهدة أو معايشة شخص آخر. ٢ - هي العملية التي يحل بها الطفل عقدة أوديب وذلك بدمج الوالدين في الذات.
- **Incongruence التنافر:** أحد مفاهيم نظرية روجرز، ويمثل النقص في التفاهم أو الانسجام الذي ينتج عندما لا تقوم خبرات الشخص الرمزية بتمثيل حقيقي للخبرات الواقعية.
- **Individual Psychology علم النفس الفردي:** إحدى مدارس علم النفس التي طورها أدلر.
- **Inferiovity Complex مركب النقص:** أحد مفاهيم نظرية أدلر، ويمثل نمطاً عصابياً يشعر فيه الفرد بدرجة عالية من عدم الكفاءة أو القدرة.
- **Insight Therapy العلاج التبصيري:** ويتضمن بعض الإجراءات العلاجية التي تهدف إلى زيادة الفهم الذاتي، وتؤدي إلى تغييرات دافعية عميقة.
- **Intentionality القصد أو الغرضية:** أحد مفاهيم نظرية مي، وتعني ذلك البعد الذي يقلل من قيمة الشعور واللاشعور ويعطي الأولوية للإرادة والقرار.

- **Interpretative Response الاستجابة التأويلية (التفسيرية)**: وتمثل في نظرية روجرز تلك الاستجابة الهادفة إلى التمسك بالمعنى أو الدافع التحتي أو الأساسي.
- **Intuition الحدس**: أحد الوظائف التي قال بها يونج، ويعني الإدراك بواسطة اللاشعور.

M

- **Moral Anxiety القلق الأخلاقي**: أحد تقسيمات فرويد للقلق ويمثل الخوف من تأنيب الضمير.
- **Morphogenic الأسلوب التشريحي**: وهو أحد مفاهيم نظرية ألبورت ويمثل أسلوباً في دراسة الشخصية يركز على فهم التفرد وتميز الشخصية.
- **Motivation الدافع**: مصطلح استخدمه ماسلو لتقليص التوتر، وذلك بإرضاء حالات العجز أو النقص.
- **Moving against التحرك في الاتجاه المعاكس (ضد الآخرين)**: وهو أحد الاتجاهات العصابية الرئيسية الثلاثة التي قالت هورني إنها وسيلة نستخدمها في التعامل مع الآخرين حيث يبحث الشخص عن حماية نفسه، وذلك بالانتقام من الآخرين أو السيطرة عليهم.
- **Moving away التحرك بعيداً عن الآخرين (الانسحاب العصابي)**: وهو أحد الاتجاهات العصابية الرئيسية التي ترى هورني أن الفرد يستخدمه ليبقى في منأى عن الناس.

- **Moving towatd التحرك نحو الآخرين:** وهو أحد الاتجاهات العصابية التي ترى هورني أن الفرد يقبل بعجزه واعتماده على الآخرين.

N

- **Need الحاجة:** ١ - تعني في نظرية موراي قوة في المخ تنظم الإدراك والفهم والسلوك بطريقة تغير الوضع غير المرضي وتزيد من مستوى الرضا.
  ٢ - وفي نظرية روتر، هي السلوك الذي يؤدي إلى التعزيز.
- **Neurotic Anxiety القلق العصابي:** أحد أقسام القلق لدى فرويد، ويمثل الخوف من عدم القدرة على السيطرة على الدوافع والبواعث الشخصية.
- **Neurotic Trends الاتجاهات العصابية:** يمثل في نظرية هورني تلك الاستراتيجيات الدفاعية المبالغ فيها، والتي تسمح للفرد بالتكيف مع العالم.

O

- **Objectivism الموضوعية:** وهي وجهة النظر الفلسفية التي تقول بأن المعرفة الصادقة تظهر تدريجياً من خلال التجارب والملاحظات.
- **Observational Learning التعلم بالملاحظة:** من وجهة نظر بندورا هو ذلك التعلم الذي يظهر من خلال الملاحظة دون أي تعزيز مباشر.
- **Oedipus Complex عقدة أوديب:** وتمثل الصراع النفسي اللاشعوري الذي يحسد فيه الطفل الذكر والده على حب الوالدة له حسب رأي فرويد.

P

- **Persona القناع:** أحد مفاهيم نظرية يونج، ويمثل نمطاً بدائياً ينسب إلى دور الفرد الاجتماعي وفهمه لهذا الدور.
- **Personal dispositions النزعات الشخصية:** هي تلك السمات التي يراها ألبورت فريدة بالنسبة للفرد.
- **Personal unconscious اللاشعور الشخصي:** هي تلك الخبرات التي يقول يونج أن الفرد يمر بها في حياته، ويقوم بكبتها أو تناسيها مؤقتاً.
- **Personality الشخصية:** ١ - في الأحاديث الاجتماعية الشخصية تعني الصورة الشعبية أو العامة للفرد. ٢ - أما ألبورت، فيرى أن الشخصية هي ذلك التنظيم الديناميكي داخل الفرد في الأنظمة الفسيولوجية النفسية التي تحدد اعتقاده وسلوكه المتميز. ٣ - وفي نظرية كاتل، هي ما يسمح لنا بالتنبؤ بما سيفعل الشخص في أوضاع معينة.
- **Positive regured التقدير الإيجابي:** مصطلح في نظرية روجرز يعني أن يكون الشخص محبوباً ومقبولاً لما هو عليه، ولما يكون.
- **Preconscious ما قبل الشعور:** أحد مفاهيم نظرية فرويد، ويقصد به تلك الذكريات التي لا نعيها، ولكن من السهل استرجاعها وطلبها في الشعور.
- **Press الضغط:** أحد مصطلحات نظرية موراي، ويعني تلك القوة التي تأتي من البيئة التي تساعد أو تعوق الفرد عن تحقيق أهدافه.
- **Probing response الاستجابة المتعمقة (الفاحصة):** وتنشد هذه الاستجابة في نظرية روجرز مزيداً من المعلومات حول المسترشد.

- **Proceeding الإجراء:** أحد مفاهيم نظرية موراي ويمثل نمطاً سلوكياً هاماً وقصيراً له بداية ونهاية واضحة.

R

- **Real self الذات الحقيقية:** أحد مفاهيم هورني، ويعني أن يكون الشخص ما عليه هو فعلاً.
- **Reality anxiety القلق الواقعي:** أحد مفاهيم نظرية فرويد، ويقصد به الخوف من خطر حقيقي في العالم الخارجي.
- **Reassuring Response الاستجابة التطمينية (الداعمة):** وهي إحدى الاستجابات التي نادى روجرز بضرورة استخدامها لطمأنة وتهدئة مشاعر العميل.
- **Reciprocal determinism الحتمية التبادلية:** يعني هذا المفهوم في نظرية بندورا تنظيم السلوك بواسطة عوامل سلوكية وبيئية ومعرفية متداخلة.
- **Reflective Response الاستجابة الانعكاسية (التفهمية):** ويقصد بها في نظرية روجرز تلك الاستجابة التي تنشد الوصول إلى أساس وحقيقة المشاعر التي يعبر عنها العميل.
- **Regression النكوص:** أحد ميكانيزمات الدفاع التي قال بها فرويد، ويعني العودة إلى أشكال مبكرة من السلوك.
- **Repression الكبت:** ١ - ويمثل في نظرية فرويد ميكانيزم الدفاع الذي يتضمن إعاقة أو صد الرغبة، أو الأمنية من التعبير، أو الظهور حتى لا تتم معايشتها شعورياً أو التعبير عنها مباشرة في سلوكيات وتصرفات. ٢ - وفي

نظرية ميلر ودولارد: هو العملية المتعلمة لتجنب اعتقادات معينة وبتلك الوسيلة، فقدان السيطرة أو الرقابة اللفظية.

- **Resistance المقاومة:** حسب فرويد، هي تلك القوة التي تمنع الفرد من أن يصبح واعياً للذكريات اللاشعورية، أو أي عائق يتداخل مع العملية التحليلية.
- **Role الدور:** ١ - في علم النفس الاجتماعي يمثل مجموعة من التوقعات السلوكية تعد مسبقاً بواسطة مجتمع معين وتتبع أو تتحقق بواسطة أعضائها.
٢ - وفي نظرية كلي يمثل الدور تلك العملية أو السلوك الذي يؤديه الشخص بناء على فهمه للسلوك والمضامين لدى الناس الآخرين.

S

- **Sanguine الدموي:** هو أحد الأنماط أو الأمزجة الجسمانية التي صنفها أبوقراط، وتتميز فيه الشخصية بالانشراح والابتهاج والقوة والعناد والحيوية.
- **Scientific method الطريقة العلمية:** هي طريقة بحث واكتشاف تتكون من خمس خطوات كما يلي: معرفة المشكلة، تطوير الفرضية، عمل التنبوءات، اختبار الفرضيات وتحديد أو الوصول إلى الاستنتاج المناسب.
- **Secondary dispositions النزعات الثانوية:** وهي حسب رأي ألبورت تلك نزعات محددة ومركزة للفرد تميل إلى أن تكون موقفية في شكلها أو نمطها.
- **Self الذات:** ١ - من وجهة نظر يونج الذات هي ذلك النمط البدائي المركزي الذي يمثل الجهاد والنضال من أجل وحدة كل أجزاء الشخصية. ٢ - في نظرية روجرز الذات هي العمليات النفسية التي تتحكم في سلوك الشخص.

- **Self – actualization تحقيق الذات:** ويقصد به في نظريات أرسطو وماسلو ويونج وروجرز تلك الديناميكية الموجودة داخل الكائن – التي تسعى أو تؤدي إلى تحقيق وإشباع وتعزيز الطاقات الكامنة والمتأصلة في الشخص.
- **Self – Analysis التحليل الذاتي:** حسب هورني، هو تلك المحاولة النظامية لفهم الذات التي تتم دون مساعدة.
- **Self as rational coper الذات كتكيف منطقي:** وفقاً لألبورت هذه الذات هي وظيفة تتضمن إدراك الذات الخاصة كأداة حيوية لحل المشكلة.
- **Self Concept المفهوم الذاتي:** ويمثل في نظرية روجرز المفهوم الذاتي ذلك الجزء من المجال الظاهراتي الذي أصبح متميزاً، ويتكون من إدراكات وقيم «أنا» و«خاصيتي».
- **Self – construct المضمون الذاتي:** هو ذلك الإدراك للمتشابهات الموجودة في سلوك الفرد بناء على علاقات السوق مع الناس الآخرين، كما يرى ذلك جورج كلي.
- **Self-identity الهوية الذاتية:** وهي إحدى الوظائف التي نادى بها ألبورت وتنطوي على وعي بالاستمرارية والتشابه الداخلي.
- **Self – image الصورة الذاتية:** وتشير حسب ألبورت إلى الوظيفة التي تنطوي على فهم الفرد لتوقعات الآخرين عنه ومقارنتها بسلوكه نفسه.
- **Self – system النظام الذاتي:** ويقصد به في نظرية بندورا التركيبات المعرفية التي تكون أساس الإدراك والتقويم وتنظيم السلوك.
- **Shadow الظل:** وهو يمثل من وجهة نظر يونج نمطاً بدائياً يحتوي على الجوانب الحيوانية والاجتماعية.

- **Slips الهفوات:** وهي بعض الزلات أو الأخطاء العضوية كزلات اللسان وشطحات القلم، وهي من ضمن الجوانب الهامة التي يؤمن فرويد بضرورة الاهتمام بها من قبل المحلل النفسي.
- **Social interest الاهتمام الاجتماعي:** يرى أدلر أن الاهتمام الاجتماعي يمثل ذلك المحرك أو الباعث في الطبيعة الإنسانية الذي يعمل على تكيف وتأقلم للذات مع الظروف البيئية والاجتماعية.
- **Somatotonia المزاج العضلي:** من وجهة نظر شيلدون هذا المزاج يمتاز بسيطرة النشاط العضلي والتأكيد الدائم على الجوانب الجسمانية والعضلية.
- **Somatotype النمط الجسماني:** وهو مصطلح استخدمه شيلدون للتعبير عن نوع الجسم ونمطه من خلال أرقام من ١-٧ على مقياس معين، وتشير هذه الدرجات إلى كل عنصر جسماني.
- **Source Traits السمات الأصلية:** وهي تمثل حسب وجهة نظر كاتل تلك المتغيرات الأساسية التي تحدد المظاهر الخارجية أو الظاهرية.
- **Style of Life أسلوب الحياة:** هي تلك الطرق المحددة التي يسعى فيها الفرد للوصول إلى تحقيق هدف التفوق حسب أدلر.
- **Subception:** استجابة تقييمية متميزة للكائن تسبق الإدراك الشعوري.
- **Sublimiation التسامي:** أحد ميكانيزمات الدفاع التي استخدمها فرويد، وينسب إلى تحويل أو ترجمة الرغبة غير المقبولة إلى تصرف أو سلوك مقبول اجتماعياً.
- **Successive approximation التقريب المتتابع:** ورد هذا المصطلح في علاج

دولارد وميللر، ويعني تلك التأويلات التي يقوم بها المعالج والتي تزوده تدريجياً بعلامات أكثر دقة حول استجابات المريض.

- **Superego الأنا الأعلى:** أحد تقسيمات الشخصية التي نادى بها فرويد، وتعني تلك الوظيفة التي تمثل القيم والأفكار المكتسبة من الوالدين وغيرهما من المعايير الاجتماعية.
- **Syntality السلوك الجماعي:** ويقصد بها كاتل تصرف المجموعة ككل أو شخصيته الجماعية.

T

- **Transactional Analysis التحليل التعاملي:** نظام علاجي طوره إريك بيرن لتشكيل العلاقات الإنسانية ذهنياً، وفهمها من خلال أدوار تقوم بها حالات الأنا التي تمثل الوالد والراشد والطفل.
- **Transference الطرح أو التحويل:** أسلوب يستخدم في التحليل النفسي الفرويدي، ويمثل الطريقة التي يقوم فيها المريض بالكشف عن الانفعالات والاضطرابات والصراعات التي شعر بها كطفل نحو بعض الأشخاص المهمين كالآباء والأمهات والمدرسين، وبالتالي يعمد إلى إسقاطها على المحلل النفسي.

U

- **Unconditional Positive Regard التقدير الإيجابي المطلق:** أحد مفاهيم

نظرية روجرز، ويمثل ذلك التقدير أو الاحترام الذي يُعد مستقلاً عن أي سلوك معين أو شروط مسبقة أو لاحقة.

- **Unconscious Processes العمليات اللاشعورية:** ١ - حسب وجهة نظر فرويد هي تلك العمليات التي لا يعيها الشخص أو يدركها لأنها قد كبتت، أو لم يسمح لها على الإطلاق بأن تصبح شعورية. ٢ - أما دولارد وميلر فيرى أنها تلك المؤشرات والحوافز التي لا نعيها بسبب عدم وضع علامات عليها أو لأننا نكبتها.

المراجع

المراجع العربية:

١. القرآن الكريم

٢. أحمد منصور، عبد المجيد وآخرون (٢٠٠): السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية.

٣. أسمر، حليم حنا (٢٠٠٧): الشخصانية في الفكر العربي المعاصر «رينه حبشي ومحمد عزيز الحبابي»، دمشق، دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع.

٤. ألفريد، أدلر (٢٠٠٥): الطبيعة البشرية، ترجمة عادل نجيب بشري، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، العدد ٨٤٦.

٥. ألفريد، أدلر (٢٠٠٥): معنى الحياة، ترجمة عادل نجيب بشري، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، العدد ٧٠٩.

٦. باربرا، أنجلر (١٩٩٠): مدخل إلى نظريات الشخصية، ترجمة: وليم، فهد بن عبد الله، دار الحارثي للطباعة والنشر، الطائف.

٧. بركات، مطاع (٢٠٠٧): الاسعاف النفسي الأولي لضحايا الكوارث والصدمات، دمشق.

٨. بركات، مطاع (٢٠٠٢): تحليل التعامل، ورشة عمل غير منشورة، دمشق.

٩. التل، شادية (٢٠٠٤): علم النفس التربوي في الإسلام: معالم على الطريق، عمان، دار النفائس.

١٠. جورج غازدا وآخرون (١٩٨٦): نظريات التعلم (دراسة مقارنة)، ج٢، ترجمة علي حسين حجاج، مراجعة عطية هنا، عالم المعرفة.

١١. الجوزية، ابن قيم (١٩٨٦): الروح، تحقيق: عبد الفتاح محمود عمر، ط٢، عمان، دار الفكر للنشر والتوزيع.

١٢. الحبابي، محمد عزيز: الشخصانية الإسلامية، دار المعارف بمصر، مكتبة الدراسات الفلسفية.

١٣. الدردير، عبد المنعم أحمد (٢٠٠٢): دراسات معاصرة في علم النفس المعرفي، ج٢، عالم الكتب للنشر، القاهرة.

١٤. الريماوي، محمد عودة (٢٠٠٣): علم نفس النمو – الطفولة والمراهقة، دار المسيرة، عمان، الأردن.

١٥. الريماوي، محمد عودة وآخرون (٢٠٠٦): علم النفس العام، ط٢، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع.

١٦. سيد عبد الرحمن، محمد (١٩٩٨): نظريات الشخصية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

١٧. الشناوي، محمد محروس (١٩٩٦): العملية الإرشادية، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة.

١٨. الشناوي، محمد محروس وعبد الرحمن، محمد السيد (١٩٩٧): العلاج السلوكي الحديث: أسسه وتطبيقاته، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة.

١٩. الشناوي، محمد محروس: نظريات الإرشاد والعلاج النفسي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٠. صحيح مسلم، القاهرة، ١٤٣٧هـ.

٢١. عبد الرحمن، محمد السيد (١٩٩٨): نظريات الشخصية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

٢٢. عبد الله، محمد قاسم (٢٠٠٠): الشخصية والعلاج النفسي، دار المكتبي للطباعة والنشر، دمشق، سوريا.

٢٣. العتوم، عدنان (٢٠٠٤): علم النفس المعرفي – النظرية والتطبيق، دار المسيرة، عمان، الأردن.

٢٤. العثمان، عبد الكريم (١٩٨١): الدراسات الفلسفية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، القاهرة، مكتبة وهبة، ص٣٧٥ -٣٧٨.

٢٥. قطامي، يوسف (٢٠٠٠): نمو الطفل المعرفي واللغوي، الأهلية للنشر، عمان، الأردن.

٢٦. مجموعة من المؤلفين، تحرير: محمد عودة الريماوي (٢٠٠٦): علم النفس العام، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان.

٢٧. محمود عصام (٢٠٠١): ديناميات السلوك الإنساني واستراتيجيات ضبطه وتعديله، عمان، دار البركة النشر والتوزيع.

٢٨. محمود، عصام (٢٠٠١): ديناميات السلوك الإنساني واستراتيجيات ضبطه وتعديله، عمان، دار البركة للنشر والتوزيع.

٢٩. محمود، عصام (٢٠٠٢): ديناميات السلوك الإنساني واستراتيجيات ضبطه وتعديله: عمّان، دار البركة للنشر.

٣٠. مرسي، سيد عبد الحميد (١٩٨٥): الشخصية السوية، دار التوفيق النموذجية للطباعة والجمع الآلي.

٣١. الميليجي، حلمي (٢٠٠١): علم نفس الشخصية. دار النهضة العربية، ط١، بيروت.

٣٢. نجاتي، محمد عثمان (١٩٨٧): القرآن وعلم النفس، ط٣، جدة، دار الشروق.

المراجع الأجنبية:

33. Allport, G.W. (1961): Pattern and growth in personality. New York. Holr, Rinehart and Winston.

34. Allport. G. W. (1953): The trend in motivational theory. Amer. J. or Thopsychiat.

35. Bandura, A.A (1977): Social Learning Theory. Englewood Cliffs, N.J, Prentice – Hall.

36. Baron R. & Kalsher, M. (1998): Psychology, 4th ed, Boston, Allyn & Bacon.

37. Carlson, N. (2001): Psychology of Behavior (7th ed) Boston: Allyn and Bacon.

38. Davis Stephem F. and palladino J. (2004): Psychology, 4th ed. Pearson printice-hall, New Jersy.

39. Eysench, M (2000): Psychology. Psychology press: Taylor and Francis Group.

40. Helly, G.A (1963): The Psychology of personal constructs (2vols) New York, Norton.

41. Hergenhahn, B. R.. (1980): An introducation to theories of personality Prentice – Hall, inc. Englewood Cliffs.

42. Kail, R.V. (2001): Children and their development, (2nd ed) Nj, Prentice, Hall.

43. Kalat James W. (2004): Psycholooy sixth Edition, Weds worth, California.

44. Kazdin, A.E. (1991): Imagery Elaboration and self-efficacy in the covert modeling Treatment of unassertive. J. of counseling and clinical Psychology, Vol.47.

45. Kosslyn & Rosenberg, Robins (2004): Psychology: The Brain, The Person, The World, 2nd ed., Boston: Pearson and AB.

46. Kosslyn Stephn & Roserberg, Robin S. (2004): Psychology, Seconded, Rearson, Allyn and Bacon, Boston.

47. Maslow, A.H. (1970): Motivation and personality (2nd ed) New York, Harper & Row.

48. Maslow, A.H. (1971): The farther reaches of human nature New York, Viking.

49. Meleod J (1998): An introducation to counseling, second edition, open University press. Philadelphia, U.S.A, P. 192-193.

50. Myers, David G. (2004): Psychology, 7th, worth publishers, New York.

51. Petri, H., and Govern, J. (2004): Motivation: Theory, Research and Applications. Australia, Thomson – Wadsorth.

52. Prochaska, J. O (1984): System of Psycnothotherapy: Atransthearetical Analysis. Homewood. Illinois, The Dorsey press.

53. Rogers, C.R (1977): Carl Rogers on personal power. New York, Delacort.

54. Santrok, John W. (2003): Psychology. 7th ed, Boston: Mc Grow Hill.

55. Sternberg, R. (2003): Cognitive Psychology. 3rd Edition. Thomson, Wadsworth, Australia.

56. Symonds. P.M (1951): The ego and the self. New York. Appleton, Century, Crofts.

57. Tudork, Habbes R. (2003): Transactional Analysis: Handbook of individual therapy, edited by windy Dvyden, 4th ed. Sage pub. U.S.A, P. 239-265.

58. Westen Drew, (2004): Psychology, Mind, Brain & Culture Hohn Wiley & Sons. Inc, New York.

المدقق اللغوي: د. سكينة موعد

حقوق الطبع والترجمة والنشر محفوظة
لمديرية الكتب والمطبوعات الجامعية